قامت الطالبة بتصحيح الملحوظات
التي وجهت إليها أثناء المناقشة


المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم العقيدة




# موقف ابن تيمية من النصرانية



بحث مقدم

لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

إشراف

فضيلة الدكتور الأستاذ

عثمان عبد المنعم عيش


إعداد الطالبة:

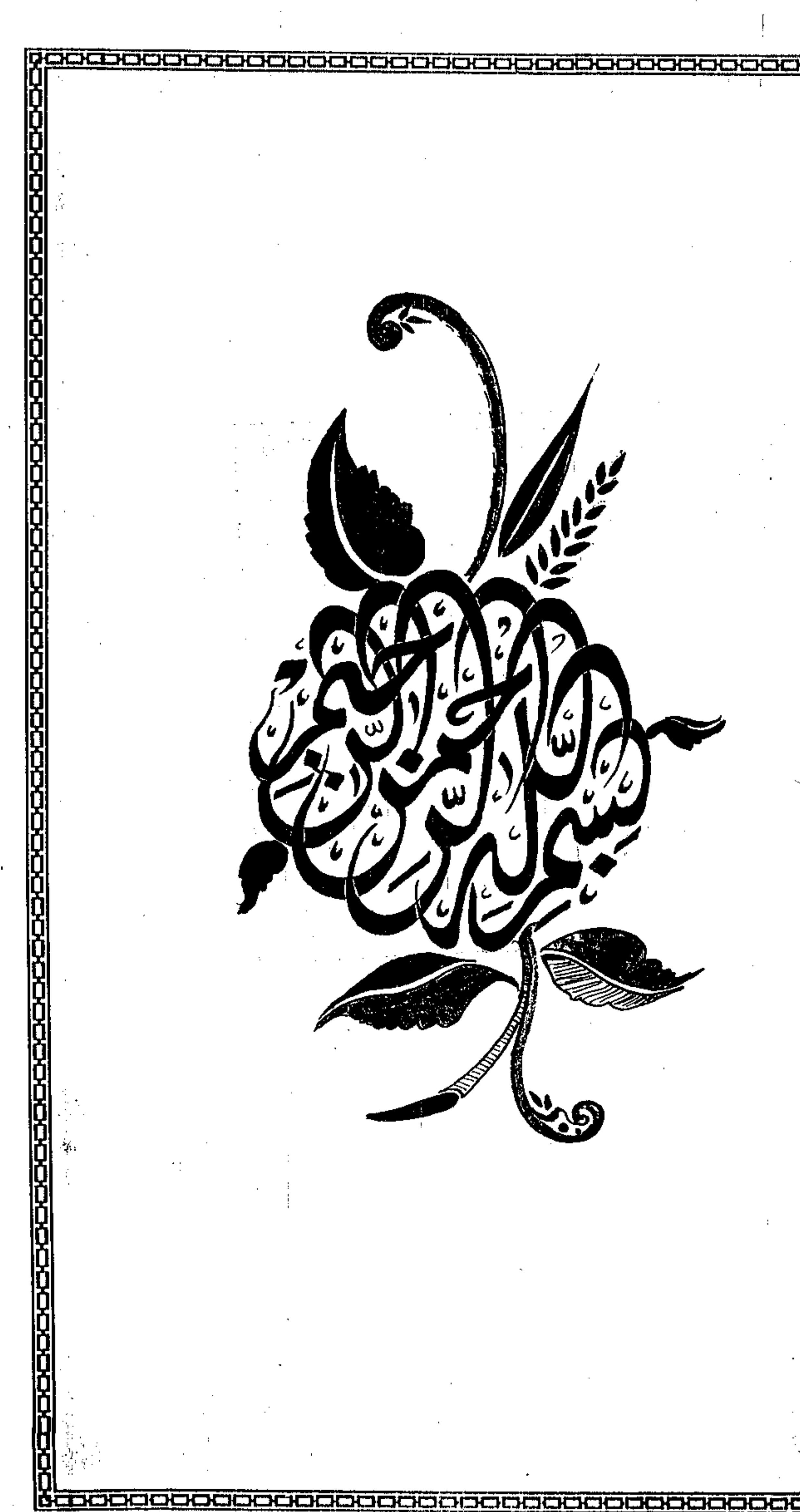
مريم عبد الرحمن عبد الله زامل




المجلد الأول

للعام الدراسي

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م


بسم الله الرحمن الرحيم


وما توفيقي إلا بالله

## شكر وتقدير

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات حمدا كثيرا طيبا مباركا ثم الصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبد الله ، معلم البشرية وهاديها الى سبيل الرشاد ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ...

وبعد : أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى كل من ساهم في مساعدتي لانجاز رسالتي هذه ، وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الدكتور الشيخ / عثمان عبد المنعم يوسف ، الذي كان لي نعم الموجه والمرشد ، فقد منحني من وقته وعلمه الكثير الذي ساعدني في اجتياز جميع الصعوبات التي واجهتني أثناء دراستي . فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء ، وأسأل المولى الكريم أن يمد في عمره ، ويلبسه رداء الصحة والعافية ...

كما لا يفوتني أن أشكر جميع أساتذتي الفضلاء في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى ، وجميع العاملين المخلصين فيهما ، وكذلك أمينات المكتبة بقسم الطالبات ...

وأشكر أيضا كل زميلة وصديقة شاركتني حسيا ومعنويا في هذه الرسالة .

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي متقنا ينال رضاه ثم رضى أساتذتي الأفاضل . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،




المقدمة

## المقدمــــة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعـــد ...

فقد دخل تحت حكم الاسلام كثير من المناطق التي كانت تدين بالنصرانية ، ومنها مصر والشام . ولقد كان لأهل هذه البلاد الحرية في أن يدخلوا في الاسلام ، أو يبقوا على دينهم . فدخل فيه من دخل ، وبقي على نصرانيته من بقي منهم ، ينعمون بسماحة الاسلام ، وعدالة حكّامه ، وبما كان لهم من الحرية التامة في أداء طقوسهم الدينية ، وبما ضمنت لهم المعاهدات الاسلامية من المحافظة على كنائسهم ، وأديرتهم ، وجميع حقوقهم . ولقد عاشوا مستمتعين بهذه السماحة في المعاملة ، وبهذا الوفاء في العهود . ولقد كان من الممكن أن يستمر هذا الوضع دون مواجهة فكرية بينهم وبين علماء الاسلام ، فيما يتعلق بأمر العقيدة والدين ، لولا أنّ بعض علمائهم قد استغلوا جوّ الحرية ، والسماحة الاسلامية الذى يعيشون فيه ، للتنفيس عن أحقادهم الدينية ، ضد الدين الجديد . فبدأوا يكتبون الرسائل ، والكتب ، ليس لشرح العقيدة النصرانية ، ومحاولة الترويج لها بين المسلمين ، وعمومها ، ووجوب الايمان بها ، وانكار البشارات الكتابية بها ، وكذلك الطعن في صحة القرآن ، وتواتره ، وحفظه ، وفي كمال الشريعة الاسلامية ، الى غير ذلك من المطاعن في الاسلام ، وكتابه ، ونبيّه فحسب ، ولكن لإثارة المشاكل العقدية في الوسط الاسلامي ، بالترويج للشبهات ، وكذلك لمحاولة الاستدلال على العقائد النصرانية ، واعتبار كتبها بأدلة قرآنية ، وكذلك الطعن على صدق النبوة المحمدية .

وكانت هذه الكتب والرسائل تَفِدُ من المناطق النصرانية ، الواقعة على أطراف الدولة الاسلامية ، كطليطلة ، وقبرص . فقد ألّف أبو عبيدة الخزرجي كتابه مقامع الصلبان ، ردّا على رسالة وردت اليه من قسّ مسيحي في طليطلة ، يدعوه فيها الى اعتناق المسيحية ، مبيّنا له ـ من وجهة نظره ـ فضائلها ، ومساوئ الاسلام كما يزعم .

وقد ذكر الامام القرافـــي في كتابه ( الاجوبة الفاخرة ، فـــي الردّ على الاسئلة الفـاجرة ) ، بأنّ الداعي الى تأليف كتابه هذا هــو أنّ بعض النصارى قد أنشأ رسالة مشتملة على الاحتجاج بالقرآن الكريــم على صحة مذهب النصرانية ، ثمّ ذكر فيها مايربو على مائة سؤال لأهــل الكتاب ( اليهود والنصارى ) تتضمّن الطعن على عقيدة الاسلام ، وكتابــه ، ونبيّه ، وأجاب عنها في كتابه هذا ، ثمّ عارض أسئلتهم ، بمائة سؤال ، أوردها على الفريقين ، تتضمّن أوجه البطلان في ديانتهم ( اليهود والنصــارى ) يتعــذّر عليهم الجواب عنها .

أمّـا شيخ الاسلام ابــن تيمية * فقد ذكر لنا في مقدمة كتابــه ( الجواب الصحيح لمن بـدّل دين المسيح ) أنّه جعله جوابا لرسالــة وردت اليه من قبرص ، فيها الاحتجاج لدين النصارى ، بما يحتجّ بــه علماء دينهم ، وفضلاء ملّتهم ، قديما وحديثا ، من الحجج السمعية ، والعقلية وفيها الطعن على صحة النبوّة المحمدية ، وصحة القرآن الكريم ، ومحاولــة الاستشهاد منه زورا على صحة العقائد النصرانية ، وكتبها ... الــخ وهي منسوبة الى بولس الراهب ، أسقف صيدا الانطاكي ، كتبها الى بعــض أصدقائــه .

---

* ابن تيمية هو : تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بــن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيميــة الحرّاني الحنبلي الدمشقي .

ولد يوم الاثنين ، في العاشر من شهر ربيع الأول ، سنة احدى وستــين وستمائة من بعد الهجرة النبوية . وكان مولده بمدينة حــرّان ( مهد الفلسفة والفلاسفة ) ، ثمّ ترك مسقط رأسه وهو في السابعــة من عمره ، فرارا من التتار ، وهاجر مع أسرته الى دمشق .

تربى في حجور العلماء ، فقد كانت أسرته أسرة متوارثة للعلم ، والنزوع اليه . امتازت بقوة البيان والذاكرة ، وحبست نفسها على العلم ، حيث كان والــده عالما مقدّما في الحديث ، وكانت له حلقات للتدريس بمسجد دمشــق =

وقد كتب الامام القرطبي هو الآخر كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ) ردّا على الكتاب الذى ألّفه أحد النصارى بطليطلة ، وسمّاه ( تثليث الوحدانية ) ، وقد كتب هذا الكتاب بعد أن تغلّب النصارى على طليطلة ، ووصلت نسخته الى الامام القرطبي ، وهو في قرطبة ، فقام بالردّ في كتابه ، على ماتضمنه هذا الكتاب المذكور من الشبهات ، والمطاعن ، وأظهر مافي النصرانية ، وكتبها من النقائض ، والاباطيل .

---

= وتولّى مشيخة الحديث بدار السكرية ، التي كان مقيما بها . فنشأ ابن تيمية محبا للعلم ، والعلماء ، لايلوي على شئ ، غير الاشتغال بالعلم .

وقد سمع العلم في دمشق من والده ، كما سمعه من ابن الدائم المقدسي ، وابن أبي اليسر ، وابن عبد ، والمجد بن عساكر ، ويحيى بن الصيرفي الفقيه ، وأحمد بن أبي الخير الحداد ، والقاسم الأربلي ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، والمسلم بن علان ، وابراهيم بن الدرجي ، وخلق كثير ...

جلس الى التدريس ، بدار الحديث السكرية بدمشق ، بعد وفاة والده بسنة ، عام (٦٨٣هـ) ، وهو في الثانية والعشرين من عمره .

دعا الى المذهب السلفي ، ونهى عن البدع ، وناصر السنة ، وسار على مذهب الامام أحمد .

جاهد بقلمه ، وسيفه ، وكان له دور كبير ، وبارز في انتصار المسلمين على التتار ، حيث قدم من دمشق الى مصر ، واستنهض السلطان الناصر وأمراءه ، على إعداد العدة ، وجمع الجند ، ومحاربة التتار ، ومازال به حتى خرج السلطان بجنده الى الشام ، وهزم التتار ، وأجلاهم عن دمشق .

وقد أحاط ابن تيمية بكل تراث الفكر في عصره ، وألمّ بجميع ألوان الثقافات ، بل لقد اطلع على كتب النصارى ، وأهل الديانات الأخرى ، كما يبدو من كتابه / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . =

وكانت هناك الى جانب ذلك مناظرات تجرى بين علماء النصرانية ، وعلماء الاسلام ، وان كانت تلك المناظرات تجرى في نطاق محدود هي مجالس الخلفاء ، حيث كانت مجالسهم عامرة بمناظرات العلماء ، والفلاسفة ، والأدباء ، ورجال الدين .

---

= تتلمذ على يديه كثيرون ، من أشهرهم تلميذه ابن القيّم ، المتوفى عام (٧٥١هـ) ، والحافظ الذهبي ، المتوفى سنة (٧٤٨هـ) ، الذى وصف شيخه ابن تيمية بقوله : " ومعرفته بالتفسير اليها المنتهى ، وحفظه للحديث ، ورجاله ، وصحته ، وسقمه فما يلحق فيه . وأمّا نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين ، فضلا عن مذاهب الأربعة ، فليس له فيه نظير ، وأمّا معرفته بالملل والنحل ، والأصول ، والكلام ، فلا أعلم له فيه نظيرا . وأمّا معرفته بالسير والتاريخ فعجب عجيب . وأمّا شجاعته ، وجهاده واقدامه ، فأمر يتجاوز الوصف . "
مؤلفاته - رحمه الله - تفوق الحصر ، حيث ألّف في أغلب العلوم والفنون ، التأليفات العديدة ، منها :
(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل .
(٢) معارج الوصول . وهو تفنيد لقول الفلاسفة ، والقرامطة ، الذين يذهبون الى أنّ الأنبياء قد يكذبون في بعض الاحيان .
(٣) العقيدة الواسطية .
(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .
(٥) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . وهو في الرّد على رسالة (بولس) أسقف صيدا الأنطاكي . وفيه هاجم المسيحية ، المحرفة ، ورفع من شأن الاسلام .
(٦) العقيدة التدمرية .
(٧) اقتضاء الصراط المستقيم ، ومجانبة أصحاب الجحيم .
(٨) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية .
(٩) مجموع الفتاوى . في سبعة وثلاثين مجلدا ، وتحتوى على معظم العلوم الاسلامية .
=

ولعلّ ماأشرنا اليه من الرسائل ، والكتب التي كتبها علماء النصارى ، ترويجا للنصرانية ، وطعنا في الاسلام - لعلّ تلك الرسائل والكتب من أهم الأسباب التي دفعت بعلماء الاسلام الى الكتابة في النصرانية تاريخا ، وعقيدة ، وبيان مافي تلك العقيدة من الأضاليل ، والى الدفاع عن النبوة المحمدية ، وردّ الشبهات عنها ، وبيان موقفها الصحيح من النصرانية ، وعقائدها وكتبها ، وذلك ردّا على تلك الكتب والرسائل النصرانية التي كتبها أصحابها ، وأذاعوها بين المسلمين ، تحقيقا لأغراضهم ، من الترويج للنصرانية ، والطعن في الاسلام ، ونبيّه .

---

= (١٠) جواب عن " لو " . مطبوع على هامش كتاب السيوطي / الأشباه والنظائر .

(١١) درء تعارض العقل والنقل . . . وغيرها كثير .

ومما تجب ملاحظته : أنّ المنزلة الرفيعة التي نالها ابن تيمية عند العامة والخاصة ، كانت مثيرة لحسد الحاسدين ، وحقد الحاقدين ، فتآمر الأعداء والخصوم على شيخ الاسلام ، ولفّقوا له التهم الكاذبة ، لدى الأمراء ، وذوي السلطان آنذاك ، فلا يكاد يخرج من السجن حتى يعود اليه ، ولم يرحمه أعداؤه حتى في شيخوخته ، واضطهدوه اضطهادا عنيفا ، بل لقد لفظ أنفاسه الأخيرة في سجنه بقلعة دمشق ، في ليلة الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة ، سنة ( ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م ) ، وهو على حاله مجاهدا في ذات الله .

فجزاه الله خيرا عن جهاده في سبيل اعلاء دينه .

راجع في ترجمة ابن تيمية :

- ابن كثير / البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٣ ، ٢٤١ ، جـ ١٤ ص ١١ ، ١٥
- محمد السيد الجلفيد / الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل
- الحافظ محمد بن أبي بكر الدمشقيّ / الردّ الوافر
- محمد بن أحمد بن عبد الهادي / العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية
- محمد بهجة البيطار / حياة شيخ الاسلام =

ويتضح هذا مما ذكره كل من الخزرجي ، والقرافي ، وابن تيمية ، والقرطبي ، وغيرهم ممن لم نرد الاطالة بذكرهم - مما ذكره كل منهم ؛

بيانا للدوافع التي دفعتهم الى الكتابة في النصرانية ؛ كشفا لأباطيلها ، والى الدفاع عن الاسلام ، ضد ما أثاره النصارى حوله ، وحول نبيّه من شبهات ، حيث يذكر كل منهم السبب الذى من أجله كتب ما كتب في هذا الموضوع - على ما ذكرنا آنفا - وهي تلك الرسائل والكتب التي وقعت بأيديهم مما كتبه علماء النصارى ، واضطروا للردّ عليه .

هذا الى جانب ماكان للنصارى في بعض الفترات التاريخية من ظهور شأنهم ، واستعلاء أمرهم ، الى الحدّ الذى يتطاولون فيه على المسلمين سياسيا ، واجتماعيا ، وهو الأمر الذى كان ولا شكّ يثير حميّة علماء الاسلام ضدهم ؛ للحطّ من شأنهم ، والردّ على أباطيلهم ، ومحاولة اضعاف أثرهم في البيئة الاسلامية . ومن هذه الفترات التاريخية ما أعقب سقوط بغداد سنة ( ٦٥٦هـ ) ، واستيلاء التتار على بلاد الشام - ماأعقب ذلك من تأييد هولاكو ، ونوّابه للنصارى ضد المسلمين ، واستثنائهم من المذابح الرهيبة التى وقعت بديار الاسلام ، واتاحة الفرصة أمامهم للتطاول على المسلمين ، واظهار شعائرهم بشكل يثير الحفيظة الاسلامية ، ومن هذه الفترات أيضا ماأعقب سقوط الاندلس مدينة مدينة ، وما نال المسلمين فيها من المذابح ، أو الاكراه على النصرانية ، أو اخراجهم من ديارهم ، وكذلك فترة الحروب الصليبية ، وما كان فيها ، أو أعقبها من أحداث ، رفعت من شأن النصرانية والنصارى في بلاد الاسلام ، وذلك قبل أن ينتهي أمرها ، وينهزم الصليبيون ، ويرحلون عن بلاد الاسلام الى الابد .

---

= - الحافظ عمر بن علي البزار / الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية .
- محمد خليل هراس / ابن تيمية السلفي .
- محمود مهدى الاستانبولي / ابن تيمية بطل الاصلاح الديني .
- الشيخ محمد أبو زهرة / ابن تيمية ( حياته وعصره وآراؤه الفقهية ) .
- دائرة المعارف الاسلامية / المجلد الاول ص ٢٣١ وما بعدها ... وغيرها

لقد كان لهذه الفترات أثرها ولاشكّ في اثارة علماء الاسلام للوقوف حربيا ، وفكريا ضد النصارى ، والنصرانية ، والتنبّه لخطر ما يكتبه رجال الدين النصراني ، بين صفوف المسلمين ، من الرسائل والكتب ، وذلك بتفنيدها ، والردّ عليها ، والدفاع عن العقيدة الاسلامية ضد شبهاتهم حولها ، وبيان مافي النصرانية ، وكتبها من الأضاليل ، والأوهام .

واذا كان موضوع هذه الرسالة ، هو دراسة موقف أحد كبار علماء الاسلام ، بل شيخ الاسلام من النصرانية ، كما يتمثّل في ردّه على ما كتبه أحد علماء النصارى حول هذه القضية . فالواقع أنّ موقف شيخ الاسلام في هذه القضية ليس الآحلقة في سلسلة طويلة من المواقف والدراسات التي سبقه أو لحقه فيها علماء آخرون .

وقبل أن نعرض لموقف ابن تيمية من النصرانية ، وللدوافع التي دفعت به الى الكتابة فيها ، نحب أن نشير في ايجاز الى من سبقه من العلماء على هذا الطريق .

فقد كتب الجاحظ - وهو من معتزلة القرن الثالث - في هذا المجال رسالة ، سمّاها ( الردّ على النصارى ) .

وكان اليعقوبي المتوفى سنة (٢٩٢هـ) من المؤرخين القدامى ، الذين تحدّثوا عن ملوك الروم المتنصرة ، وخاصة قسطنطين ، الذى عقد مجمع نيقية سنة ( ٣٢٥م ) ، وأظهر فيه الأمانة (١) ، ثمّ أورد دراسة كاملة عن الأناجيل ، مما يؤكد اطلاع المؤلف عليها .

وللامام ( البلخي ) المتوفى سنة (٣٤٠هـ) كتاب ( البدء والتاريخ ) أورد فيه مباحث هامة عن الديانة النصرانية ، تناول فيها فرقهم ، التي تتفق على أنّ معبودهم ثلاثة أقانيم ، وهذه الأقانيم شئ واحد ...

أمّا ( المسعودى ) المتوفى سنة (٣٤٦هـ) ، فقد أورد مبحثا عن المسيحية ، في كتابه ( التنبيه والاشراف ) .

وكذلك المؤرخ الاسلامي ( أبو الريحان البيروني ) المتوفى سنة

---

(١) هي الاعلان الذى أعلنوا فيه عقيدتهم .

( ٤٤٠هـ ) ، قدّم لنا معلومات مستفيضة في كتابه ( الآثار الباقية عن القرون الخالية ) عن الأناجيل ، وتحريفها ، وتناقضها ، وعن فرق النصارى ، ومذاهبهم ، وزعمائهم الكهنوتيين ، وعن شعائرهم الدينية . (١)

وقد ذكرنا من قبل ماكتبه في هذا المجال كل من أبي عَبيدة الخزرجي ، المتوفى سنة ( ٥٨٢هـ ) في ( مقامع الصلبان ) ، والامام القرطبي المتوفى سنة ( ٦٧١هـ ) في ( الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ) ، والامام القرافي المتوفي سنة ( ٦٨٤هـ ) في ( الأجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة ) .... الى غيرهم من العلماء .

وجاء ابن تيمية بعد هؤلاء ، فكتب كتابه الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح . وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا السبب الذى من أجله كتبه ، وهو أنه اطلع - كما يقول - على رسالة وردت من قبرص ، فيها الاحتجاج لدين النصارى ، مما يحتجّ به علماء دينهم ، وفضلاء ملّتهم قديما وحديثا من الحجج السمعية والعقلية ... وهي مضافة الى ( بولس ) الراهب ، أسقف صيدا الأنطاكي ، كتبها الى بعض أصدقائه ، وسمّاها : "الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح ، والرأي المستقيم" . وضمنها ست دعاوى :

الدعوى الأولى :

أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم ( أى النصارى ) ، بل بعث الى أهل الجاهلية من العرب ، وأنّ القرآن فيه ما يدل على ذلك ، وكذلك العقل .

الدعوى الثانية :

أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى في القرآن على دينهم -أى النصرانية - الذى هم عليه ، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه .

الدعوى الثالثة :

أنّ كتب الأنبياء المتقدمين - كالتوراة والزبور والانجيل ، وغير ذلك من الصحف ، والنبوات - تشهد لما عليه دينهم من الأقانيم ، والتثليث

---

(١) انظر هؤلاء الأعلام لدى / حاجي خليفة في كتابه / كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ١ ص ٩ ، ٢٢٧ ، ٤٩٣ ، ٨٣٨ .

والاتحاد ، وغير ذلك ، وأنه يجب التمسك به ، اذ لا يعارضه شرع ولا يدفعه عقل .

الدعوى الرابعة :

أنّ ما هم عليه ثابت بالعقل والشرع ، متفق مع الأصول .

الدعوى الخامسة :

أنهم موحّدون ، وأنّ ما عندهم مما يوهم التعدد ، كألفاظ الأقانيم ، انما هي من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه ، والتجسيم .

الدعوى السادسة : :

أنّ المسيح - عليه السلام - جاء بعد موسى - عليه السلام - بغاية الكمال ، فلا حاجة بعد الى شرع آخر ، بل يكون مابعد ذلك شرعا آخر غير مقبول . (١)

ونظرا لما تضمنته هذه الرسالة من هذه الدعاوى الخطيرة - كما ذكرها ابن تيمية - فانه أخذ نفسه بالرد عليها ، واظهار أباطيلها ، والدفاع عن الاسلام ونبيّه ، ضد ما تضمنته من شبهات . وكذلك اظهار ما في العقائد والعبادات والشرائع النصرانية من أوجه البطلان ، وما في كتبها من التحريف والتناقض . قدّم كل ذلك في دراسة موضوعية ، ليس فيها شئ من التعصّب ، ولا من الذاتية البغيضة . فيقول في مقدمة الرد عليها :

" ونحن - ولله الحمد والمنة - نبيّن أنّ كل ما احتجوا به ( أى النصارى ) من حجة سمعية - من القرآن ، أو من الكتب المتقدمة على القرآن - أو عقلية ، لاحجة لهم في شئ منها ، بل الكتب كلها مع القرآن ، والعقل حجة عليهم ، لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ، ومن المعقول هو نفسه حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم ، مع مايفسده من سائر النصوص النبوية ، والموازين التي هي مقاييس عقلية . " (٢)

---

(١) انظر الكتاب المذكور جـ١ ص ٣ ، ٤

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٢٠ ، ٢١

ولا يتمثّل موقف ابن تيمية من النصرانية في هذا العمل فقط، ولكنه يتمثّل أيضا في كثير من صفحات كتبه ، وفتاويه ، وهي تلك الصفحات التي يتناول فيها عقائد النصارى ، من خلال تفسيره لآيات القرآن التي تتناولها أو تذكر كتبهم .

ولا نظن أنّ دوافع شيخ الاسلام الى الكتابة في هذه القضية تقتصر فقط على هذه الرسالة ، ولكنها تكمن أيضا في حياة شيخ الاسلام نفسه ، وما أحاط بها من أحداث . فقد ولد شيخ الاسلام بعد سقوط بغداد على يد التتار بقليل (١) ، وقضى شبابه في بلاد الشام ، حيث تأثّرت مشاعره ولاشك بما كان يمارسه النصارى في تلك البلاد من مظاهر التعالي ، والغطرسة على المسلمين ، بعد تأييد هولاكو ، ونوّابه لهم ، حتى انهم كانوا يتظاهرون بالخمر في نهار رمضان ، ويرشونه على ثياب المسلمين ، وعلى أبواب المساجد ، ويرفعون الصلبان ، ويلزمون أرباب الحوانيت بالقيام ، اذا مرّوا بالصليب عليهم ، ويهينون من يمتنع عن ذلك ، ويمرّون به في الشوارع الى كنيسة مريم ، ويقفون به ، ويخطبون في الثناء على دينهم . وقالوا -جهرا-: ظهر الدين الصحيح دين المسيح . فقلق المسلمون من ذلك ، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو " كتبغا" ، فأهانهم ، وضرب بعضهم ، وعظّم قدر قسوس النصارى ، ونزل الى كنائسهم ، وأقام شعائرهم ... (٢)

وكان ابن تيمية الى جانب ذلك يعيش في ثغور الشام ، وكانت هذه الثغور دائما موضع الاحتكاك بين المسلمين والنصارى البيزنطيين . وقد رأى ابن تيمية - ولا شكّ - ما أحدثته الحروب الصليبية في بلاد الاسلام ، ولا سيما في مصر والشام ، من تدمير استمر قرابة قرن ونصف قبل أن يلقي بهم المسلمون في البحر ، ويتخلصوا من شرورهم .

ولاشكّ أنّ كل ذلك وغيره أثار مشاعر شيخ الاسلام ، ضد النصارى ، والنصرانية ، وحرّكه للكتابة ضدهم ، والرد عليهم فيما يكتبون ، واظهار الفتاوى العديدة ، فيما يجب أن يلتزموا به من المظاهر الاجتماعية في

---

(١) كانت ولادته - رضي الله عنه - عام ٦٦١هـ - ١٢٦٢م

(٢) راجع ابن كثير / البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٩

زيّهم ، حتى أفتى بضرورة أن يكون لأهل الذمة شارة يعرفون بها ، ليس تحقيرا لشأنهم ، ولكن ليعرفوا ، حتى يمكن الاحتياط منهم ، نظرا لما أظهروه خلال الحروب الصليبية من التعاون مع الغزاة الصليبيين ، ضد المسلمين .

لقد كان شيخ الاسلام اذن ممتلئ الفكر والشعور ، ضد النصارى والنصرانية ؛ لمواقفهم المناوئة للاسلام ، وأباطيلهم التي يثيرونها حوله وحول نبيّه . ومن هنا كان موقفه من النصرانية في كتبها ، وعقائدها ، وعباداتها ، وشرائعها ، وكان دفاعه كذلك عن الاسلام ونبيّه ، ضد ما أثاره علماء النصرانية حولهما من شبهات .

وقد استمرّ علماء الاسلام في متابعة هذا النهج ، الذى نهجه شيخ الاسلام ، ومن سبقه من العلماء ، حيث كتب ابن القيم المتوفى سنة ( ٧٥١هـ ) ، كتابه ( هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ) . وكتب عبد الله الترجمان الأندلسي ـ وكان من أفاضل النصارى ، ثم أسلم ـ كتابه ( تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ) . بيّن فيه تحريف أناجيلهم وتناقضها ، وابطال عقائدهم ، وشرائعهم بالنقل والعقل . وكذلك الامام أبو البقاء الجعفرى ، المتوفى في القرن العاشر الهجرى ، كتب كتابه ( تخجيل من حرف الانجيل ) ....

واستمرّ الكتّاب المحدَثون على هذا النهج ، مثل الشيخ ( محمد أبو زهرة ) رحمه الله ، وغيره من العلماء . وكان استمرار هؤلاء في الرد على النصرانية ، نتيجة لاستمرار النصارى في كتاباتهم ؛ ترويجا لها في صفوف المسلمين ، وطعنا في دين الاسلام ، ونبيّه ، وكتابه .

ويتمثّل موقف ابن تيمية في هذه القضية ـ كما أشرنا ـ في أمرين :

الأول :

ابطاله للعقائد والعبادات والشرائع النصرانية ، وبيانه لما نال كتبها من تحريف أو تبديل .

الثاني :

ابطاله للشبهات التي أثارها ويثيرها علماء النصارى حول الاسلام ، ونبيّه ، وكتابه .

وسوف نقتصر في هذه الرسالة على الجانب الأول ، بيانا لموقف ابن تيمية من النصرانية . أما الجانب الثاني ، وهو ابطاله لشبهات النصارى حول النبوة المحمدية ، فسوف نجعله بعون الله تعالى ، وتوفيقه موضوع دراسة أخرى . نسأل الله تعالى العون عليها ، والتوفيق فيها .

ولعلّ العرض الذى قدمناه ، يكشف لنا عن أهمية الموضوع الذى نحن بصدده ، فهو :

أولا : يبرز لنا ذلك الاسهام القيّم ، الذى قدمه شيخ الاسلام ، في كشف عُوار النصرانية ، عقلا ونقلا ، حتى يزداد بيان مافيها من الأباطيل ، أمام العقول ، فلا تنخدع بها الأفهام ، ولا تتأثّر بها المشاعر . وهو

ثانيا : مزيد من التأكيد ، والتأييد لما في الاسلام من حقّ ، بالمقارنة الى ما في العقائد الأخرى من باطل ، وذلك من باب " وبضدها تتميّز الأشياء" ومع أنّ الاسلام غني بنفسه في الدلالة على أحقّيّته من بين الأديان المعاصرة جميعا ، الاّ أنّ مقارنة الأديان تقدم ولا شك مزيدا من البيان لهذه الأحقية ، وذلك من أهم الطرق في التعرف الى الاسلام ، واعتناقه عن يقين .

ثمّ انّ هذه الدراسة من جهة ثالثة هي دراسة لجانب مهم من فكر شيخ الاسلام ابن تيمية ، ذلك الفكر الغني الذى تناول جميع فروع المعرفة الانسانية ، وهو جانب مقارنة الأديان . فدراسة كتب شيخ الاسلام في هذا الجانب ، تدل على مدى اطلاعه على الأديان المختلفة ، وتعمقه لما فيها من وجوه البطلان ، ووقوفه على تاريخ أهلها بصورة واسعة . ومثل هذه الدراسة تضاف الى دراسات قيمة تناولت جوانب متعددة من فكر شيخ الاسلام ، بيانا لموقفه من الفرق المختلفة ، حيث كُتب عن موقفه من التصوّف ، وموقفه من المعتزلة ، وموقفه من الكرامية . ولما لم يكتب أحد عن موقفه من النصرانية ، رأيت أن أكتبَ فيه . ولا يزال المجال واسعا لدراسة موقف ابن تيمية من المتكلمين والفلاسفة والمنطقيين ، وأصحاب الديانات الأخرى . ... الخ فبمثل هذه الدراسات المقارنة ، يتجلى فكر شيخ الاسلام العظيم ويزداد الانتفاع به .

هذا هو موضوع رسالتي ، وهذه هي وجوه أهمية هذا الموضوع . ولعل ذلك يكشف في نفس الوقت عن صعوبته ، حيث لا يتركز فكر شيخ الاسلام في هذه الناحية في كتاب واحد ، وانما ينتشر في عشرات المجلدات ، من كتاباته الكثيرة ، وان كان كتاب / الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح بأجزائه الأربعة يأخذ مكان الصدارة في ذلك . ويضاف الى هذه الصعوبة ماهو معروف من تناول شيخ الاسلام للقضية الواحدة في مواضع متعددة ، ومن اسهاباته في عرض القضايا .

ولم يكن من الممكن عرض ابطالات ابن تيمية للكتب ، والعقائد والعبادات ، والشرائع النصرانية بشكل واضح ، دون أن أعرض قبل ذلك بالدراسة التحليلية لهذه الكتب ، والعقائد ، والعبادات والشرائع ، حتى يتضح أمرها قبل عرض ابطال ابن تيمية لها . ولقد كان هذا هو منهجي في كل باب ، بل في كل فصل من فصول الرسالة ، ملتزمة طريق الأمانة في النقل ، والدقة في العرض ، واستقاء المعلومات من مصادرها الأصلية ، وعرضها ، وعرض أدلتهم عليها من تلك المصادر ، في نزاهة علمية تامة ، دون أي انفعال ديني . واذا أضفت مزيدا من النقد الى النصرانية ، بالاضافة الى ما قدمه ابن تيمية ، فعلى أسس عقلية ، ونقلية صحيحة . ولم يفتني أن أعقد المقارنات التاريخية بين العقائد النصرانية ، وما سبقها من العقائد في الوثنيات القديمة ، وأن أكشف عن الموقف الصحيح للقرآن من النصرانية ، بكل تفاصيلها ، وأن أبيّن كذلك أنّ نقد ابن تيمية ، وغيره من العلماء للنصرانية انما هو نقد لتلك النصرانية التي انحرف بها أصحابها عن مسيرة التنزيه والتوحيد ، وليس للنصرانية الصحيحة التي أنزل الله كتابها على عيسى - عليه السلام - والتي بقي بعض النصارى عبر التاريخ متمسكين بها ، سائرين على خط التوحيد ، خارجين عبر التاريخ على انحراف الكنيسة ، وتحريفها . فلم تصرفني رؤية الصور الباطلة في تاريخ النصرانية عن رؤية هذه الصور المشرقة ، وتسجيلها ، رغم ندرتها ، ورغم اضطهاد الكنيسة لأصحابها .

كان هذا هو منهجي في الدراسة ، وهو اجمال يأتي تفصيله على صفحات هذه الرسالة .

وقد اتبعت في رسالتي هذه الخطة التالية :

قسمتُ الرسالة بعد هذه المقدمة الى ثلاثة أبواب ، وكان موضوع الباب الأول : الأناجيل ، واثبات ابن تيمية لتحريفها ، وتناقضها .

وقد تناول هذا الباب بالدراسة ثلاثة فصول :

عرضت في الفصل الأول منه لبيان أنّ هناك انجيلا نزل على عيسى عليه السلام ، وهو غير موجود الآن ، ثم تحدثت عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى ، ثمّ عقبت على ذلك ببيان خلو هذه الكتب من القداسة ، والالهام ، وأنّ دعوى الالهام فيها باطلة ، لما يكتنف هذه الكتب من التناقضات ، ويحيطها من المجاهيل ، والغموض ، في مصنفيها ، وفي لغة تدوينها ، وتاريخ التدوين .

وفي الفصل الثاني ذكرت أنواعا للتحريف الواقع في الأناجيل ، مع أدلته لدى ابن تيمية . وذكرت شبهات النصارى على تحريف كتابهم ، وابطال ابن تيمية لها .

ثمّ انتهيت الى التعقيب على هذا الفصل ، بمزيد من التأكيد لدى العلماء الآخرين ، لإثبات التحريف الواقع في كتب النصارى عامة ، وفي الأناجيل بصورة خاصة ، مع ذكر الفرق بين كتب النصارى ، وبين القرآن الكريم ، المحفوظ في السطور والصدور .

أمّا في الفصل الثالث فقد أتيت بأمثلة ، ونماذج مختلفة من الأناجيل ، تبيّن مدى التناقض الحاصل في كتبٍ يدّعون إلهاميتها ، وقداستها . ثمّ عقّبت على ذلك بالحديث عن انجيل ( القرن العشرين ) ، ذلك الانجيل المختزل ، الذى أصدرته مجلة / ريدرز دايجست ، ووافق عليه مجلس الكنائس العالمي .

أمّا الباب الثاني : فهو في العقائد النصرانية ، وبيان موقف ابن تيمية منها ، ويحتوي على خمسة فصول . وقد تناولت في كل فصل من هذه الفصول الخمسة أبطال ابن تيمية لعقيدة من العقائد النصرانية .

ففي الفصل الأول بيّنت ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد .

وفي الفصل الثاني أبطاله لعقيدة النصارى ببنوّة المسيح - عليه السلام - لله تعالى ، وألوهيته .

وابطاله لعقيدة النصارى بألوهية روح القدس ، في الفصل الثالث .

أمّا في الفصل الرابع ، فقد بيّنت فيه ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى بالتثليث .

وكان آخر فصول هذا الباب هو الفصل الذى قدمت فيه ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى بالصلب والفداء .

وقد قدمتُ في كل فصل في الحديث عن كل عقيدة في هذه الفصول ، بيانا لوضعها في النصرانية الصحيحة ، ثمّ بدء انحراف النصارى بها ، وتطور هذا الانحراف عبر المجامع ، والأدلة الدينية التي يستند إليها النصارى في تلك العقيدة الباطلة ، وابطالاتي لتلك الأدلة عقلا ، ونقلا ، ثمّ بيان ابطال ابن تيمية لتلك العقيدة من جميع الوجوه التاريخية ، والعقلية والنقلية ، بشكل تفصيليّ . ثمّ عقّبت على كل فصل ، بتعقيب مطوّل ، أتناول فيه بالدراسة الجذور التاريخية لتلك العقيدة ، ومزيداً من النقد والابطال لها ، وبيانا لموقف أحرار النصرانية منها ، ثمّ بيانا لموقف القرآن الكريم .

أمّا الباب الثالث والأخير ، فكان في العبادات والشرائع النصرانية ، وابطال ابن تيمية لها . تناولت فيه بالعرض والتحليل ، والبيان المفصل لما في النصرانية من العبادات كالصلاة ، والصيام ، والتعميد ، والعشاء الرباني ، والرهبانية ، . ولما فيها من الشرائع :كتحليل لحم الخنزير ، وتحريم الختان ، وتقديس الصور والتماثيل . وقد عرضت كل موضوع من هذه الموضوعات في فصل مستقل ، بلغت تسعةَ فصول ، وقد ختمتها بفصل أخير ، بيّنت فيه وجوه ابطال ابن تيمية لها ، سواء من ناحية اجمالية ، كعدم تواتر كتبهم ، وفقدانهم الأساس الديني الصحيح ، أو ما تناوله بالدراسة التفصيلية ، كالرهبانية ، والعشاء المقدس ، لتناقضها مع العقل الصريح ،

والنقـــل الصحيـــح .

أمّا الخاتمة ، فقد أبرزت فيها أهم نتائج البحث .

وقد بذلت في رسالتي هذه غاية جهدي ، وأخلصت فيها للـــه قصدي ، والعصمة بعد ذلك لله وحده ، فما فيها من خير فمن اللـــه ، وما فيها من عيب أو قصور ، فما أجدر الانسان بالاساءة والعيوب ، اذا لـــم يحفظه علّام الغيوب .

أحمده تعالى وأشكره ، على نعمائه التي لا تحصى ، وأن أعانـــني على اتمام رسالتي هذه . واني أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هـــذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يجزي عني خير الجزاء كل من قدّم لي عونا ، حـــتى أتممته على هذه الصورة ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقني الى مواصلـــة رسالتي في خدمة العلم والدين . انه على كل شيء قدير . وآخـــر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ...

# الباب الأول

# في

# الأناجيل

## وإثبات ابن تيمية لتحريفها وتناقضها

وفيه ثلاثة فصول

**الفصل الأول:** الأناجيل.

**الفصل الثاني:** تحريف الأناجيل.

**الفصل الثالث:** تناقض الأناجيل.

# الفصل الأول

# في

# الأناجيل

## أ- من إنجيل عيسى -عليه السّلام- إلى الأناجيل الأربعة:

١- ماهو الإنجيل؟

٢- إنجيل عيسى عليه السلام .

٣- ضياع إنجيل عيسى عليه السلام .

٤- كثرة الأناجيل في القرون المسيحية الأولى .

٥- اختيار الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية .

## ب- الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى:

١- إنجيل متّى .

٢- إنجيل مرقس .

٣- إنجيل لوقا .

٤- إنجيل يوحنا .

٥- تعقيب .

## (( الفصـــل الأول ))

## الأناجيـــــل

### أ - من إنجيل عيسى إلى الأناجيل الأربعـــــة

١ - ما هو الانجيـــــل :

قبل الكلام عن تاريخ الأناجيل، ونظرة المسيحيين إليها، ونقد ابن تيمية لها، وبيان تناقضاتها لا بدّ لنا من بيان مدلول كلمة الانجيل في كتب اللغة والتفاسير، وكتب مقارنات الأديان فنقول :

"الانجيل هو اسم كتاب الله المنزّل على عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ يذكّر ويؤنّث ، فمن أنّث أراد الصحيفة ، ومن ذكّر أراد الكتاب ، والجمع أناجيل ، ومنه الحديث في صفة الصحابة رضي الله عنهم (صدورهم أناجيلهـــم) وفي رواية ( أناجيلهم في صدورهم ) .

اختلف في لفظ الانجيل فقيل: اسم عبراني ، وقيل: سرياني ، وقيل: عربـــي . وعلى الأخير قيل: مشتق من النجل، وهو الأصل ، أو من نجلت الشيء أي أظهرتـــه ، أو نجله إذا استخرجه، وحكى شمر عن الأصمعي : الانجيل كل كتاب مكتوب وافـــر السطور ، وهو أفعيل من النجل، وبه قرأ الحسن قوله تعالى : ( وليحكم أهـــل الأنجيل ) بفتح الهمزة ، وليس هذا المثال من كلام العرب ، والإنجيل بالكســـر كالإكليل والخريط .

قال الزجاج : ولقائل أن يقول : هو اسم أعجمي ، فلا ينكر أن يقع بفتـــح الهمزة ، لأن كثيرا من الأمثلة الأعجمية تخالف الأمثلة العربية نحو : هاجر، وابراهيم

وهابيل وقابيل ." [1]

وقيل إن "كلمة إنجيل ( Gospel ) كلمة يونانية معناها (الحلـــوان) وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى ، ثم أريد بالكلمة البشرى عينها . أما السيد المسيح فقد استعملها بمعنى بشرى الخلاص التي حملها الى البشر واستعملها الرســـل من بعده بالمعنى نفسه ". [2]

وجاء في مقدمة انجيل (تولستوى) لكاتبه سليم أفندى قبعين :

"إن لفظة انجيل باللغة اليونانية مركبة من كلمتين : ( E u ايو ). ومعناهـا : جيد - حسن - صلاح - خير - صدق .

و ( - anghilion ) ومعناها : الاخبار ، ويكون تعريب اللفظتين معـاً : الإخبار بالخير أو الخبر الحسن ". [3]

وقد جاءت لفظة ( انجيل ) في مواضع عدة من كتاب الله الكريم منها :

قوله تعالى :( نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيـل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان . . . . . ) الآية [4]

---

(١) محمد مرتضى الزبيدى / تاج العروس من جواهر القاموس المجلد الثامن ص١٢٨ .
وانظر كذلك : ابن منظور : لسان العرب ج١١ ص٦٤٨ ( مادة نجل ) طبعة بيروت .

(٢) د. أحمد شلبى (مقارنة الأديان ) المسيحية ص٢٠١ طبعة ٥ .
وكذلك الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص٩٧ .
وكذلك : محمد رشيد رضا . تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنـار ج٣ ص١٥٨ ، ١٥٩ .
وكذلك عباس محمود العقاد فى موسوعته ( توحيد وأنبياء ) ج١ ص٧١٩ .

(٣) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ص٣٨٩ .
وانظر كذلك عبد الأحد داود : الانجيل والصليب ص٢٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ٣ .

وقوله تعالى : ( وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور . . . . ) الآية .[1]

قال أبو السعود - وغيره من المفسرين - عند الكلام على قوله تعالى : ( وأنزل التوراة والانجيل ) قال :

" هما اسمان أعجميان الأول عبري والثاني سرياني ، ويعضده القراءة بفتح همزة الأنجيل ، فان أفعيل ليس من أبنية العرب ، والتصدى لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف ".[2] والقول بأعجمية الانجيل هو الصواب.

وأياً كان الاختلاف فى الأصل اللغوي لكلمة الانجيل فهى تدل فى الاصطلاح القرآنى على " ما أوحاه الله إلى رسوله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من البشارة بالنبى الذى يتمم الشريعة والحكم والأحكام وهو مايدل عليه اللفظ. . . . "[3] الى غير ذلك مما تتضمنه من العبادات والأخلاق والتشريعات .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٦ وكذلك آية ٤٧، ٦٨، ١١٠ .
وانظر كذلك : سورة الأعراف آية ١٥٧ ، والتوبة آية ١١١، والفتح آية ٢٩، والحديد آية ٢٧ .

(٢) تفسير أبى السعود جـ٢ ص٤ .
وكذلك سائر كتب التفاسير تشارك أبا السعود الرأى فى كون اسم انجيل أعجميا وليس عربيا . مثل : تفسير الكشاف للزمخشرى جـ١ ص٤١٠، وتفسير النسفى جـ١ ص٤٥ ، وتفسير الامام البيضاوى ص٦٦ ، وتفسير القرطبى المجلد الرابع ص٥٦ .

(٣) محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٣ ص١٥٩ .

٢ - انجيل عيسى -عليه السلام - :

نحن -المسلمين - مؤمنون بأن هناك انجيلا ، أنزله الله على المسيح -عليه السلام - ، متضمن من الهدى والنور ، مافيه كفاية للمهتدين ، وهو مصدق للتوراة ، ومحيى لشريعتها ، ومؤيد للصحيح من أحكامها ، ومبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، ومشتمل على هدى ونور وموعظة .

والدليل على ذلك ماجاء فى القرآن الكريم ، من قوله تعالى :

( وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين . )[١]

وقوله تعالى على لسان المسيح -عليه السلام - :

( انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . )[٢]

" والمراد بالكتاب هنا : الانجيل ، لأن الألف واللام ههنا للجنس ، أى آتانى من هذا الجنس. "[٣]

وقوله جل جلاله :

( . . . . . . . . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . . . )[٤] الآية .

---

(١) سورة المائدة آية ٤٦ .

(٢) سورة مريم آية ٣٠ .

(٣) الفخر الرازى ( التفسير الكبير ) المجلد ١١ ج٢١ ص ٢١٥ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

فالقرآن الكريم من خلال هذه الآيات ، يحدثنا عن كتاب سماوي ، أنزله الله على عيسى -عليه السلام - ، وأن هذا الكتاب السماوي كان يسمى الانجيل ، وأن هذا الانجيل كان مكتوباً ، بدلالة قوله تعالى :

( يجدونه ) أي اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ،( مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ) فلم يكن هذا الانجيل مجرد مواعظ شفوية ، يلقيها المسيح -عليه السلام - ، على مسامع أتباعه ومن يدعوهم الى دينه ، ولكنه كان يكتب كل ما أنزله الله عليه ، ليكون في يد أتباعه ، وان كنّا لا نعرف الطريقة التي كتب بها الانجيل في حياة المسيح -عليه السلام - ، ولا من قام بكتابته .

ومما يشهد كذلك لكون الانجيل كتاباً سماوياً ، أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، أن ينادي النصارى بوصفهم ( أهل كتاب ) ، وذلك في قوله تعالى : ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . )(١)

وقوله تعالى : ( قل ياأهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ) .(٢)

أي : (قل ) يامحمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما تبلغهم عن الله تعالى : ( لستم على شئ ) يعتدّ به من أمر الدين ، ولا ينفعكم الانتساب الى موسى وعيسى والنبيين . ( حتى تقيموا التوراة والانجيل ) فيما دعيا إليه من التوحيد الخالص ، والعمل الصالح ، وفيما بشرا به من بعثة النبي ، الذي يجيئ من ولد

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٨ .

اسماعيل،الذى عبر عنه المسيح بروح الحق وبالبارقليط.*(١)

ثم إن القرآن الكريم يسجل عليهم ، أنهم أخفوا بعض ما أوتوا من الكتاب، وذلك فى قوله تعالى : ( ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . )(٢)

يقول الامام البيضاوي عند تفسيره لهذه الآية :

( ياأهل الكتاب) يعنى : اليهود والنصارى ، ووحّد الكتاب ؛ لأنه للجنس.
( قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم ، وآية الرجم فى التوراة ، وبشارة عيسى -عليه السلام - بأحمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل . . ."(٣)

لهذه الشواهد وغيرها من القرآن الكريم نقول :

ان الانجيل كان كتاباً سماوياً ، مكتوباً ، جاء مصدقا لما قبله من التوراة، ومتضمناً لما أنزله الله على عيسى ، من مختلف الأحكام وألوان الهداية الربانية .

---

* شرح معنى هذه الكلمة موجود فى ص١٣٢ / ١٣٣ من هذه الرسالة .

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٦ ص٤٧٢ .
(٢) سورة المائدة آية ١٥ .
(٣) تفسير القرآن الكريم المسمى ( أنوار التنزيل وأسرار التأويل ) ص١٤٦ .
وانظر كذلك محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٦ ص٣٠٣ .

وقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعرفون ذلك ، ويؤمنون به ، مع ايمانهم بوقوع التحريف فى ذلك الكتاب ، فقد روى البخارى فى صحيحه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما بسنده فى كتاب الاعتصام قوله :

( كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ ، وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرءونه محضاً* لم يشب** ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب . وقالوا : هو من عند الله (ليشتروا به ثمنا قليلا )[1] ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا ، والله ما رأينا رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم .)[2]

وهنا يأتى السؤال : أين هو هذا الانجيل الذى تحدث عنه القرآن الكريم؟ وهل يعني عدم تداوله الآن بين المسيحيين أنه لم يكن موجودا فى يوم ما ؟ وهل يوجد فى كتابات الباحثين والمؤرخين مايدل على الوجود التاريخي لهذا الانجيل المنزل من عند الله تعالى ؟ ؟ ؟

نسأل هذا السؤال لا ، لأننا نأخذ من كتابات هؤلاء الباحثين والمؤرخين التصديق لما جاء به القرآن فهو صادق ، حتى ولو لم يعثر المؤرخون على هذا

---

* محضاً : خالصاً .

** لم يشب : لم يخلط . انظر العسقلانى فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ ٥ ص ٢٩٢ .
وانظر : القسطلانى : ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى جـ ٤ ص ٤١٢
وكذلك جـ ١٠ ص ٣٥٢ .

(١) سورة البقرة آية ٧٩ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٩ ص ١٣٦ ، وروى البخارى هذا الحديث أيضا بسند آخر فى كتاب الشهادات من الصحيح جـ ٣ ص ٢٣٧ .

الانجيل ، وانما نسأل لنعرف من أبحاثهم المصير التاريخي لهذا الانجيل المنزل من عند الله ، وما اذا كان قد بقي أو فُقد فلم يعثروا عليه .

يرى بعض مؤرخي المسيحية أنه لم يكن هناك قبل إنجيل(متّى) الذى كتبه سنة (٣٨م)-على حد زعمهم -انجيل آخر.

يقول الأستاذان زكي شنودة وميشيل جرجس:

إن " ما استقر عليه الرأي الأخير بين المسيحيين فى أوائل القرن الرابع الميلادى هو العهد الجديد ، وهو سبعة وعشرون سفرا ، منقسمة الى ثلاثة أقسام . . . الخ . أما قبل ذلك فهناك فترتان :

الفترة الأولى : عدم وجود انجيل ؛ لأن(متّى) بدأ كتابة إنجيله عام(٣٨م).

الفترة الثانية : وجود كثرة ساحقة من الأناجيل ."(١)

ومعنى هذا : أن الفترة التى سبقت ( متّى ) سواء فى حياة المسيح -عليه السلام- أو بعد رفعه ، لم يكن فيها انجيل مكتوب ، كما يعتقد هذان الكاتبان . ولم يقدّما دليلا على ماذهبا اليه ، من عدم وجود انجيل سابق على الأناجيل الأربعة ، التى كتبت بعد رفع المسيح ، وحتى لو لم يوجد هذا الانجيل ، فلا يدل عدم وجوده على خلو تلك الفترة منه لجواز فقده وضياعه .

وعلى عكس مايذهب اليه الكاتبان المذكوران ، فإننا نجد من مؤرخي المسيحية من يصرّح بوجود رسالة سابقة على الأناجيل الأربعة ، يرجّح أنها كانت هى انجيل المسيح -عليه السلام- . من أولئك : المؤرخ المسيحي الألماني

---

(١) نقلا من د.رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء . . . . جـ١ ص١٤٦ ط١.دون أن يذكر اسم المصدر الذى استقى منه هذا النص .

( أكهارن ) حيث يذكر :

"انه كان في ابتداء الملة المسيحية ، في بيان أحوال المسيح ، رسالة مختصرة ، يجوز أن يقال : إنها هي الانجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب ".(١)

ويستظهر (رحمة الله الهندي) من كلام أكهارن السابق : ان الانجيل الأصلي قد فقد .(٢)

ومما يشهد لوجود انجيل لعيسى -عليه السلام- ، ما جاء في انجيل برنابا الحواري* ، مما يفيد نزول كتاب على المسيح ، وأن جبريل قد أتاه به من عند

---

(١) انظر : رحمة الله الهندي الكيرانوي : اظهار الحق جـ١ ص٢٩٥/٢٩٦ .

(٢) انظر اظهار الحق جـ١ ص٣٠٢ .

* برنابا هو أحد الحواريين الاثني عشر الذين اختارهم المسيح لصحبته ، واختصهم بالزلفى لديه . وله انجيل لا يعترف به النصارى مع أن قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة في أناجيلهم الأربعة المعتمدة . إلاّ أنهم رفضوه ؛ لأنه خالفهم في نقاط أساسية وجوهرية هامة .

- فهو لم يعتبر المسيح الها ولا ابن اله .
- كما أنه بشّر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم صراحة باسمه .
- وذكر أن الذبيح الذي تقدم به ابراهيم الخليل -عليه السلام- للفداء هو اسماعيل ، -كما هو ثابت في القرآن الكريم- وليس اسحاق كما ورد في الأناجيل المعتمدة لدى النصارى .
- وقد نفى انجيل برنابا القول بصلب المسيح وقتله -بخلاف ما تدعيه الأناجيل المعتمدة .- وذكر أن الصلب والقتل وقع على الشبيه فجاء مطابقا للقرآن الكريم : ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) . =

الله ، متضمناً لكل الأحكام والشرائع التى أراد الله تبليغها لبني اسرائيل ، بواسطة عيسى - عليه السلام - ، وهو ما نؤمن به نحن المسلمين .

يقول برنابا فى ذلك :

" ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما أخبرني بذلك نفسه ، صعد الى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً ، وبينما كان يصلي فى الظهيرة ، وبلغ هذه الكلمات " يا رب برحمة . . . " ، وإذا بنور باهر قد أحاط به ، وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون : " ليتمجّد الله " ، فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة براقة ، فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله ، وما قال الله ، وما يريد الله ، حتى ان كل شيء كان عرياناً ومكشوفاً له ، ولقد قال لي :

" صدّق يا برنابا ، إني أعرف كل نبي وكل نبوة ، وكل ما أقوله إنما قد جاء فى ذلك الكتاب " .

ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع ، وعلم أنه نبي مرسل الى بيت اسرائيل ، كاشف مريم أمه ، بكل ذلك قائلاً لها : إنه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله ، وإنه لا يقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها ، فلما سمعت مريم هذا

---

= - وكان الدافع لكتابة انجيله - كما يذكر هو ذلك فى مقدمته :-

الضلال والكفر الشديدان اللذان أصبحا علامة وسمة بارزة فى المبشّرين بالمسيحية وعلى رأسهم بولس ومن شايعه ، حيث أخذوا يدعون الناس الى الايمان بأن المسيح ابن الله ، وتحريضهم على ترك الختان الذى أمر الله به ، وتجويزهم أكل كل لحم نجس حرّمه الله .

فكتب لذلك انجيله داحضاً مزاعمهم ، مبيناً العقيدة الحقة فيما جاء به المسيح فى هذه الجوانب - كما ذكرنا آنفا - .

أنظر انجيل برنابا الفصل ١٤ : ٩-١٧ ، وكذلك الفصول ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ . كلها تحكي ما ذكرناه .

أجابت : " يابنى ، إنى نبئت بكل ذلك ، قبل أن تولد ، فليتمجد اسم اللـه القدوس . "

ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ، ليمارس وظيفته النبوية . "[١]

ويدل هذا الكلام على أن أول ما أوحِى إلى عيسى من الله سبحانه مُثّل له فى كتاب، استضاءت به بصيرته ، كما أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنمط من ديباج فيه كتاب وقال له : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ) .[٢]

واثبات انجيل لعيسى -عليه السلام - ، لا يقتصر على قول برنابا السابق فى انجيله ، ولكنه يتمدى ذلك الى إثبات الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين -لهذا الانجيل السابق عليها ، كما يستفاد ذلك مما ورد فيها من أقوال ، فالمتصفح لهذه الأناجيل يرى أن هذا الانجيل الموحى به من الله للمسيح -عليه السلام - ، ليس بغريب على المسيحيين أنفسهم ، وكثيراً ما تردد ذكره على ألسنة كُتّاب تلك الأناجيل الأربعة ، وفى رسائل بولس .

فها نحن نقرأ فى انجيل (متّى ) على لسان المسيح -عليه السلام - فى قصة المرأة التى سكبت الطيب عليه : " الحق أقول لكم ، حينما يكرّز* بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكاراً لها " .[٣]

وهذا النص موجود بعينه فى انجيل مرقس.[٤]

---

(١) الفصل العاشر كله . ترجمة الدكتور خليل سعادة .

(٢) سورة العلق آية ١ .

وانظر عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٣٨٩ .

* معناها : يبشر .

(٣) ٢٦ : ١٣ .

(٤) ١٤ : ٩ .

كما أن كلمة انجيل بمعنى ( البشارة ) ، قد وردت فى الأناجيل التى بين أيدينا الآن .

فقد جاء فى انجيل ( متّى ) : " وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلّم فى مجامعهم ، ويكرز ، ببشارة الملكوت ." (١)

" وبشارة الملكوت هى ترجمة كلمة ( انجيل ) باليونانية ، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل الأربعة قد وجد فى عهد المسيح بالاتفاق ، وليس من المعقول ان يلفظ بأقوال تلاميذه وهم بعد لا يزالون فى دور التعليم ". (٢)

كما نطالع أيضاً فى (مرقس) قوله على لسان المسيح حين بدأ دعوته أنه قال :

" جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا ، وآمنوا بالانجيل ." (٣)

فأي انجيل هذا الذى بدأ المسيح دعوته طالبا الايمان به ؟

أَفَلاَ يدل ذلك على وجود انجيل فى حياة المسيح يعرفه الجميع ، ويشيرهو اليه ؟

وهل من المعقول أنه كان يعني هذه الأناجيل وهى لم توجد بعد ؟ !

ليس هذا فحسب ، بل إن بولس فى رسالته لأهل رومية ، يؤكد لنا وجود انجيل للمسيح ، فيقول :

" فإن الله الذى أعبده بروحي ، فى انجيل ابنه ، شاهد لي ، كيف بلا انقطاع أذكركم " (٤)

---

(١) ٤ : ٢٣ .
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٥ ط ٣ .
(٣) ١ : ١٤ ، ١٥ .
(٤) ١ : ٩ .

فهنا قد ذكر لفظ الانجيل منسوبا الى المسيح ( الابن ) ، وليس واحد من الأناجيل الحالية يستحق هذه النسبة .

وجاء في رسالته الأولى لأهل كورنثوس :

" صرتُ للضعفاء كضعيف ؛ لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شئ ؛ لأخلّص على كل حال قوما ، وهذا إنما أفعله لأجل الانجيل ؛ لأكون شريكاً فيه ." (١)

وليس واحد من الأناجيل الأربعة المعروفة لدينا الآن تنصرف اليه كلمة انجيل من غير نسبته الى صاحبه ، يصح أن ينسب الى عيسى -عليه السلام- ؛ لأن كل انجيل منسوب إلى كاتبه .

ولا يكتفي بولس بإثبات وجود انجيل لعيسى -عليه السلام- ، بل يثبت انحراف المسيحيين عن ذلك الانجيل ، وتحريفهم له ، فيقول في رسالته الى أهل غلاطية :

"إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ، ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن يحوّلوا انجيل المسيح ." (٢)

" فالمسيح كان له انجيل واحد ، وبيّن بولس أنه كان في عصره من القرن الأول أناس يدعون المسيحيين الى انجيل غيره بالتحويل ، أى التحريف كما في الترجمة القديمة ، وفي ترجمة الجزويت " يقلّبوا " بدل " يحوّلوا " وهي أبلغ في التحريف والتبديل ، وبيّن بولس أن الناس كانوا ينتقلون سريعاً إلى دعاة هذا الانجيل المحرّف ، المحوّل عن أصله الذى جاء به المسيح ." (٣) بل ان بولس يذكر لنا في رسائله حرفياً ،

---

(١) ٩ : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ١ : ٦ ، ٧ .

(٣) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ج٦ ص٢٩١ .

أن هناك انجيل للمسيح ، لا لغيره ، فيقول فى رسالته الأولى الى أهل تسالونيكى:

"إن كنا حانين اليكم كنا نرضى أن نعطيكم لا انجيل الله فقط ، بل أنفسنا أيضا.[1]"

وقوله كذلك فى نفس الرسالة :

" فأرسلنا تيموثاوس أخانا ، وخادم الله ، والعامل معنا ، فى انجيل المسيح[2]".

ومما ورد كذلك ، من أقوال بولس ، فى إثبات وجود انجيل للمسيح -عليه السلام -

قوله :

" فى نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح ."[3]

وقوله أيضا فى رسالته الأولى الى تيموثاوس:

" حسب انجيل مجد الله المبارك ، الذى أؤتمنت أنا عليه ."[4]

وقد عقّب الشيخ محمد أبو زهرة ، على بعض هذه النصوص ، المنقولة عن بولس ، وخرج من هذه الأقوال بالنتيجتين التاليتين :

" أولا : لا شك أن الانجيل المذكور فى كل هذه النصوص ليس واحداً من هذه الأناجيل .

وعلل السبب فى ذلك فقال :

١ - لأنها لا تضاف إلاّ إلى أصحابها باتفاق النصارى .

٢ - لأن المسيح قد وعظ بهذا الانجيل ، كما جاء فى عبارته السابقة ( التى نقلناها ) .

---

(١) ٢ : ٨ .

(٢) ٣ : ٢ .

(٣) تسالونيكى الثانية ١ : ٨ .

(٤) ١ : ١١ .

<u>ثانيا</u> : ان هذا الانجيل ، قد ذُكر في هذه الأناجيل على أنه كان قائماً في عهد عيسى ، وحيث إنه ذُكر من غير نسبة كما في انجيل مرقس ( النص السابق ) ، وكما في رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس ( التي نقلناها سابقا ) ، وليس واحداً من هذه الأناجيل الأربعة تنصرف إليه كلمة انجيل من غير نسبته الى صاحبه ." (١)

ومما تجدر ملاحظته : أن القرآن الكريم عبّر عن انجيل عيسى -عليه السلام- بلفظ المفرد ، الأمر الذي يدل على أنه غير الأناجيل ( الأربعة ) ، المتداولة بين أيدي المسيحيين ، والمنسوبة الى كاتبيها .

ويتساءل ابن قيّم الجوزية مقرراً : أن انجيل عيسى -عليه السلام- لا يمكن أن يكون أحد هذه الأناجيل الأربعة المعروفة <u>فيقول :</u>

" كيف يكون في الانجيل الذي أنزل على المسيح ، " قصة صلبه " وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، ... وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى ." (٢)

ومما يدل على أن انجيل المسيح ليس واحداً من هذه الأناجيل الأربعة :

" ان علماء النصرانية يقررون بأن الأناجيل الأربعة المتداولة ، قد تم اختيارها من بين حوالي مائة انجيل ، كانت منتشرة بين النصارى ، في القرن الرابع الميلادي ، ومن المعلوم بالضرورة ، أن عيسى -عليه السلام- قد أتى بانجيل واحد ، وهم لا يستطيعون أن يتنبؤا أن أحد الأناجيل الأربعة مطابق بنصه ومعناه للانجيل الذي جاء به المسيح .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص٥٤ ، ٥٥ بتصرف ط٣ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٤٨ . الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦هـ .

لذا فمن المحتمل ان يكون الانجيل الاصلي الحقيقي واحدا من الاناجيل التي زعموا انها زائفة ، واسقطوها ، واذا وجد الاحتمال ، بطل الاستدلال . " ( ١ )

وسوف نرى فيما بعد ، أن بعض الكتاب المسيحيين ينتقدون هذه الاناجيل ، ويثبتون عدم صحتها ، فهي اذن لا تمثل في نظرهم الانجيل الصحيح الذى أوتيه عيسى عليه السلام .

وننتهي مما قدمناه الى أن المسيح - عليه السلام - كان له انجيل مكتوب وأن هذا الانجيل ليس هو أحد هذه الاناجيل الأربعة التي سنتكلم عنها فيما بعد .

---

( ١ ) ابراهيم السليمان الجبهان : ما يجب ان يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٤١ ط ٦ .

٣ - ضياع انجيل عيسى - عليه السلام - :

يؤخذ مما قدمناه أن انجيل عيسى - عليه السلام - كان موجوداً في حياته وبعد مماته ، ولأمر ما ضاع هذا الانجيل ، أو لم يعثر عليه حتى الآن ، قد يكون ذلك الضياع يرجع الى ما تعرض له المسيحيون الأوائل من اضطهاد شديد أضاع ما في أيديهم وشغلهم عن كتابة شئ غيره بضع عشرات من السنين ، بعد رفع المسيح - عليه السلام - ظلوا ينتظرون خلالها رجوعه الثاني* الذى وعدوا به ، الى أن يئسوا من هذا الرجوع ، فكتبوا ما كتبوه من الأناجيل فيما بعد .

يقول أحمد عبد الوهاب في كتابه ( المسيح في مصادر العقائد المسيحية ) :
" لقد كان الاضطهاد اليهودي للمسيحيين شديداً ، ثم ما لبث هؤلاء أن تعرضوا للمذابح على أيدي حكام روما ، وسواء كانت اليد الخفية وراء ذلك الاضطهاد الروماني هي يد اليهود ، - كما هو شائع - عما حدث في روما تحت حكم نيرون ، أم لم تكن ، فالذى يعنينا هو أن تلك السنوات الأولى الهامة الحاسمة في تشكيل العقيدة المسيحية ، قد اتسمت من قبل السلطات المسؤولة - سواء كانت دينية يهودية أو دنيوية - باضطهاد دموي ، ومطاردات وتشريد ، وهو الأمر الذى ساعد على صد الطائفة المسيحية الجديدة عن الاهتمام بالكتابة ، وأعاقها عن التسجيل ، فاكتفت بمعتقداتها في المجئ الثاني ، وقعدت تنتظر الخلاص الوشيك .

ولكن لما أوشك الجيل الأول الذى عاصر المسيح على الانقراض ، وتباعد الأمل في تحقيق المجئ الثاني ، ظهرت الحاجة ماسة الى تدوين الذكريات ، وكان

---

* الرجوع الثاني أو المجئ الثاني : أى عودة المسيح ثانية الى الأرض في مجده .

هذا العمل من نصيب الجيل الثاني في المسيحية [١].

وهكذا بدأت كتابة الأناجيل بعد عشرات السنين ، من رحيل صاحب الدعوة ، وقتل وتشريد أغلب تلاميذه ، ومريديه ، وسط أجواء تغلفها الكآبة ، ويسودها الاضطراب .» [٢]

°°°

(١) ليس هذا صحيحاً ، فكتابة الأناجيل بدأت على يد أفراد من الجيل الأول ، كما سيأتي توضيحه بعد قليل .

(٢) ص٥٠ ، ٥١ .

٤ - كثرة الأناجيل في القرون المسيحية الأولى :

ولقد نشط المسيحيون فيما بعد في كتابة الأناجيل ، والرسائل ،الدينية التي تحكي حياة المسيح ، وأقواله ، حتى كان لديهم " في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة ،غير الأناجيل الأربعة ( المعروفة ) ، وكان لكل فرقة من فرقهم انجيلها أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها ، وتغفل ماعداها من الأناجيل ، أو تحكم بزيفها وبطلانها . فكان ثمة انجيل ينسب لمتّى غير انجيله، وانجيل ينسب لبرنابا ، وانجيل ينسب للحواري يعقوب ، وانجيل ينسب للحواري توماس. . . وانجيل ينسب للقديس نيكوديم * ، وانجيل يقال له : انجيل الاثني عشر ، وانجيل اشتهر باسم (التذكرة) ، وانجيل كان يسمى انجيل العبريين أو الناصريين ، وانجيل كان يسمى انجيل المصريين ، وكان لكل من أتباع ديصان * وأتباع ماني * ، وأتباع مرقيون * أو مرسيون ، وأتباع ابيون * ،انجيل خاص يختلف عن انجيل

---

* نيكوديم هو : "أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح ، وقد لقي المسيح ، وجرت له معه مناقشات في الشؤون الدينية ، وآمن برسالته ، وقد كتب انجيله باليونانية ، ويقصّ فيه بعض تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأخرى .
أنظر الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص٨٠ ، ٨١ ط١ .

ديصان هو : "أحد الأساقفة بالرها ، ومن القائلين بالاثنين ، ظهر في أيام مرقس أورليوس قيصر ،كان يسمى الشمس أبا الحياة ، والقمر أم الحياة . ويقول: إنه في أول كل شهر تخلع أم الحياة النور الذى هو لباسها وتدخل على أبي الحياة فيباشرها ، فتلد أولاداً يمدّون العالم السفلي بالنمو والزيادة".
أنظر : بطرس البستاني : دائرة المعارف جـ١ ص٨٣٤ .

" ماني بن فاتك ( ٢١٥-٢٧٦ ) مؤسس مذهب المانوية القائل بمبدأين : مبدأ الخير ، ومبدأ الشر، النور والظلام ،حيث كان أبوه فارسياً ينتمي الى شيعة ثنائية فأنشأه عليها ." =

من عداهم ."(١)

" ولم يكتب شئ من هذه الأناجيل فى زمان المسيح ، ولكن بعد انتهـــاء أمر المسيح بالخاتمة التى انتهى بها ، قام بعض التلاميذ ، وتلاميذهم ، وتلاميذ تلاميذهم ، وكتبوا قصصا كثيرة ، وكل واحد يسمى ماكتبه ( انجيلا ) ، حتى لقد قيل : انّ الأناجيل بلغت نيفا ومائة انجيل ."(٢)

ويسجل ( ول ديورانت )* هذه الظاهرة ، ظاهرة كثرة الأناجيل فى القـــرون

---

- أنظر منجد الأعلام ص٦٣١ ط٢٦ وكذلك يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانيـة ص٢٥٨ .

مرقيون أو مرسيون " كاتب مسيحى . نشر كتاب " المتناقضات" أظهر فيه الفـرق بين العهدين ( القديم والجديد ) ، ولم يعترف الا باله العهد الجديد ..." منجد الأعلام ص٦٥٦ ط٢٦ .

أبيون " فقيه لغوى ، اسكندرى ، عاش فى القرن الأول الميلادى ، واشتهــر ببحوثه عن هوميروس ، وبرسالته التى هاجم فيها اليهود مهاجمة عنيفة ، ملجئا بالمؤرخ اليهودى (يوسيفوس) الى كتابة رسالة للرد عليه . ورغم أنه وفرقتــه قبلوا المسيح الا أنهم قبلوه بمعنى المهدى المنتظر، ورفضوا الاقرار بألوهيتـه وولادته العذرية ." وتذكر بعض المراجع : أنه لايوجد شخص بهذا الاسم .

انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص٤٤ .

وانظر كذلك : الدكتور عبد المنعم الحفنى : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٤٣ . وانظر أيضا : ص ٢٨١ من هذه الرسالة .

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص٨٠ ، ٨١ ط١ .

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص٣٩٩ .

* " مؤرخ أمريكى حصل على الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩١٧م، ولـه مؤلفات عديدة ، أشهرها : قصة الفلسفة ، وقصة الحضارة ............ ويعتبر مؤلف قصة الحضارة من أعظم أعماله ." الموسوعة الأمريكية ج٩

المسيحية الأولى ، قبل اختيار الأناجيل الأربعة المعروفة فيقول :

" أما الأناجيل فليس أمرها بهذه السهولة ، ذلك أن الأناجيل الأربعة التي وصلت إلينا ، هي البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرا ، كانت في وقت ما منتشرة بين المسيحيين في القرنين الأول والثاني ." (١)

٥٥٥

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص٢٠٦ ط٣ .

٥ - اختيار الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية *:

ولقد أجمع على هذا الذى ذكرناه عن الأناجيل مؤرخو المسيحية ، وأنها ظلت رائجة بين المسيحيين ، حتى انعقد مؤتمر نيقية سنة ( ٣٢٥م ) فاختار من بينها الأناجيل الأربعة المعروفة ، وألغى جميع ماسواها من الأناجيل ، واعتبرها أناجيل كاذبة .

وفيما يلى كلمة موجزة عن كيفية اختيار هذه الأناجيل في مجمع نيقية :

ونعني بمجمع نيقية : المؤتمر المسيحي العام ، الذى دعا إليه الامبراطور الروماني ( قسطنطين ) سنة ( ٣٢٥م ) ، وكان قد تظاهر بالنصرانية سنة ( ٣٢٣م ) ، وذلك للفصل في المنازعات ، التى كانت تدور بين الطوائف المسيحية حول العقائد والأناجيل .

" والمجامع نوعان :

١ ) مجامع عامة أو مسكونية - على حد تعبيرهم - وهى تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء العالم .

٢ ) مجامع مكانية ، وهى التى تعقدها كنائس مذهب ، أو أمة في دوائرها الخاصة ، إمّا لاقرار عقيدة ، أو رفض عقيدة أخرى ." (١)

---

* نيقية : ( Nikaia ) مدينة قديمة في آسيا الصغرى . وهى المدينة التى اجتمع بها آباء الملة المسيحية عام ٣٢٥م ، وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر أباً ، وهو أول مجمع لهم فيها . وبه أظهروا ( الأمانة ) التى هى أصل دينهم ، وقد أصبحت عاصمة الامبراطورية البيزنطية عام ١٢٠٤-١٢٦١م .
أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٥ ص٣٣٣ .

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص١٢١ ط٣ بتصرف قليل جداً .

والأهمية القصوى في نظر المسيحيين والدارسين للمسيحية ، انما هي للمجامع المسكونية أو العامة ؛ لما كان لها من أثر في تاريخ الديانة المسيحية . ونحن في هذا المقام لا نعني - من بين هذه المجامع العامة - إلاّ بأولها ، وهو مجمع نيقية ؛ لأنه المجمع الذي تم فيه اختيار الأناجيل الأربعة المعروفة ، واعتمادها دون ماسواها من الأناجيل .

ويرجع انعقاد هذا المجمع الى سببين :

سبب عام : وهو اختلاف الطوائف المسيحية الأولى حول شخصية المسيح ، أهو رسول من عند الله ، أم له بالله صلة خاصة ، أكبر من كونه رسولا .

وسبب خاص ومباشر : وهو مادار من الخلاف بين أريوس ، وبين رجال كنيسة الاسكندرية . فيما كان يذهب اليه من التوحيد ، والقول بأن عيسى مخلوق وليس بإله . وقد انتهى المجمع المذكور من مناقشاته ، إلى تقرير ألوهية المسيح -عليه السلام - واختيار الأناجيل الأربعة المعروفة ، التي تتضمن تلك العقيدة ( المنحرفة ) ، مع إحراق ماعداها من الأناجيل ، باعتبارها أناجيل زائفة .

ونرجئ الحديث عن تفاصيل الخلاف الذي دار بين المسيحيين ، حول عقيدتهم في المسيح ، والتي كانت سبباً في دعوة قسطنطين لألفين وثمانية وأربعين من رجال الكنيسة ، للبتّ في هذه الخلافات العقدية بين الفرق المسيحية .

كما نرجئ الكلام عن كيفية اقرار هذا المجمع للعقيدة المسيحية التي انتهى اليها الى موضعه من الفصول التالية .

فالذي يهمنا هنا بالدرجة الأولى من قرارات هذا المجمع ، ماانتهى اليه من اختيار الأناجيل الأربعة المعروفة . ففي هذا المجمع تم اختيار أناجيل : (متى ومرقس ولوقا ويوحنا ) . من بين عشرات الأناجيل التي كانت منتشرة بين الطوائف

المسيحية ، خلال القرون الثلاثة الأولى ، فأصبحت هي الأناجيل المعتمدة لدى المسيحيين دون ما سواها ، بل إن الكنيسة حرّمت الاطلاع على الأناجيل الأخرى ، وأهدرت قيمتها . وهذا ما تحدّث عنه الكاتب المسيحي ، الذى هداه الله للاسلام (عبد الأحد داود الآشوري) حيث يقول :

"ان هذه السبعة والعشرين سفرا ، أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية* كتّاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة ، باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية ، إلاّ في القرن الرابع ، باقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ( ٣٢٥م ) ، لذلك لم تكن أي من هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة ، وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ، ومعهم عشرات الأناجيل ، ومئات الرسائل إلى نيقية ، لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة ، من أكثر من أربعين أو خمسين انجيلاً ، وتم انتخاب الرسائل الاحدى والعشرين** من رسائل لا تعد ولا تحصى ، وصودق عليها ، وكانت الهيئة التى اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التى قالت بألوهية المسيح ، وكان اختيار كتب العهد الجديد ، على أساس رفض الكتب المسيحية ، المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية ، واحراقها كلها ."(1)

---

* يعني بذلك كتّاب الأناجيل الأربعة ، وكتاب بقية رسائل العهد الجديد .

** ماعدا أعمال الرسل ورؤيا يوحنا فهما سفران .

(1) الانجيل والصليب ص١٤ . وعن مجمع نيقية وقراراته : انظر: ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٣ ص٢٢-٢٤

وكذلك ابن القيم : هداية الحيارى ص١٧٤ ، ١٧٥ ،

وكذلك اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ ص٢٧٢ ، ٢٧٣ .

وهكذا يتضح لنا ، أن ما وافق أهواء القوم أقروه ، وما خالفها رفضوه ، فاختيار المجمع لهذه الأناجيل الأربعة دون ما سواها ، انما هي عملية وافقت هوى في أنفسهم ، فهي الوحيدة من بين الكثرة الساحقة من الأناجيل التي تثبت ألوهية المسيح ، التي أقرها المجمع ، وفرضها على الناس فرضا ، بقوة السلطان وجبروته .

وكان ذلك بمثابة ايذان باعتناق الوثنية الباطلة ، بدلا من المسيحية الصحيحة الحقة بصفة رسمية .

يقول ول ديورانت في ذلك :

" وصدر مرسوم امبراطوري ، يأمر باحراق كتب آريوس جميعها ويجعل اخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالاعدام ."(1)

" وكان في الوقت نفسه ايذانا ، باستبدال المسيحية بالوثنية ، وجعلها المظهر الديني ، والعضد القوى ، للامبراطورية الرومانية .

وهكذا بدأت حضارة جديدة ، مؤسسة على دين جديد ، تقوم على أنقاض ثقافة ضعضعة ، وعقيدة محتضرة ."(2)

وفيما يلي من صفحات ، سنرى أن الأمر لم يقتصر على اختيار الأناجيل الأربعة فقط ، بل حتى هذه الأناجيل الأربعة لم تسلم من التحريف .

°°°

---

(1) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٣٩٦ ط ٣ ترجمة محمد بدران .

(2) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

ب ـ الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصـــــارى

◊

قلنا فيما سبق : إن مجمع نيقية قد انتهى الى اختيار الأناجيل الأربعـــــة ، المنسوبة الى متّى ومرقس ولوقا ويوحنا ، واعتمدها دون ماسواها .

وذكرنا الأسس التي اعتمد عليها المجمع في اختيارها ، وإهدار قيمــــــة ماعداها .

ولنأخذ الآن في التعريف بهذه الأناجيل ، وكاتبيها ، قبل أن نضعهـــا موضع النقد والتمحيص .

وسنبدأ الحديث عن الأناجيل الأربعة المعتمدة ، بانجيل متّى ، ثم مرقس ، ثم لوقا ، ثم يوحنا ، وذلك تمشياً مع الترتيب الموجود حاليا في الكتاب المقدس.*

١ - انجيل متّى :-

( متّى ) اسم مشتق من الاسم العبري ( مثيتا ) ، الذى معنـــــــاه ( عطية يهوه ) ،أى عطية الله ، ويدعى لاوي بن حلفي ، وهو أحد الحواريـــين الاثني عشر ، وكان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب** للرومان ، في كفرناحوم من أعمال الجليل بفلسطين . وقد اختاره المسيح تلميذاً له ، حيث جاء في الاصحاح

---

* يقال : إن انجيل ( مرقس) هو أقدم الأناجيل تاريخاً ، وحيث إن ( متّى ) رتّب إنجيله حسب الموضوعات ، وليس حسب الوقائع ، فجمع أعمال المسيح وأقواله حسب مشابهاتها ، فبدا النظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم ، وليس ناسخاً له ، وبذلك استحق انجيله أن يوضع في صدر العهد الجديد ، لكونه حلقة الاتصال بين العهدين ( القديم والحديث ) ، وبين النامــوس والانجيل .

أنظر الدكتور عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٢٠٠ .

** جباة الضرائب هم العشّارون الذين كانوا يأخذون عُشر المحاصيل وغيرها ، =

التاسع من انجيل متّى :

"وبينما كان يسوع سائراً ، رأى شخصاً جالساً ، عند مكان الجباية اسمه ( متّى ) ، فقال له : اتبعني ، فقام وتبعه ."(١)

ولما صعد المسيح إلى ربّه جال ( متّى ) للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة ، داعياً للمسيحية ، مبشّراً بها، وكان موطن دعوته ـ كما يروي مؤرخو المسيحية ـ هو الحبشة .

ومات في سنة ( ٧٠م ) ببلاد الحبشة ، على أثر ضرب مبرح ، أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة .

وفي رواية أنه طعن برمح ، في سنة ( ٦٢م ) بالحبشة .(٢)

وقد تضاربت الآراء ، واختلفت ، بخصوص اللغة الأصلية للانجيل ـ الذي كتبه متّى ـ وحول من قام بترجمته ، على النحو الآتي :

١ ـ ذهب أكثر الكتاب الى أن ( متّى ) كتب انجيله أولاً بالعبرية أو الآرامية

---

= ضريبة لبيت المال ، وكان اليهود يزدرون الجباة ، ويحتقرونهم ؛ لما تنطوي عليه مهنتهم من الظلم والعنف .

(١) فقرة ٩ .

(٢) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤١، ٤٢ ط٣ .
وكذلك : الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص٥٧ ط١ .
وكذلك : عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠ .

التي كانت لغة فلسطين في تلك الأيام ، وذلك لأنه كتبه لليهود ، يبشر بالمسيحية بينهم ، وليقرأه مؤمنوهم بها . قال جيروم* :

"إن متّى كتب الانجيل باللسان العبري ، في أرض يهودية ، للمؤمنين من اليهود ".

وذكر ابن البطريق** : "إن متّى كتب انجيله بالعبرانية في بيت المقدس."[1]

ويقول جرجس زوين*** اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية :

" ذهب بانتيوس ليكرز بالايمان المسيحي في الهند ، فوجد إنجيلا لمتّى الرسول ، مكتوباً بالعبرانية ، فجاء به الى الاسكندرية ، وبقي محفوظا

---

* جيروم هو أحد الآباء الذين كُلفوا في القرن الخامس الميلادي ، بوضع نظام علمي للاهوت ، يقنع المثقفين ، الذين ألفوا التفكير الكلاسيكي .
راجع Ou Gheane of crt Tome 111.P 18
نقلا عن الدكتور رؤوف شلبي : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٣ ط٢ .

** سعيد بن البطريق (٨٧٧-٩٤٠م) من أشهر مؤرخي المسيحية ، عرف عند الأفرنج باسم ( أوطيخيوس ) . بطريرك الاسكندرية ، كان طبيباً ومجادلاً ومؤرخاً ، له مختصر في التاريخ العام سماه ( نظم الجوهر ) ، وهو الكتاب الذي اطلع عليه ابن تيمية واستعان به في سرد تاريخ النصرانية في كتابه ( الجواب الصحيح ) ، كما ردّ على بعض ما ورد فيه من الناحية العقدية . انظر : منجد الأعلام ص٣٥٦ ط٢٦ .

(1) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٣ وكذلك د : رؤوف شلبي : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ص١٤٩ ط٢ .

*** هو جرجس بن سمعان (١٨٣٠-١٨٩٢ م ) ، كاتب صحافي ، ولد في قرية بحشوش ، بلبنان ، حرر في مجلة المجمع الفاتيكاني ، وجرائد التهشير ، ولسان الحال وغيرها . من آثاره :
الرد القويم على ميخائيل مشاقة . انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين جـ٣ ص١١٩ .

فى مكتبة قيصرية إلى أيام القديس ابرينموس ، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت ، وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية.[1]

٢ - وذهب آخرون : الى أنه كتب أصلا باليونانية ، كما هو الآن ، وليست النسخة اليونانية ترجمة لغيرها ، بل هى النسخة الأصلية . يقول الدكتور بوست* :

"ان هناك من يقول : إنه كتب باليونانية[2] . ثم يرجح أنه ألف باليونانية مخالفا بذلك رأي الكثرة فى كتابته بالعبرانية ."[3]

وسواء كتب انجيل متّى بالعبرية أو باليونانية ، وسواء كانت النسخة اليونانية الموجودة نسخة أصلية ، أو مترجمة ، فهذا لا يغيّر من طبيعة الموضوع بالنسبة لنا . فالنسخة العبرية مفقودة فى نظر من يقول بها ، ولا توجد إلاّ النسخة

---

(١) أنظر الشيخ : محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٣ ط٣ دون أن يعين اسم الكتاب ورقم الصفحة التى استقى منها النص .

* هو جورج بوست (١٨٣٨-١٩٠٩م) طبيب أمريكي مستشرق ولد فى نيويورك وتعلّم بها ، ورحل الى سوريا ، وتعلّم العربية ، فلما أنشئت الجامعة الأمريكية فى بيروت ، عيّن أستاذا للطب والنبات فيها ، أقام ببيروت حتى توفي بها ، له مؤلفات بالعربية منها :
"نبات سوريا وفلسطين ومصر و"مبادئ علم النبات"
وقد أعدّ "فهرس الكتاب المقدس" و" معجم الكتاب المقدس". أنظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص٤٣٤ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ، ٤٣ ط٣
وكذلك الدكتور علي عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ص٦٥ ط١
وكذلك أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٤٩ .

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٢ ، ٤٣ ط٣ .

اليونانية،التى ترجمت إلى اللغات الأخرى ، وإلى هذه النسخة ، وإلى ترجماتها ، يرجع المتدينون والباحثون على السواء ، وإن كنّا نلاحظ ـ كما قدمنا ـ أنه ليس هناك مايؤكد أن متّى كتبها بهذه اللغة ؛ لما فى ذلك من المخالفة ، لما تذهب إليه الكثرة الغالبة من المسيحيين .

" ويبدو أن آباء الكنيسة القديمة كانوا يرون أن ( متّى ) هو الذى ترجم انجيله الى اليونانية ، ولهذا كانوا يستشهدون به ".(١)

وإن كنت لا أرى مايؤكد أن ( متّى ) هو الذى ترجم انجيله بنفسه ،على القول بأنه كتبه أولاً باللغة العبرانية ، فقد فُقدت هذه النسخة العبرية ، لكن متى فُقدت ؟ هل فُقدت قبل موت ( متّى ) فيكون هو الذى ترجمها الى اليونانية، أو أمر بترجمتها ؟

أم فُقدت بعد موته ، ويكون غيره هو الذى ترجمها إلى اليونانية قبل فقْد النسخة العبرية ؟

أياً كان الأمر ، فقد ضاعت النسخة العبرية ، ولم يبق إلاّ النسخة اليونانية ، سواء كانت ترجمة (متّى ) نفسه ، أو ترجمة غيره ، وإن كان ذلك الـ( غير) لم يعرف حتى الآن ، ولم تعرف أحواله ، فهى ترجمة مفقودة الاسناد .

يقول صاحب اظهار الحق :

"الانجيل الذى ينسب إلى متّى الآن ، وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ، ليس من تصنيفه يقيناً ، بل ضيعوه بعدما حرّفوه ، لأن القدماء المسيحيين كافة ، وغير المحصورين من المتأخرين ، على أن انجيل ( متّى ) كان باللسان العبرانى ،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٢ ط٢ .

وقد ضاع وفُقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية ، والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم اسناد هذه الترجمة ، حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا الى هذا الحين ، كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم أحوال المترجم".[1]

ويرى ابن البطريق ، أن يوحنا ـ صاحب الانجيل ـ هو الذى ترجم انجيل ( متّى ) إلى اليونانية ، لكنه لم يقدم لنا الدليل ، على صحة قوله هذا ، مخالفاً فيه قول الغالبية من المؤرخين ."[2]

أما من ناحية تاريخ التدوين والترجمة لهذا الانجيل ، فنجد البون شاسعاً ، والاختلاف كبيراً ، والتضارب في الأقوال والآراء ، أكثر بكثير من الاختلاف في لغة هذا الكتاب ومترجمه .

يقول ابن البطريق :

ان انجيل متّى دوّن في عهد قلوديوس قيصر الرومان[3]

---

(١) رحمة الله الهندي . جـ١ ص٤٢٣ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٢ ط٣ .
وكذلك : الدكتور على عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة ص٥٦ ط١
وكذلك : د . عبدالمنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠ .

(٣) المراجع السابقة نفسها وكذلك الصفحات . وارجع إلى أوّل مذكور .

ويستنتج الشيخ محمد أبو زهرة ، من كلام ابن البطريق هذا ، احتمالات عدة ، في السنة التي ألّف فيها ( متّى ) انجيله فيقول :

يلاحظ أن ابن البطريق ، لم يعيّن السنة التي كتب فيها ( متّى ) انجيله ، بل عيّن الملك الذي كتب في عهده ، وهذا الملك لم يكن هو الذي عاصر المسيح ، ولا الذي يليه ، بل الذي عاصر المسيح ، وصلب -على زعمهم - في عهده طيباريوس* وولي من بعده غابيوس ، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر، ثم جاء من بعده قلوديوس ، وملك أربع عشرة سنة . فيحتمل تدوين هذا الانجيل أن يكون في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، ويحتمل أن يكون في أول أو آخر العشرة الخامسة ، أو أوائل السادسة ، فكلام ابن البطريق يحتمل كل هذا .[1]

ويقول جون فنتون ( عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بانجلترا ) :

ان انجيل ( متّى ) كتب في حوالى الفترة من ٨٥ إلى ١٠٥ م.[2]

ويذكر جرجس زوين اللبناني : "أن ( متّى ) كتب بشارته في أورشليم سنة ( ٣٩م ) للمسيح ."[3]

---

* طيباريوس قيصر : هو الامبراطور الروماني الثاني ولد سنة ٤٢ ق .م .وتوفى سنة ٣٧م . أنظر قاموس الكتاب المقدس . لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٥٨٤ ط٢ .

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٢ ط٣ .
وكذلك : الدكتور : عبدالمنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٢٠٠ .

(٢) تفسير انجيل متّى ص١١ . نقلاً عن المهندس احمد عبد الوهاب : كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٥٩ ط١ .

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٢ ط٣ .

وتقول دائرة معارف القرن العشرين :

"إن انجيل متّى هو أقدم الأناجيل الأربعة ، كتب بعد عيسى - عليه السلام - بثلاثين سنة فى أورشليم باللغة العبرية ." (١)

وذهب البعض الى أن انجيل متّى كتب قبل خراب أورشليم .

وذهب بعض القدماء الى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود .

وآخرون الى أنه كتب فى الخامسة عشرة .

ويظن البعض أنه كتب بين سنة ٦٠ ، ٦٥م ." (٢)

ويقول هشورن* :

"ألّف الانجيل الأول سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ ، أو سنة ٦٢ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد ." (٣)

ويقول صاحب ذخيرة الألباب** :

"ان متّى كتب انجيله فى السنة الواحدة والأربعين للمسيح ." (٤)

وهكذا لم يسلم هذا الانجيل من الاختلاف فى تاريخ كتابته ، كما لم يسلم - قبلُ - من هذا الاختلاف حول لغته التى كتب بها ، وحول من قام بترجمته ، أو التاريخ الذى تمت فيه هذه الترجمة .

---

(١) دكتور محمد فريد وجدى ج١ ص٦٥٥ مادة ( انج ) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس/ لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٣٣ ط٢ .

* هو : فيليب دى مونتورنسى (١٥١٨-١٥٦٨م) هولندي الأصل ، اشترك مع (أجمونت) فى الاحتجاج على أعمال أسبانيا فى هولندا ، أُعدم بعد محاكمة غير نظامية . انظر محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص١٩١ .

(٣) الشيخ محمد أبوزهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٣ ط٣ .

** هو محمد بن عبد النبى النيسابورى الشيعى الاخبارى .

(٤) المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

٢ - انجيل مرقس :

ومرقس اسمه يوحنا ، أما كلمة مرقس فهي لقب له[1] ، وهي اسم لاتيني ، معناه ( المطرقة ) .[2]

وهو من أوائل الذين آمنوا بالمسيح ، وأجابوا دعوته ، لكنه لم يكن من الحواريين الاثني عشر ، الذين اختصّهم المسيح بالزلفى إليه .

وقد جعله المسيح من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس - في اعتقادهم - من بعد رفع المسيح ، وأُلهموا بالتبشير بالمسيحية ، كما أُلهموا حادثها .[3]

وأصله من اليهود القاطنين في شمال افريقيا ، ثم هاجر أبواه الى فلسطين ، وأقاما في أورشليم . وهو ابن أخت برنابا كما جاء في رسالة بولس الى أهل كولوسي ،[4] وهو أول من دعا الى المسيحية في مصر ، وأسس فيها بطرياركية الاسكندرية . وكان ينكر ألوهية المسيح ، واستمر بمصر الى أن ائتمر به الوثنيون ، فسجنوه ، وعذبوه ، وقتلوه ، وكان ذلك سنة ٦٢م ، وقيل سنة ٦٧م .[5]

---

(١) أعمال الرسل ١٢ : ١٢ ، ٢٥ وكذلك الاصحاح ١٥ : ٣٧ من نفس السفر .
(٢) قاموس الكتاب المقدس / لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٥٣ ط٢ .
(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٤ ط٣ .
(٤) ٤ : ١٠ .
(٥) أنظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٥٤ ط٣ .
وكذلك : الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص٦٢ ط١ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص١٥٣ ط٢ .

وفيما يتعلق بمدى صحة نسبة انجيل مرقس اليه ، فان الأمر يدور بين قولين :

الأول :

يذهب ابن البطريق الى أن بطرس - رئيس الحواريين - هو الذى كتب الانجيل ، ونسبه الى مرقس . يقول فى ذلك :

"ان بطرس رئيس الحواريين هو الذى كتب انجيل مرقس ، فى مدينة رومية ، ثم نسبه الى مرقس ." (١) أى أن مرقس ليس هو الكاتب الحقيقى للانجيل المنسوب اليه ، ولا ندرى لماذا يفعل بطرس هذا ؟ ولماذا لا ينسب الانجيل الى نفسه اذا كان هو الذى كتبه ؟

أما القول الثانى :

فهو قول "ايرينيوس" - أحد آباء الكنيسة الأولين - وهو أن مرقس كتب انجيله بعد موت بطرس وبولس .* (٢)

---

(١) أنظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٥٤ ط٣ .
وكذلك . الدكتور على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص٦٢ ط١ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص١٥٣ ط٢ .

* قتل بولس سنة ٦٧ أو سنة ٦٨م حسبما يذكر ذلك صاحب قاموس الكتاب المقدس (ص١٧٧ ) ط٢ . أما بطرس فقد وصف المؤرخون كيفية سجنه وصلبه بالتفصيل ، غير أنه لا يستطيع أحد تأكيد أين ومتى كان ذلك بالضبط .
ويقال : ان بطرس قتل عام ٦٥م . انظر الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ ص١٥٥ ط٢ .

(٢) محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٦ ط٣ .

ومعنى ذلك :

أنه هو كاتبه الحقيقي ، وليس لغيره دخل فيه ، وهذا هو الذى يجرى عليه العمل بين المسيحيين .

أما من ناحية اللغة التى كتب بها انجيل مرقس ، فقد اتفق المسيحيون على أنه كتب باللغة اليونانية ، وعليه تهميشات باللاتينية ، ولم نر أحدا منهم ناقش ذلك .

وقد أكد ذلك صاحب قاموس الكتاب المقدس وغيره من كتاب المسيحية .(١)

ولو نظرنا الى تاريخ التدوين لهذا الانجيل ، لوجدنا أن الكتّاب المسيحيين قد اختلفوا فى زمن تأليف انجيل مرقس على أقوال :

١ ) فمنهم من يقول : انه ألف زمن بطرس ، وبولس ، ولكنهم لا يتفقون على عام معين .

يقول صاحب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ،

قد زعم أن انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس عام ٦١ م .

ويقول المستر ( هورن ) فى تفسيره المجلد الرابع :

ألف الانجيل الثانى سنة ٥٦ ، أو ما بعدها ، الى سنة ٦٥ م ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ م .(٢) وهى السنوات التى عاشها بولس وبطرس .

---

(١) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٥٤ ط٣ .
وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤ ، ١٥٥ .
وكذلك قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوى الاختصاص من اللاهوتيين ص٨٥٥ ط٢ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٥٤ ط٣ .
وكذلك الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤ ، ١٥٥ .

٢ ) ومنهم من يقول : انه ألّف بعد موتهما ( أى بطرس وبولس ) وهؤلاء أيضا لا يتفقون على عام معيّن (١) فقد قال ايرينيوس :

" بعد أن نادى بطرس وبولس بالانجيل في روما ، وبعد انتقالهما (أوخروجهما ) ، سلّم لنا مرقس كتابه ، مضمون ما نادى به بطرس ." (٢)

" واذا كان الأمر كذلك ، فربما كتب هذا الانجيل بين عام ٦٥م وعام ٦٨م ." (٣)

• ويرى الدكتور فريد راك كلفتن جرانت* : أن انجيل مرقس هو أقدم الاناجيل ، اذ كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاما ، أى عام ٦٨م تقريبا . (٤)

وهناك حقيقة مثيرة في انجيل مرقس ذكرها ( وليم باركلي ) مفسر هذا الانجيل ، وهي :

" ان انجيل مرقس يتوقّف في نسخه الاصلية الى حدّ الاصحاح السادس عشر ، فقرة ( ٨ ) . أما الفقرات الباقية من ( ٩ — ٢٠ ) في نفس الاصحاح فليست موجودة في أقدم النسخ وأصحها ، كل ما هنالك هو أنها وجدت مؤخرا في نسخ أقل قيمة ، ومتأخرة في ترتيبها الزمني ، كما أن أسلوبها اللغوى يختلف عن بقية

---

( ١ ) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص٥٤ ط ٣ . وأنظر كذلك الدكتور رؤوف شلبى / ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٤ ، ١٥٥ . وانظر كذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي / الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص٦٥ ط ١ .

( ٢ ) لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين / قاموس الكتاب المقدس ص٨٥٥ ط٢

( ٣ ) المرجع لسابق .

* هو أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادى بنيويورك — انظر الاناجيل (أصلها وتطورها ) ص٢٠ ، ٢١ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب / المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٣١ ط ١ .

( ٤ ) على القول المرجّح بأن رفع المسيح كان سنة ٣٣ م .

الانجيل ، حتى أنه يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الانجيل .

ومن الناحية الأخرى ، نجد أنه من غير المعقول أن يتوقف مرقس عند (١٦ : ٨) ، فهي نهاية فجائية تعسفية . ولهذا فأمامنا أحد احتمالين :

الأول : إمّا أن يكون مرقس قد استشهد قبل أن يتم كتابة انجيله ، وهذا بعيد الوقوع .

وإمّا - وهذا أقرب الاحتمالين - أن تكون النسخة الأصلية للانجيل قد بلي جزؤها الأخير ، فلقد جاء وقت أهملت فيه الكنيسة انجيل مرقس ، وفضلت عليه انجيلي متّى ولوقا .

ومن الجائز جداً أن تكون جميع نسخ هذا الانجيل قد ضاعت ، ولم تبق منها سوى نسخة واحدة بلي جزؤها الأخير . فإذا كان الأمر كذلك ، فلقد كانت الكنيسة اذن في خطر فَقْدِ أهم انجيل كتب عن حياة ابن الله[1] .»

وهكذا نرى أن «افتقار الانجيل الثانى الى معرفة صاحبه الذى كتبه والتاريخ الذى كتب فيه . . . هذا الافتقار كفيل بأن يجعل الانجيل الثانى ليس على درجة من الثبات تجعله كتابا مقدسا .»[2] بل ذلك ما يقدح فى قدسية هذا الانجيل وأنه بالهام من الله .

---

(١) تفسير العهد الجديد (انجيل مرقس) نقله الى العربية الدكتور القس فهيم عزيز ص١٤ ، ١٥ بتصرف قليل .
وانظر كذلك : موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٨٦ .
وعن الحاقية هذه الفقرات فى انجيل مرقس أنظر ص٩٤/٨ من هذه الرسالة .

(٢) الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٦ ط٢ .

٣ - انجيل لوقـــا :

"لوقا اسم لاتيني ، ربما كان اختصارا لـ (لوقانوس )أو (لوكيوس ) [1]

ولد في أنطاكية ، ودرس الطب ، وزاول مهنته بنجاح ، وهو ليس من الحواريـــين ، ولا من السبعين المختارين ، الذين نزل عليهم الروح القدس - في زعمهـــم - وإنما هو تلميذ بولس ، ورفيقه في أسفاره ، وأعماله ، وهذا محل اتفاق مـــن المسيحيين [2] ، وهو كاتب الانجيل الثالث ، وأعمال الرسل - حسب اعتقادهم - ، وقد كتب انجيله الى شخص شريف ، يدعى (ثاوفيلس)* [3] .

وتؤكد الفقرات الأولى من الاصحاح الأول لهذا الانجيل أن لوقا كتـــب انجيله الى رجل يسمى ( ثاوفيلس) ، تقول الفقرات :

"إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمهـــا إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضـــا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٢٢ ط٢ .

(٢) أنظر : الاصحاح الرابع من رسالة بولس الى أهل كولوسي ، والاصحـــاح الرابع من رسالة بولس الثانية الى أهل تيموثاوس ، ورسالة فليمون . ففـــي هذه الرسائل مايدل على رفقة لوقا لبولس في أسفاره وأعماله .

* ثاوفيلس هو أحد المسيحيين من أصل أممي وهو من عظماء الروم .

(٣) أنظر : قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٢ ط٢ .
وانظر : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٦ ط٣ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢ .

إذ تتبعت كل شئ من الأول ، أن أكتب على التوالي اليك أيها العزيز (ثاوفيلس)، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به ."[1]

" وقد أوضح ابن البطريق فى تاريخه ، أن المراد من لوقا هو لوقا الأنطاكى الطبيب."[2] ولكن الدكتور بوست يذهب الى "أن لوقا ـ صاحب الانجيل الثالث كان رومانياً ، نشأ فى ايطاليا ."[3]

" وبيّن أن الذين يقولون إنه أنطاكي ، وهموا ذلك ، أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس*."[4]

وهكذا نراه مجهول النسبة الى موطن معين . فمن قائل : إنه أنطاكي ولد بأنطاكية . ومن قائل : إنه روماني ، ولد بايطاليا .

---

(١) ١ : ٤

(٢) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٦٤ط٣ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢ .

(٣) الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢ .

* لوكيوس المشار اليه هو أحد القناصل الرومان فى سنة (١٣٩ ق٠م٠)
أنظر قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٤ .

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٤٧ .

أما من ناحية الصناعة : فنرى أن كون ( لوقا ) طبيباً ، لم يكن محل اتفاق من المسيحيين ، بل " من المؤرخين المسيحيين من يقرر أن لوقا كان مصوراً ، ولم يكن طبيبا ." (١)

أما الدكتور موريس بوكاي* فيرى أن " لوقا أديب وثني ، آمن بالمسيحية ، واتجاهه الى اليهودية يتضح مباشرة ." (٢)

ويؤكد ذلك الأب كانينجسر ( R.P.Kannengiesser ) ـ أستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس ـ فيقول :

" لوقا هو أكثر كتّاب الأناجيل الأربعة ارهافا في الحسّ ، وأكثرهم ميلاً للأدب ،

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٧ .
وانظر كذلك : الدكتور احمد شلبي : المسيحية ص٢١٢ ط٥ .
وكذلك : الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص٦٣ .
وكذلك الدكتور رؤوف شلبي : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٧ ط٢ .

* د. موريس بوكاي هو طبيب فرنسي ، عمل في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية بضع سنوات وعندها اطلع على ترجمة تفسيرية للقرآن الكريم فذهله ما وجد من توافق تام بينه وبين العلم الحديث وخاصة في مجال الطب ، فاعتنق الاسلام .
ألف كتاب يقارن فيه الكتب المقدسة ( التوراة والانجيل والقرآن الكريم بالعلم الحديث ) ألفه بالفرنسية وترجم الى الانكليزية والعربية . وسماه ( دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ) طبع أربع مرات ونشرته دار المعارف بمصر ودار الكندي ببيروت .
نقلا عن : سارة العبادي : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ص٣٦ .
ولم تشر الى المصدر الذي أخذت عنه هذا التعريف .

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٧ ط٤ .

انه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي ."[1]

إذن كاتب انجيل لوقا مجهول الصنعة ، فمن قائل : إنه طبيب ، ومن قائل: إنه مصور ، ومن قائل : إنه أديب .

والمسيحيون يختلفون كذلك في القوم الذين كُتب لهم هذا الانجيل فبعضهم يقول : إنه كتب لليونان . وهناك من يقول : إن لوقا كتب انجيله للمصريين ، لأن (ثاوفيلس) هذا مصري وليس يونانياً ، فهو إذن قد كُتب للمصريين وليس لليونانيين .[2]

إذن كاتب انجيل لوقا - كما ذكرنا - مجهول النسبة ، مجهول الصنعة مجهول القوم الذين وجّه اليهم لوقا انجيله .

أما لغة تدوين هذا الانجيل ، فيتفق المؤرخون المسيحيون جميعهم، على أن لغة التدوين التي كتب بها لوقا الانجيل الثالث هي اللغة اليونانية .[3]

أمّا عن تاريخ تدوينه فيقول الدكتور بوست:

" كتب هذا الانجيل ( أي انجيل لوقا ) قبل خراب أورشليم* ، وقبل الأعمال ، ويرجح أنه كتب في قيصرية بفلسطين ، في المدة التي كان بولس فيها أسيراً ، ما بين

---

(١) انظر: الدكتور موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٩ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٨ ط٣
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبي : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٨ ط٢ .

(٣) المرجعان السابقان نفسيهما .

* أي قبل خراب أورشليم الثاني - حيث إن أورشليم تعرضت للخراب مرتين الأولى على يد بختنصر عام (٥٨٦ ق .م .) والأخرى على يد تيطس الروماني سنة (٧٠م) .

عام ( ٥٨ ) الى ( ٦٠ ) من الميلاد ، غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك ."[1]

" وهذا القول معناه : أن ( بوست ) يرى أن ( لوقا ) كتب انجيله و (بولس) مازال حيا .

ولكن نرى العلامة ( لارون ) يقرر : أن لوقا قد حرر انجيله بعد موت بطرس وبولس . بينما يرى المستر ( هورن ) أن الانجيل الثالث ألف سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤م . على حسب عادته المألوفة في ذكر السنين دون تدليل أو ترجيح ."[2]

وورد في قاموس الكتاب المقدس :

"ان تاريخ كتابة انجيل لوقا يتوقف الى حد كبير على تعيين تاريخ كتابة سفر الأعمال ، وقد كتب حوالي سنة ٦٢ -٦٣م .

لذا فكل الدلائل تشير الى أن هذه البشارة كتبت حوالي عام ٦٠م ."[3]

" ويمكن تقدير تاريخ انجيل لوقا بالنظر الى عوامل عدة ، فقد استعان لوقا بانجيلي ( مرقس ومتى ) ـ كما تقول الترجمة المسكونية ـ ، فيبدو أنه قد عايش حصار القدس ، وتدميرها ، تحت جيوش تيتوس عام ( ٧٠م ) . وعلى ذلك يكون هذا الانجيل لاحقا على ذلك التاريخ . ويحدد النقاد الحاليون غالبا تاريخ تحريره بما بين ( ٨٠-٩٠م ) ، ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه الى تاريخ أكثر قدما ."[4]

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٨٤ ط٣ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٨ ط٢ .

(٢) المرجعان السابقان . وارجع لثاني مذكور .

(٣) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص٨٢٣ .
وانظر كذلك هلال أمين موسى : تفسير انجيل لوقا ص٤ .

(٤) الدكتور موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٨٨ .

• وقبل أن ننهي كلامنا عن انجيل لوقا المقدس ـ في زعمهم ـ تتوارد على الذهن أسئلة عديدة : من هو كاتب الانجيل ؟

وما هي جنسيته ؟

وما هي صناعته ؟

ومن هم القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل ؟

وما هو الزمن الذي وقع فيه تدوين هذا الانجيل ؟

فلئن أجابوا .... فإنما تكون اجاباتهم قوامها التخمين والحدس الذي تمليه أمزجة أصحاب النحل التي تتبع الهوى والتعصب .

فهل يقال لمثل هذا الانجيل الفاقد للسند ، والصاحب والأصل ، إنه كتاب مقدس ؟ ! »[1]

٥٥

(١) الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٥٩ ط٢ .

٤ - انجيل يوحنا :

"يوحنا هو من كبار الحواريين الاثني عشر ، وهو ابن زبدي ، وزبدي من السابقين الأولين الى المسيحية ، ومن كبار دعاتها ، وأمه سالومي ، قديسة شهيرة ، وهي على الأرجح أخت مريم أم يسوع ، وقد جاءت من زبدي بيوحنا وأخيه يعقوب الكبير ، وهو من كبار الحواريين الاثني عشر أيضا . ويقول التاريخ المسيحي :

إن المسيح نفسه قد بارك هذين الأخوين ، لمّا قدمتهما اليه سالومى . وكان يوحنا أحب الحواريين الى المسيح ، وأقربهم الى قلبه . لذلك أطلق عليه اسم : (الحواري الحبيب) أو (التلميذ الحبيب ).(١)

وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة ، ـ كما هي عادة اليهود ، والتي تقضي على أولاد الأشراف أن يتعلموا حرفة ما ـ .

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين ، وهو آخرها تأليفاً ، وثلاث رسائل من الرسائل الكاثوليكية ، ورؤيا يوحنا ."(٢)

وجمهور النصارى ، على أن كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ابن زبدي الصياد ."(٣)

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ٢٠ : ٢ ، ١٣ : ٢٣ و ١٩ : ٢٦ ، ٢١ : ٧ و ٢٠ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس لمنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص ١١٠٨ ، ١١٠٩ .

وانظر كذلك الدكتور : علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص ٦٥ ط ١ .

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٤٨ ط ٣ .

" لكن هناك من محققي المسيحيين من أنكر أن يكون كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحواري ، بل كتبه يوحنا آخر ، لا يمتّ إلى الأول بصلة روحية ، ولم يردّ أحد انكارهم ممن وُجدوا في ذلك الوقت ." (١)

وهناك من يقول : " ان الانجيل الرابع ، وكذلك الرسائل المنسوبة الى يوحنا . . . . إنما صنّفها شخص مجهول ، وذلك في ابتداء القرن الثاني ." (٢)

ويظن البعض : أن كاتب هذا الانجيل شخص آخر يدعى ( يوحنا الشيخ ) الذي جاء ذكره في أوائل القرن الثاني الميلادي ." (٣)

ونرى الباحث والمؤرخ المسيحي (وول ديورانت) يعترف بالتناقضات الحاصلة بين انجيل يوحنا والأناجيل الثلاثة الأخرى ، وينقل شكوك الباحثين المسيحيين ، في نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحواري . فيقول :

"إن " انجيل يوحنا يناقض الأناجيل الأخرى في كثير من التفاصيل ، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح . وإن ما يصطبغ به الكتاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين : بأن الخلاص لا يكون بالايمان ، بل بالمعرفة ، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية ، قد جعلا الكثيرين من الباحثين في الدين المسيحي يشكّون في صدق القول بأن واضعه هو الرسول يوحنا ." (٤)

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص٤٩ .
وانظر كذلك : الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٦١ طـ٢ .

(٢) المرجعان السابقان، وارجع الى ثاني مذكور.

(٣) قاموس الكتاب المقدس : لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص١١١٠ طـ٢ .

(٤) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٢٠٩ طـ٣ .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية التي هي زبدة أفكار خمسمائة عالم من علماء النصارى مانصه :

"أما انجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزوّر ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان ( يوحنا ومتّى ) ، وقد ادعى هذا الكاتب المزوّر في متن الكتاب ، أنه هو الحواري الذى يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاّتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها ، وبين من نسبت إليه .

وانا لنرأف ونشفق ، على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذى ألّف هذا الكتاب فى الجيل الثانى ، بالحوارى يوحنا الصياد الجليلي ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى ، بخبطهم على غير هدى[1] ".

اذن من هو مؤلف هذا الانجيل ؟

ومن يكون ذلك الرجل الفلسفي الذى ألّف هذا الكتاب ونسبه الى يوحنا ؟

"الاجابة سهلة ، فالتأليف الفلسفي روح مدرسة الاسكندرية ، وعقيدة التثليث عقيدة مدرسة الاسكندرية .

ولعل الأستاذ (استادلن) على حق حينما قال :

"إن كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ."[2]

---

(١) أنظر : عبد الرحمن بك باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص٣٤٢ ، ٣٤٣ .
وكذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٩٤ ط٣ .
وكذلك : الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٦٢ ط٢ .

(٢) الدكتور أحمد شلبى : المسيحية ص٢١٤ ط٥ .

" والذى نلاحظه من كلام هؤلاء المسيحيين أن كاتب الانجيل الرابع شخصية غير معروفة تاريخياً ، وعلى فرض أن يوحنا الصياد هو الذى كتبه ، فقد كتبه فى سن الشيخوخة ، التى لا أمان معها على شيء من العلم ، ولا من الفهم ."(١) حيث كتبه بعد أن تجاوز المائة عام طبقاً لبعض الروايات .

ويؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ / زكي شنوده* " من أن يوحنا كتب انجيله بعد أن خرج من منفاه بعد مقتل (دوقيانوس) عام ٩٦م ."** (٢)

" ويكون يوحنا بذلك قد قام بأعمال الكرازة وبناء الكنائس ، ورسم القساوسة والشمامسة ، قبل أن يكتب انجيلا ، وهذا دليل الغربة الكاملة فى التبشير المسيحي ، إذ أنه كان يدعو دون كتاب مقدس يعتمد عليه ."(٣)

بقي أن نقول : إن لهذا الانجيل خطراً وشأناً كبيرين ! لأنه الانجيل الذى تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح . . .

وبعد . . . فإننا نخرج من خلال هذا العرض بنتيجتين حول شخصية مؤلف هذا الانجيل الرابع :

النتيجة الأولى : إن هذا الانجيل إما أن يكون قد وضعه طالب فى مدرسة الاسكندرية .

---

(١) الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص٦٢ ط٢ .

* زكي شنودة هو : بطريرك الأقباط الارثوذكس ولد فى مركز أبنوب (اسيوط) فى عام ١٩٢٣م ، ترهّب عام ١٩٥٤م ، ثم صار بطريركا فى عام ١٩٧١م . له مؤلفات عديدة فى النصرانية . انظر منجد الأعلام ص٣٩٣ ط٢٦ .

** توفي يوحنا ما بين عام ٩٨ و ١٠٠م وقد تجاوز المائة عام .

(٢) الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص٦٢ ط٢ .

(٣) المرجع السابق .

النتيجة الثانية : إن هذا الانجيل قد وضعه رجل أنهكته الشيخوخة وآلام النفي .

وفي كلتا الحالتين فليس لهذا الانجيل قيمة تذكر ، وهذا ما أكّده السيرآرثر فندلاى فى كتابه ( الكون المنشور ) حيث قال :

"ان انجيل يوحنا ليس له قيمة تستحق الذكر فى سرد الحوادث الأكيدة ، ويظهر أن محتوياته لعب فيها خيال الكاتب دوراً بعيداً ."(1)

وقد كُتب انجيل يوحنا تحت دافع معين ولغرض خاص هو : إثبات ألوهية المسيح ، والقضاء على التعاليم التى تؤكد انسانيته .

يقول الدكتور يوسف الدبس* الخوري فى مقدمة تفسيره ( تحفة الجيل ) مؤكداً ذلك :

"إن يوحنا صنّف انجيله فى آخر حياته بطلب من أساقفة آسيا ، والسبب: أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح ، فطلبوا منه إثباته ، وذكْر ما أهمله متّى ومرقس ولوقا فى أناجيلهم ."(2)

وهكذا . . . يتضح لنا أن انجيل يوحنا كتب بالالتماس ، وعار على المسيحي أن يدّعي قدسية كتاب صنف بالالتماس .

وفى ذلك يذكر الشيخ محمد أبو زهرة أنه "لما أراد معتقدو ألوهية المسيح أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم ـ فى زعمهم ـ لم يجدوا مناصا

---

(1) الدكتور رؤوف شلبى : ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ1 ص62 ط2 .

* ولد عام 1833م وتوفي عام 1907م . مطران بيروت المارونى، عالم ومؤرخ . أسس مدرسة الحكمة عام 1875م . وشيّد كاتدرائية القديس جرجس فى بيروت . أنظر : منجد الأعلام ص283 ط26 .

(2) عبد الرحمن بك باجه جى زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص341 .

من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك فاتجهوا الى يوحنا ، فكتب ـ كما يقولون ـ إنجيله الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية ." (١)

وجاء في قاموس الكتاب المقدس :

" وكان الداعي الى كتابة الانجيل الرابع ، تثبيت الكنيسة الأولى في الايمان بحقيقة لاهوت المسيح ." (٢)

" ومن هنا تدرك أن هذا الانجيل كتب لينصر مذهبا خاصا يقول بألوهية يسوع ، ومن هنا جاء الفرق بين الأناجيل الثلاثة الأولى التى لم تذكر شيئا عن ألوهية يسوع ، وهذا الانجيل الرابع الذى كتب ليستنصر لهذا المذهب الخاص . . . .

لذلك فالقول بألوهية المسيح سابق على تدوين الانجيل الرابع." (٣)

ولو أردنا معرفة لغة هذا الانجيل ، فإننا نجد أن جمهور النصارى قد اتفقوا على أن لغة تدوين هذا الانجيل هي اللغة اليونانية . (٤)

أما تاريخ التدوين لهذا الانجيل فيذكر صاحب الأسفار المقدسة :

"أن يوحنا ألف انجيله حوالى سنة (٩٠م) على أرجح الأقوال ." (٥)

---

(١) محاضرات في النصرانية ص٥٣ ط٣ .

(٢) لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص١١١١ ط٢ .

(٣) الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ج١ص٦٤ ط٢ .

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ص١١١١ ط٢ .

(٥) الدكتور علي عبد الواحد وافي ص٦٧ .

ويقول السير آرثر فندلاى :

" كتب يوحنا انجيله حوالى عام ١١٠م." (١)

ويرى الدكتور بوست :

ان انجيل يوحنا ألف فى الفترة مابين ٩٥، ٩٦، ٩٨. (٢)

أما (هورن) فيرى أن الانجيل الرابع ألف سنة ٦٧ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩ أو ٩٨. (٣)

ويقول صاحب مرشد الطالبين :

" انه لا يوجد اتفاق بين العلماء على ضبط السنة التى كتب فيها يوحنا انجيله، فيزعم بعضهم أنه كتب سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم .

وآخرون يرون أنه كتب عام ٩٨م بعد رجوعه من المنفى ." (٤)

وجاء فى دائرة معارف القرن العشرين :

" كُتب انجيل يوحنا بعد رفع المسيح -عليه السلام- بستين سنة أى سنة ٩٣م ." (٥)

وها نحن نجد أن الخرق قد اتسع على الراقع ، فميدان الخلاف فى عام تدوين

---

(١) الكون المنشور . نقلا من الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٦٥ ط٢. دون أن يشير الى الصفحة التى أخذ منها النص .

(٢) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى سواء جـ١ص٦٥ ط٢.

(٣) المرجع السابق .

وانظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٥٢ .

(٤) المرجع السابق (الأول) .

(٥) الدكتور محمد فريد وجدي جـ١ ص٥٥٦ .

هذا الانجيل أصبح واسعا ، كما اتسع من قبل في شأن يوحنا ( كاتبه ) مع عـــدم وجود السند المتصل في روايته. بل إنه قد جاء في الاصحاح العاشر من هـــذا الانجيل على لسان المسيح - في زعمهم - عن الذين سبقوه من الأنبياء والمرسليـــن مانصه : " جميع الذين أتوا قبلي سراقا ولصوصا ".(١)

وهذا النص وحده كافٍ لنسف هذا الانجيل من أساسه لو كانوا يعقلون .

°°

(١) فقرة ( ٨ ) .

٥ - تعقيب :

من خلال هذا العرض للأناجيل ، وبيان قيمتها التاريخية وقدسيتها عند أصحابها، نرى أنها تخلو من القداسة والالهام ، وذلك للمجاهيل التى تكتنفهما وللغموض الذى يحيطها ، سواء فى مصنفيها أو لغة تدوينها ، أو تاريخ التدوين .
بل إن دعوى أن الأناجيل موحى بها من الله ، وأن أصحابها ملهمون " دعوى باطلة من أساسها ، ليس لعدم اقامة الدليل ، بل لأن البينات كلها قائمة ضد هذه الدعوى ، ولأن ما كان وحياً أو الهاماً لا يختلف ولا يتناقض ولا يهدم بعضه بعضا ."(١)

وصدق الفيلسوف الفرنسى (غوستاف لوبون ) حين قال عن الأناجيل بأنها :
" مجموعة من الأوهام والذكريات غير المحققة التى بسطها خيال مؤلفيها "(٢)
انها لا تعدو أن تكون سيراً وقصصاً كتبها أتباع المسيح عن حياته ودعوته ، كما سمعوها من أسلافهم الذين رأوا المسيح وخدموه ، وهى تشبه كتب السيرة عندنا نحن المسلمين - من جهة موضوعها لا من جهة ثبوتها - مع الاختلاف بينهما وبين كتب السيرة ، من ناحية السند المتصل ، ومن ناحية نسبتها الى مؤلفيها ،

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٨٣ ط٣ .
(٢) حياة الحقائق ص٦٢ نقلا عن : سفر بن عبد الرحمن بن أحمد : العلمانية وآثارها فى الحياة الاسلامية المعاصرة ( رسالة ماجستير) ص٢٣ .

ومن ناحية أنها لم تفرض بسلطة قانونية أو كهنوتية .[1]

وهذا موريس بوكاى يقول :

"ان الأناجيل المتداولة ليست بأقوى سنداً من أضعف الأحاديث المنسوبة الى نبى الاسلام".[2]

ويعتبرها " توليفات غامضة لم يسعفها الحظ لتعطي صورة واضحة عن حياة المسيح . وأنها ضعيفة السند ولا تقوى على النقد العلمى النزيه ."[3]

ويقول الدكتور فردريك جرانت :

"ان العهد الجديد كتاب غير متجانس ؛ ذلك أنه شتات مجمع، لا يمثل وجهة نظر واحدة ، تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة ، وإن الانسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات المختلفة التى سار فيها التفكير المسيحي ، كما يتتبع ـ الى حد ما ـ التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة ، وكذلك مراحل التطور الأولى لعقيدة الكنيسة ، وأخلاقياتها ، وعباداتها ، وتنظيماتها ." (٤)

---

(١) أنظر رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٣٠٤ .
وكذلك ابن تيمية ( الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ) جـ٢ص١١ ،١٢ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٣) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبى : المسيحية الرابعة ص١٨٩ / ١٩٠ ـ دون أن يشير إلى المصدر الذى أخذ عنه هذا النص .

(٤) الأناجيل : أصلها وتطورها ص١٢ ، ١٥ ، ١٧ نقلا عن المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص١٥ ط١ .

ولا يقتصر الشك المحيط بالأناجيل الأربعة على التشكيك في كونها وحياً معصوماً ، بل إنه يتعدى ذلك الى التشكيك في صحة نسبتها حتى إلى من تنتسب اليهم من الحواريين والكُتّاب .

وقد ظفر السيد ( هاتفلد ) في سنة ١٧٩٣م بجائزة من كلية اللاهوت في ( جوتنجن ) بألمانيا ، لبحث قدمه ، أورد فيه البراهين الدامغة ، على أن ( متّى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا ) ، لم يؤلّفوا الأناجيل التي تحمل أسماءهم ، وأن علاقتهم بها لم تتعدّ انتساخهم اياها .[1]



(١) عصام الدين حفني ناصف : المسيح في مفهوم معاصر ص٥٠ ، ط١ .

# الفصل الثاني
# في
# تحريف الأناجيل

## أ- أنواع التحريف وأدلته وعوامل وقوعه

١- مفهوم التحريف .
٢- أنواع التحريف الواقع في الكتاب المقدس .
٣- أدلة ابن تيمية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس .
٤- عوامل وقوع التحريف .
٥- نماذج من تحريف الأناجيل .

## ب- شبهات النصارى على عدم تحريف كتبهم، وإبطال ابن تيمية لها:

## ج- التعقيب:

١- تأكيد العلماء لما يذكره ابن تيمية بوقوع التحريف في الكتاب المقدس .
٢- تأكيد العلماء لأنواع التحريف عند ابن تيمية .
٣- تأكيد العلماء لعوامل التحريف عند ابن تيمية .
٤- عوامل حفظ القرآن الكريم من التحريف، والفرق بينه في كتب النصارى في نظر ابن تيمية .

## ((الفصل الثانـــى ))

## تحريف الأناجيل فى نظر ابن تيميـــة

### أ - مفهوم التحريف وأنواعه وأدلة وقوعه وعوامل ذلك فى نظر ابن تيمية .

#### ١ - مفهوم التحريف :

يتهم ابن تيمية النصارى بالتبديل والتحريف لكتبهم ، ولا يخص بذلك الأناجيل فقط ، ولكنه يضم اليها أسفار التوراة باعتبارها العهد القديم لكتابهم المقدس - عندهم - فيثبت فيها وقوع التحريف على أيدى اليهود وكأنه يريد أن يقول :

إن كتب النصارى سواء منها القديم والجديد قد وقع فيها التحريف.

وقبل أن نتكلم عن أنواع التحريف نقدّم المعنى اللغوى للتحريف فنقول :

" حرّف عن الشئ يحرّف حرفا ، وانحرف وتحرّف واحرورف: عدل .

واذا مال الانسان عن شئ يقال : تحرّف وانحرف واحرورف .

وتحريف الكلم عن مواضعه : تغييره .

والتحريف في القرآن والكلمة : تغيير الحرف عن معناه ، والكلمة عن معناها .

وهى قريبة الشبه كما كانت اليهود تغيّر معاني التوراة بالأشباه ،

فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى : ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : ( آمنتُ بمحرف القلوب ) هو المزيل . أي مميلها ، ومزيلها ، ومصرفها . وهو الله تعالى ."(١)

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ٩ ص٤٣ .

وكذلك السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس جـ٦ ص٦٩ ،

وكذلك : الفيروزآبادي : القاموس المحيط جـ٣ ص١٢٧ .

وجاء في القاموس المحيط :

" التحريف : التغيير ، وقط القلم محرفا واحرورف: مال وعدل كانحرف وتحرّف . . . . "[1]

" وإذا مال الانسان عن شئ ، يقال : تحرّف وانحرف واحرورف . "[2]

فالتحريف انحراف الشئ عن جهته ، وميله عنها الى غيرها .

وهو يقتضى الخروج عن جادة الطريق .

والمراد به هنا : اخراج الوحي والشريعة عما جاءت به بالتغيير والتبديل في الألفاظ أو بالكتمان ، والتأويل الفاسد ، والتفسير الباطل .[3]

٥٥

---

(١) فصل الحاء باب الفاء ( مادة حرف ) جـ٣ ص١٢٧ .
وكذلك السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس جـ٦ ص٦٩ .

(٢) السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس جـ٦ ص٦٩ .

(٣) د . محمد سيد طنطاوى : بنو اسرائيل في الكتاب والسنة جـ٢ ص٩٩ / ١٠٠ .

٢ - أنواع التحريف الواقعة في الكتاب المقدس :

التحريف الذى يتحدث عنه ابن تيمية نوعان :

الأول : تحريف لفظي : وهو تغيير جميع الألفاظ أو بعضها ، سواء كان هذا البعض قليلا أو كثيرا . ( وهذا النوع تنكره النصارى ) .

الثاني : تحريف معنوى : وهو تأويل هذه الألفاظ بمعان لا تدل عليها ، ولا تحتملها تلك الألفاظ إلاّ بنوع من التعسف والافتعال . ( وهذا النوع تقره وتعترف به النصارى ) .

وكلا النوعين - كما يرى ابن تيمية - واقع فى كتب اليهود والنصارى .

لكن ما هى طبيعة التحريف الواقع فى هذه الكتب ؟

والى أى مدى وصل اليه فى العهدين : القديم والجديد ؟

وما الذى تناوله هذا التحريف من ألفاظها ومعانيها ؟ وهل يتفق ابن تيمية مع غيره من العلماء فى الاجابة على هذه الأسئلة ، وفيما يذهب اليه من طبيعة هذا التحريف ومداه ؟

لابدّ من الاجابة على كل هذه الأسئلة لتوضيح فكر ابن تيمية فى هذا الموضوع ، وموقفه من تلك الأسفار والأناجيل ، قبل أن نقدم أدلته على مايذهب اليه ، وقبل أن نقدم ردوده على أهل الكتاب فيما يعارضون به وقوع التحريف فى كتبهم .

يقول ابن تيمية - بيانا لآراء المسلمين فيما وقع من التحريف فى كتب اليهود والنصارى وبيانا لما يختاره هو من هذه الآراء - يقول :

" .... الأصل الثاني الفاسد الذى بنوا عليه سؤالهم الذى جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم ، ظنهم أن المسلمين يقولون : إن هذه الكتب حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا مالا يقوله

المسلمون ، ولكن قد يقول بعضهم : انه حرف بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ألفاظ بعض النسخ ، فان الجمهور الذين يقولون : إن بعض ألفاظها حرفت ، منهم من يقول : كان هذا قبل البعثة ، ومنهم من يقول : كان بعدها ، ومنهم من يثبت الأمرين أو يجوّزهما ، ولكن لا يقولون : إنه حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما حكاه هذا الحاكي عنهم ، ولكن علماء المسلمين ، وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف فى المعاني والتفسير وان كانت كل طائفة ( من أهل الكتاب ) تزعم أن الأخرى هى التى حرفت المعاني .

وأما ألفاظ الكتب ، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل ، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب .

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب الى أنه بُدل بعض ألفاظها . وهذا مشهور عن كثير من علماء المسلمين ، وقاله أيضا كثير من علماء أهل الكتاب، حتى فى صلب المسيح ذهبت طائفة من النصارى الى أنه انما صلب الذى شبه بالمسيح ، كما أخبر به فى القرآن ، وان الذين أخبروا بصلبه كانوا قد أخبروا بظاهر الأمر ، فانه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح أو تعمدوا الكذب .

ثم هؤلاء منهم الذين يقولون : إن فى ألفاظ الكتب ما هو مبدل ، ومنهم من يجعل المبدل من التوراة والانجيل كثير منهما ، وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما ، لا سيما الانجيل ، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه فى التوراة .

ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول : انه لا حرمة لشئ منهما ، بل يجوز الاستنجاء بهما .

ومنهم من يقول : الذى بدلت ألفاظه قليل منهما ، وهذا أظهر ، والتبديل في الانجيل أظهر ، بل كثير من الناس يقول :

هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلاّ القليل ، والانجيل الذى هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل .

والصحيح : أن هذه التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب فيهما ما هو حكم الله ، وان كان قد بدّل وغيّر بعض ألفاظهما لقوله تعالى :

( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ، يقولون : ان أوتيتم هذا فخذوه، وان لم تُؤْتَوْهُ فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكّالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا . وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ، وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين . )[1]

فعلم أن التوراة التى كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس بعد مجئ بختنصر، وبعد مبعث المسيح ، وبعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله، والتوراة التى كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان قيل إنه غيّر بعض ألفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة فى العالم بمثل ذلك ،

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ -٤٣ .

فان هذا غير معلوم لنا ، وهو أيضا متعذر * ، بل يمكن تغيير كثير من النسخ واشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غيّر بعد ذلك ، ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والانجيل متفقة فى الغالب ، إنما يختلف فى اليسير من ألفاظها ، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن ، ولا يمكن أحد أن يجزم بنفيه ، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة

---

* جاء فى رسالة الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية قوله :

" قيل : ليس فى العالم نسخة بنفس ما أنزل الله فى التوراة والانجيل ، بل ذلك مبدل ، فان التوراة انقطع تواتره ، والانجيل إنما أخذ عن أربعة ، ثم من هؤلاء من زعم أن كثيراً مما فى التوراة أو الانجيل باطل ليس من كلام الله ، ومنهم من قال : بل ذلك قليل . وقيل : لم يحرف أحد شيئا من حروف الكتب ، وإنما حرفوا معانيها بالتأويل ، وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين ، والصحيح القول الثالث ، وهو أن فى الأرض نسخاً صحيحة ، وبقيت الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ونسخاً كثيرة محرفة ، ومن قال : إنه لم يحرف شئ من النسخ فقد قال ما لا يمكنه نفيه ، ومن قال جميع النسخ بعد النبى صلى الله عليه وسلم حرفت ، فقد قال ما يعلم أنه خطأ ."

والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله فى التوراة والانجيل ، ويخبر أن فيهما حكمة ، وليس فى القرآن خبر أنهم غيّروا جميع النسخ .

واذا كان كذلك ، فنقول :

هو سبحانه قال : ( وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ) (المائدة ٤٧)
وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح . . . .
وكذلك ( لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم )
( المائدة آية ٦٨ ) .
وقوله : ( ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ) فإن إقامة الكتاب : العمل بما أمر الله به فى الكتاب =

في العالم من الكتابين متفقة الألفاظ ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه ، والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب موجود في الكثير من النسخ ، كما قد يختلف نسخ بعض كتب الحديث أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ ، وهذا بخلاف القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور ، وبالنقل المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون )[1] وذلك أن اليهود قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى عهده وبعده ، منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها ، وعندهم نسخ كثيرة من التوراة . وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة ، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها ، ولو كان ذلك ممكناً لكان ذلك من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها ، وكذلك في الانجيل .

قال الله تعالى : ( وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه )[2] . فعلم أن في هذا الانجيل حكماً أنزله تعالى ، لكن الحكم هو من باب الأمر والنهي ، وذلك لا يمنع أن يكون التغيير في باب الأخبار ، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظاً * وأما الأحكام التي في التوراة فما يكاد أحد يدعي التبديل في ألفاظها .

---

= من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول ....."

ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى جـ١ ص٧٨ ، ٧٩ . دار احياء التراث العربي .

وانظر كذلك ابن تيمية : مجموع الفتاوى المجلد ١٣ ص١٠٣ / ١٠٤ . مقدمة التفسير .

(١) سورة الحجر / آية ٩ .

(٢) سورة المائدة / آية ٤٧ .

* بحثنا عن استشهادات لابن تيمية بالتبديل اللفظي فلم نجده قد تحدث عنها وذكرها إلّا القليل النادر، كما سنذكر ذلك في ص١٠٥، ١٢٩، ١٤١ .

وقد ذكرت طائفة من العلماء أن قوله تعالى في الانجيل : ( وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ) هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل لا الموجودين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ ( وليحكم أهل الانجيل ) بكسر اللام كقراءة حمزة ."[1]

ويؤخذ مما تقدم أن ابن تيمية يرى أن التحريف الواقع في التوراة لم يتناول جميع الألفاظ ، بل القليل منها ، ولا سيما في الناحية التشريعية ، وإنه ما زالت هناك بقايا في التوراة والانجيل طلب من أصحابها الحكم بما أنزل الله فيه قوله تعالى : ( قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم )[2] .

وفيما يتعلق بالتحريف المعنوي ، فإن ابن تيمية يرى أن جميع الطوائف اليهودية والنصرانية متفقة على وقوعه ، لأن كل طائفة ترى أن غيرها أوّل الكلام بما لا تحتمله الألفاظ من المعاني ، وهذا يرجع الى اختلاف فهمهم للعقيدة ، واختلاف ما تأخذه كل طائفة من مدلولات هذه الألفاظ . ويرى ابن تيمية - كما قدمنا - أن المسلمين يشهدون على النصارى بهذا النوع من التحريف . فيقول:

" فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل ، وتبديل أحكامها فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها ، كما يشهد النصارى والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل أحكامها . . ."[3]

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ١ ص٣٦٧/٣٦٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٦٨ .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٤٧/٣٤٨ .

وابن تيمية يعني بذلك اتهام أصحاب هذه الأديان بعضهم لبعض - بل وأرباب الفرق داخل كل دين - بأنهم ينحرفون في تأويل ما في كتبهم وتفسيرها بحيث يجعلها كل فريق دالة على مذهبه مهما اختلفت بينهم تلك المذاهب ، فكل فريق يتهم الآخر بالتحريف المعنوي لهذه النصوص وصرفها عما يرى أنه هو المعنى الصحيح لها .

بل إن ابن تيمية يصرّح بذلك فيقول :

" . . . وكل عاقل يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى ، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدّل محرّف . "[1]

ە٥ە

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٦٣

٣ - أدلة ابن تيمية على وقوع التحريف في الكتاب المقدس :

يورد ابن تيمية أدلة كثيرة على وقوع التحريف في الكتاب المقدس - عند النصارى - بعهديه ( القديم والجديد )، سواء كانت أدلة نقلية أو عقلية ( واقعية )، بل ويستشهد على ذلك بمظاهر كثيرة من مظاهر التحريف الواقعية الموجودة في صفحات هذا الكتاب . فليس اتهامه لهذا الكتاب بالتحريف مجرد دعوى بلا دليل ، وانما يقدم الأدلة والشواهد الكثيرة على ذلك .

وفيما يلي نورد بعض هذه الأدلة والشواهد :

الدليل الأول : يستشهد ابن تيمية على وقوع التحريف بآيات من القرآن الكريم من ذلك :

قوله تعالى : ( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون : إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تُؤْتَوْهُ فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم . )[1]

---

(١) سورة المائدة آية ٤١ . وقد روى ابن تيمية - في كتابه الجواب الصحيح ج١ ص٣٧٢-٣٧٣ - أن سبب نزول هذه الآية: ما رواه مسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : مرّ على النبى صلى الله عليه وسلم بيهودى محمّم مجلود . فدعاهم فقال : هكذا تجدون حدّ الزانى فى كتابكم ؟ فقالوا : نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حدّ الزانى فى كتابكم؟ قال : لا ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك . نجده الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدّ ، فقلنا : تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم =

ومن شواهد القرآن على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم قوله تعالى في شأن النصارى[1] :

( ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا ، خيراً لكم ، انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلا . )[2]

وقال تعالى في شأن النصارى أيضا :

( ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون . )[3]

ثم خاطب عز وجل اليهود والنصارى بعد ذلك مباشرة فقال تعالى :

( ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ).[4]

---

= فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اللهم اني أول من أحيا أمرك اذ أماتوه ) ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله تعالى : ( ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر . . . ) الآية .
أنظر صحيح مسلم : كتاب الحدود . باب رجم اليهود ، أهل الذمة ، في الزنى حديث رقم ٢٨ جـ٣ ص١٣٢٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(١) أنظر : تفسير ابي السعود جـ٢ ص٢٥٩
وكذلك الرازي المجلد ٦ جـ١١ ص١١٧ .

(٢) سورة النساء آية ١٧١ .

(٣) سورة المائدة / آية ١٤ .

(٤) سورة المائدة آية ١٥ .

الدليل الثاني : ويستشهد ابن تيمية كذلك بما رواه الإمام في مسنده دليلاً على وقوع التحريف . فيقول :

" قد أدرك سلمان الفارسي طائفة ممن كانوا متبعين لدين المسيح - عليه السلام - ، واحد بالموصل وآخر بنصّيبين ، وآخر بعمورية . وكل منهم يخبر بأنه لم يبق على دين المسيح - عليه السلام - إلاّ قليل ، الى أن قال له آخرهم : لم يبق عليه أحد ، وأخبره أنه يبعث نبي بدين ابراهيم من جهة الحجاز ، فكان ذلك سبب هجرة سلمان إليه وإيمانه به ." (١)

ويستفاد مما رواه مسلم - في هذا المقام - عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب . . . ) الحديث (٢)

وكذلك ما روى في قصة سلمان الفارسي أن الذين بقوا على الدين الصحيح للمسيح قليلون . ومعنى هذا : أن الكثرة الغالبة انحرفت عن هذا الدين الصحيح وحرفت كتبها .

ثم يورد ابن تيمية من الأحاديث ما يدل على أن اليهود على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتعمدون اخفاء بعض نصوص التوراة وأحكامها .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩٨ .
وقد أخرجه الامام أحمد في مسنده جـ٥ ص٤٤١ / ٤٤٤ وإسناده حسن .

(٢) صحيح مسلم / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ ٤ ص٢١٩٧ الحديث رقم ( ٦٣ ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

١ - ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : إن اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتجدون فى التوراة فى شأن الزنا ؟ قالوا : نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة ، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ماقبلها ومابعدها. فقال له عبد الله : ارفع يدك ، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدقت يا محمد ، فأمر بهما النبى صلى الله عليه وسلم فرجما .[1]

٢ - وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمر أنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق حتى جاء اليهود . فقال : ماتجدون فى التوراة على من زنا ؟ قالوا : نسوّد وجوههما ، ويطاف بهما ، قال : ( فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين )[2] قال : فجاءوا فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذى يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ مابين يديها وماوراءها . فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم، قالوا : صدق ، فيها آية الرجم ، ولكنا نتكاتمه بيننا ، وإن أحبارنا

---

(١) أنظر صحيح البخارى ( كتاب الحدود ) جـ٨ ص٢٠٥ .
وكذلك صحيح مسلم ( كتاب الحدود ) جـ٣ ص١٣٢٦ الحديث رقم ( ٢٦ ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط١ . وقد استشهد به ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح جـ١ ص٣٧٢ .

(٢) سورة آل عمران آية ٩٣ .

أحدثوا التحميم والتجبية *، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما .[1]

٣ - وأما السنن : ففي سنن أبي داود عن زيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القُفّ[2] فأتاهم إلى المدراس[3] ، فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلا منا ، زنا بامرأة فاحكم بينهم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ، ثم قال : ائتوني بالتوراة ، فأتي بها ، فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها ، وقال : آمنت بك ، وبمن أنزلك ، ثم قال :

---

* معنى التحميم : الفحم البارد ، وحُمّ الرجل : سُوّد وجهه بالفحم ، ومنه حديث الرجم : أنه مر بيهودي محمم مجلود ، أي مسود الوجه من الحممة . أنظر : السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس جـ٨ ص٢٦٢ ، فصل الحاء من باب الميم .
معنى التجبية : أن يحمل الزانيان على حمار ، ويقابل أقفيتهما ، ويطاف بهما . أنظر : سنن أبي داود جـ٤ ص٥٩٩ ط١ . وكذلك ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ١ ص٣٧٣ .

(١) انظر صحيح البخاري ( كتاب الحدود ) جـ٨ ص٢٠٥ . وقد استشهد به ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح جـ١ ص٣٧٢ .

(٢) معنى القُفّ : ما ارتفع من الأرض ، وصلبت حجارته ، وهو واد بالمدينة المنورة . أنظر : السيد محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس جـ٦ ص٢٣٦ .
وكذلك : المعجم الوسيط جـ٢ ص٧٥٢ .
وكذلك : سنن أبي داود جـ٤ ص٥٩٧ للسجستاني .

(٣) معنى المدراس : المكان الذى يدرس فيه اليهود نصوص التوراة ، وأمور الشريعة كما يتجمعون فيه لتبادل المشورة في سائر أحوالهم الدينية والدنيوية . =

ائتوني بأعلمكم ، فأتى بشاب ، ثم ذكر قصة الرجم .[1]

٤ - وأخرج أيضا أبو داود وغيره عن أبي هريرة أنه قال : زنا رجل من اليهود بامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا الى هذا النبي ، فانه نبي بعث بالتخفيف . فان أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها ، واحتججنا بها عند الله ، فقلنا نبي من أنبيائك . قالوا : فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس في المسجد ، في أصحابه ، فقالوا : ياأبا القاسم ماترى في رجل والمرأة - منهم - زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على الباب ، فقال : أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ماتجدون في التوراة ، على من زنا اذا أحصن ؟ قالوا : نحمم ، ونجبيه ، ونجلده . قال : وسكت شاب منهم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ساكتا ، أنشده ، فقال : اللهم اذ أنشدتنا ، فانا نجد في التوراة الرجم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فما أول ماارتخصتم أمر الله ؟ قال : زنا ذو قرابة من ملك من ملوكنا ، فأخّر عنه الرجم ، ثم زنا رجل في أسرة من الناس ، فأراد رجمه ، فحال قومه دونه ، وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتى تجيئ بصاحبك فترجمه . فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فاني أحكم بما في التوراة ، فأمر بهما فرجما .[2]

---

— انظر سنن أبي داود جـ ٤ ص ٧ ٩ ٥ للسجستاني .

وانظر د . محمد سيد طنطاوى / بنو اسرائيل في القرآن والسنة جـ١ ص٨٠

(١) السجستاني / سنن أبي داود / كتاب الحدود / باب أحكام اهل الذمة جـ ٤ ص٥٩٧ ط١ / درجة الحديث صحيح . وقد استشهد به ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح جـ١ ص ٣٧٣ .

(٢) المرجع السابق جـ٤ ص ٥٩٨/٥٩٩ .

ويستفاد من هذه الأحاديث التي أوردها ابن تيمية أن اليهود كانوا يخفون بعض أحكام التوراة مع ثبوتها في النص الموجود عندهم على عهده صلى الله عليه وسلم ويتواطئون على تغيير هذه الأحكام رغم ثبوتها في ذلك النص. من ذلك: رجم الزاني المحصن كما وردت به تلك الأحاديث .

ونلاحظ أن ما استدل به ابن تيمية من السنة النبوية يدل على كتمان النصارى لما هو ثابت بالنص في التوراة ، ولا يدل على تحريفهم له ، لا سيما وأن التوراة لا تزال تحتفظ بحكم الرجم حتى يومنا هذا . فقد جاء في سفر التثنية بعد بيان أن من تزوج عذراء فوجدها ثيبا ترجم عند باب بيت أبيها ـ جاء ما نصه :

"إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل ، يقتل الاثنان : الرجل المضطجع مع المرأة ، والمرأة . فتنزع الشر من اسرائيل .

إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة ، واضطجع معها فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا . الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذلّ امرأة صاحبه ، فتنزع الشرّ من وسطك ." (١)

ثم ذكرت أحكاما أخرى في الزنا ، منها : قتل أحد الزانيين ، ومنها : دفع غرامة ، والتزوج بالمزني بها . (٢)

الدليل الثالث : يستدل ابن تيمية أيضا على التحريف باختلاف الأناجيل لفظا ومعنى فيما بينها . بحيث يقطع العقل باستحالة اعتبارها جميعا على أنها الانجيل الحق ، بل لابد مع وجود هذه الاختلافات من القول بأن

---

(١) سفر التثنية ٢٢ : ٢٢-٢٤ .

(٢) أنظر سفر التثنية ٢٢ : ٢٥-٢٩ .

بعضها على الأقل ـ ان لم نقل جميعها ـ محرّفه ، فكيف وقد تقدم أنها جميعها من كتابة أصحابها ، وليست هي انجيل عيسى . يقول ابن تيمية :

" جمهور المسلمين يقولون : ان بعض ألفاظها بدل كما قد بدل كثير من معانيها . ومن المسلمين من يقول : التبديل انما وقع في معانيها لا في ألفاظها ، وهذا القول تقر به عامة اليهود والنصارى .

وعلى القولين : فلا حجة لهم على ما يزعمونه من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم لما هم عليه من الدين الباطل ، فإن الكتب الالهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفّرهم به محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، مثل :

التثليث والاتحاد والحلول ، وتغيير شريعة المسيح ، وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فليس في الكتب التي بأيديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً على الأمانة التي هي أصل دينهم ، وما في ذلك من التثليث والاتحاد والحلول ، ولا فيها ما يدل على أكثر شرائعهم ، كالصلاة الى المشرق ، واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك . . . .

ويقال لهم : أين ما معكم عن محمد صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن ألفاظ الكتب التي بأيديكم لم يغير منها شئ ؟ ومعلوم أن المسلمين وغيرهم اذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر . فإذا كان المسلمون قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب الالهية المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الآخر ، ولا يجوز لأحد من المسلمين ولا منكم أن يضيف الى الرسول قولاً إلاّ بدليل . فأين في القرآن والسنة الثابتة عن محمد صلى الله عليه وسلم أن جميع ما بأيدى أهل الكتاب من التوراة والانجيل والزبور ، ونبوات الأنبياء لم تبدل بشئ من ألفاظها حتى يقولوا : إن محمداً صلى الله عليه وسلم نفى عن كتبهم ذلك ؟ وهؤلاء بنوا كلامهم على أن ألفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذى هم عليه بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم

يبدل شئ من ألفاظها . وقدتبين فساد ذلك من وجوه متعددة . ثم زعموا أن المسلمين يدّعون أن ألفاظ هذه الكتب حرفت كلها بجميع لغاتها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول لم يقله أحد من المسلمين - فيما أعلم - وظنوا أنهم بالجواب عن هذا يكونون قد أجابوا المسلمين ."[1]

الدليل الرابع : يستدل ابن تيمية على وقوع التحريف في الأناجيل بمخالفتها للقرآن والنبوات الصادقة ، وذلك بتضمنها لعقائد فاسدة وشرائع مبتدعة لم يأت بها المسيح ولا غيره ، ومخالفة أي كتاب سماوي للنبوات الصحيحة دليل على ما وقع فيه من تحريف . ومن أمثلة ذلك :

( ١ ) عقيدة الصلب والفداء : وزعمهم "أن جميع بني آدم من الانبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان ، لأجل أن أباهم آدم أكل من الشجرة ، وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح."[2]

ويقول ابن تيمية : "ان هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الانبياء لقطعنا بكذبه عليهم ، فكيف وهذا الكلام ليس منقولا عندهم عن أحد من الأنبياء ؟ وانما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة ، فإن كثيرا من دينهم مأخوذ من رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء ، فإذا قطعنا بكذب من ينقله عن الأنبياء ، فكيف اذا لم ينقل عنهم ذلك ؟ فإن الأنبياء - عليهم السلام - يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته ، لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع ، فيخبرونهم بمحيرات العقول لا محالات العقول .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٦١/٣٦٢ .

(٢) المرجع السابق جـ١ ص٣٦٤ .

وآدم -عليه السلام- وإن كان أكل من الشجرة ، فقد تاب الله عليه ، واجتباه ، وهداه ."[1]

ويستشهد بقوله تعالى : ( وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . )[2]

ويتساءل ابن تيمية مستنكراً ومتعجباً فيقول :

"أيّ مناسبة بين الصلب الذى هو من أعظم الذنوب -سواء صلبوا المسيح أو المشبه به- وبين تخليص هؤلاء من الشيطان ؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا . والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم ، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم ، فلماذا أخرّ منعه من ظلمهم الى زمن المسيح ؟ وهو سبحانه ولي المؤمنين وناصرهم ، ومؤيدهم ، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم ، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان . فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم ، ويجعل أرواحهم فى جهنم ؟ هذا إن قدّر أن الشيطان كان قادراً على ذلك .

وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه وأولياءه وسقوط التكليف عنهم ، واستحقاقهم كرامته واحسانه ، وجنته ، بحكم وعده ، ومقتضى حكمته - أن يجعله مسلطاً على حبسهم فى جهنم* ؟ ( ."[3]

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جا ص٣٦٤ .

(٢) سورة طه / آية ١٢١ / ١٢٢ وكذلك سورة البقرة آية ٣٧ .

* سوف يأتى لهذا الموضوع مزيد شرح فى الفصل الخامس من الباب الثانى .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جا ص٣٦٥/٣٦٦ .

( ٢ ) وكذلك تحليلهم ما حرم الله ، وتحريمهم ما أحل الله . يقول ابن تيمية :

" وأما ما بُدل بعد المسيح مثل : استحلال لحم الخنزير وغيره ـ مما حرمه الله ولم يبحه المسيح ـ ومثل : اسقاط الختان ، ومثل الصلاة إلى المشرق ، وزيادة الصوم ، ونقله من زمان الى زمان ، واتخاذ الصور في الكنائس ، وتعظيم الصليب ، واتباع الرهبانية ، فإن هذه كلها شرائع لم يشرعها نبي من الأنبياء ، لا المسيح ولا غيره ، خالفوا بها شرع الله الذي بعث به الأنبياء من غير أن يشرعها الله على لسان نبي ".[1]

ومعنى ذلك : أنهم حرفوا كتبهم فوضعوا فيها مايخالف النبوات الصادقة من النصوص والأحكام .

( ٣ ) ومما يستشهد به ابن تيمية على تحريف أسفار الكتاب المقدس بمخالفتها للقرآن والنبوات الصادقة عدم اعتراف اليهود بالبشارات بالمسيح ، وعدم اعتراف النصارى بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهي بشارات ثابتة بنص القرآن الكريم ، حيث شهد على ثبوتها في التوراة والانجيل .

يقول ابن تيمية ـ بعد أن نفى التحريف والتبديل عن القرآن الكريم ـ: هذا " بخلاف التوراة والانجيل ، فإن من ألفاظهما مابدل معانيه وأحكامه اليهود أو النصارى ، أو مجموعهما تبديلا ظاهرا مشهورا في عامتهم . كما بدلت اليهود ما في الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وما في التوراة من الشرائع وأمره في بعض الأخبار ، وكما بدلت النصارى كثيرا مما في التوراة والنبوات من الأخبار ومن الشرائع التي لم يغيرها المسيح ، فإن مانسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه ".[2]

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٩ .

(٢) المرجع السابق .
وكذلك جـ٣ ص٢٩٩ .

الدليل الخامس : ويستدل ابن تيمية أخيرا على وقوع التحريف في العهد القديم بدليل واقعي ، وهو الاختلاف الواقع بين نسختي التوراة ، والنسخة الموجودة في أيدي السامرة ، والنسخة الموجودة تحت أيدي اليهود والنصارى .

وهذا يدل على عدم ثبات نص التوراة كما يدعي اليهود ، بل على وقوع التحريف في هذا النص الأمر الذي أدى الى اختلاف النسختين .

يقول ابن تيمية :

" . . . والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ، ومع هذا فنسخة السامرة - وقد رآها ابن تيمية واطلع عليها - مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها - من أمر استقبال الطور - ماليس في نسخة اليهود والنصارى . وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب ، فان عند السامرة نسخا متعددة .
وكذلك رأينا في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا ، مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود - عليه السلام - وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة ." (١)

وبهذه الأدلة يلزم ابن تيمية النصارى بوقوع التحريف في كتبهم سواء ما حرفوه بأنفسهم وهو العهد الجديد ، أو ما وصل اليهم محرفا ، وهو أسفار التوراة التي اعتمدوها جزءا من كتابهم المقدس ، وأطلقوا عليها اسم العهد القديم ، فكتب النصارى - قديمها وجديدها - قد نالها التحريف في نظر ابن تيمية بدلالة ماقدمه هنا من أدلة .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٨٠ .
وكذلك جـ٢ ص٢٢ .

٤ - عوامل وقوع التحريف :

العامل الأول : ذكرنا في الفصل السابق عند الحديث عن انجيل عيسى - عليه السلام - أن هذا الانجيل كان موجوداً طوال حياة المسيح وبعد رفعه ، ولكن النصارى بدأوا ينحرفون عنه الى انجيل آخر - كما يفهم من رسائل بولس - وأن كتاب الأناجيل الأربعة - مع اشارتهم الى هذا الانجيل - لم يذكروا أنهم أثبتوه في أناجيلهم التي كتبوها أو نقلوا عنه ، ولكنهم كتبوا أناجيلهم إما من خلال ذكرياتهم لما شهدوه أو سمعوه ان كانوا من الحواريين ، أو من خلال ماشاع على ألسنة الناس من أقوال المسيح وأحواله ان لم يكونوا منهم ، ويبدو أن ذلك كان لفقد هذا الانجيل وضياعه خلال الفترة التي كتبوا فيها أناجيلهم .

ولقد كان هذا الوضع من أول العوامل التي أدت الى انحرافهم عن الانجيل الصحيح ، وتحريفهم لما ذكروه من أحوال المسيح والأقوال المنسوبة اليه أو المنسوبة الى الله عز وجل مما كان يتضمنه هذا الانجيل ، فليس لكل ما ذكروه من ذلك أساس مكتوب كتابة موثقة ، ولا تستند روايتهم له الى سند متواتر ولا أمان لما ينقل عن طريق الذاكرة من أن يقع فيه الانحراف والتحريف . فإذا أضفنا الى ذلك أن دعوى العصمة لكتاب الأناجيل - كما يزعمون - دعوى بلا دليل ، ووضعنا في اعتبارنا مايذكره ابن تيمية في العامل التالي من أحوال الاضطهادات التي كتبت خلالها تلك الأناجيل - اذا أضفنا ذلك في اعتبارنا فانه يتبين لنا بوضوح كيف أن ماقدمناه هنا كان من أول العوامل التي أدت الى تحريف الانجيل .

وقد سجل ابن تيمية على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

هذه الظاهرة ( ظاهرة عدم تواتره فى النقل ) واعتمد على ذلك فى تقرير ماذهب اليه الجمهور ، من أن جميع ألفاظ هذه الكتب ليست من عند الله ، بل وقع فيها التحريف بسبب عدم تواتر نقل نصوصها .

فـ "التوراة نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولا[1] ، وأجلى منه بنو اسرائيل ، ثم ذكروا أن الذين أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له :عازر، زعموا أنه نبى . . . .

وأما الانجيل الذى بأيديهم فانهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح ـ عليه السلام ـ ، ولا أملاه على من كتبه ، وانما أملاه بعد رفع المسيح ( متّى ) ، و ( يوحنا ) وكانا قد صحبا المسيح ، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر، و ( مرقس ) و ( لوقا ) وهما لم يريا المسيح ـ عليه السلام ـ . وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره ، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله . ونقل اثنين وثلاثة وأربعة يجوز عليهم الغلط ، لا سيما وقد غلطوا فى المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب ." (٢)

العامل الثاني : يؤرخ ابن تيمية ـ بما يطول المقام بنقله هنا ـ للاضطهادات* العنيفة التى تعرض لها المسيحيون خلال القرون الأولى ، وهى الفترة التى كتبت فيها أناجيلهم ذاكراً كيف أن هذه الأناجيل كتبت خلال هذه الحقبة التاريخية الضطربة ، ووسط هذا الاضطراب الشديد لا يمكن أن تتصل الأسانيد ، ولهذا أعيدت كتابة هذه الكتب ، ولا يمكن الثقة بسلامة هذه الكتابة وسط هذا الاضطراب والعسف الذى تعرض له المسيحيون

---

(١) عام (٥٨٦ ق٠م٠) على يد بختنصر.

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٣٥٦٠

* انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٣ من ص٧ الى ص١٨٠

من قبل الرومان الوثنيين ومن غيرهم ، بل ومن المسيحيين أنفسهم .

ومعنى ذلك : أن الاضطهاد الذى وقع على المسيحيين خلال الفترة التى كتبوا فيها أناجيلهم لم يتح لهم الفرصة لتوثيق مانقلوه فى أناجيلهم من أقوال المسيح وأحواله ، وكان من عوامل تحريفهم وعدم ضبطهم لهذا النقل ، بل ربما كان من عوامل ضياع انجيل عيسى الحقيقى ، وعدم التمكن من المحافظة عليه .

العامل الثالث : إن جميع نسخ الانجيل ترجمت ترجمات كثيرة ، ولا يمكن "الثقة بصحة هذه الترجمات إلا أن يعلم اللفظ الذى قاله ، ويعلم ترجمته ، ويعلم مراده بذلك اللفظ .

والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على وقوع الغلط فى تفسير بعض الألفاظ ، وبيان مراد الأنبياء بها ، وفى ترجمة بعضها . فإنك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة ، وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم ، وكذلك فى الانجيل وغيره ."[1]

وعلى هذا فالاحتمال قائم فى تحريف نسخ الأناجيل لهذه الترجمات التى يصعب الاستيثاق منها لانقطاع سندها .

وهذا كله يفتح المجال أمام التحريف والتبديل فى الكتب المقدسة عندهم لأسفار العهد القديم .

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٥٢ .

٥ - نماذج للتحريف في الأناجيل :

قدمنا في أول هذا الفصل اتهام ابن تيمية للنصارى بالتحريف في كتبهم ، وبيانه لهذا التحريف بنوعيه : اللفظي والمعنوي ، وما أقامه من أدلة على وقوع هذا التحريف ، وما ذكره كذلك لهذا التحريف من العوامل التي أدت اليه .

ومع احاطة ابن تيمية بدراسته لموضوع التحريف من جميع هذه الجوانب ، فإنه لم يعن بعرض نماذج له عناية من سبقه - أو لحقه - من العلماء الذين درسوا النصرانية بهذا الجانب .

فقد قام ( أبو الريحان البيروني ) المتوفى سنة ( ٤٤٠هـ ) في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية ) بدراسة النصرانية في أناجيلها وفرقهما وعقائدها وشعائرها ، وسجل ظاهرة الاختلاف بين الأناجيل الأربعة ، وذكر بعض النماذج للاختلاف الواقع بين هذه الأناجيل وتحريف نصوصها .

وممن اهتم كذلك بذكر أوجه الاختلاف بين الأناجيل ، بل - وفي بعض الأحيان - في الانجيل الواحد بعضه مع بعض : ( ابن حزم الظاهري ) المتوفى سنة ( ٤٥٦هـ ) وذلك في كتابه ( الفصل في الملل والأهواء والنحل ) ، فقد ذكر نماذج كثيرة لهذه الاختلافات والتحريفات .[1]

وكذلك فعل ( أبو عبيده الخزرجي )[2] المتوفى سنة ( ٥٨٢ هـ )

---

(١) انظر الاختلافات والتحريفات في الكتاب المذكور جـ٢ من ص١٠ الى ص٧٥ .

(٢) انظر تعريف عنه في ص ١٣٤ .

في كتابه ( مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان ) ، حيث استدل على وقوع الاختلاف والتحريف بين الأناجيل بوجوه كثيرة استند فيها الى نصوص تلك الأناجيل .(١)

وكذلك ( أحمد بن ادريس المالكي المعروف بالقرافي ) ، المتوفى سنة ( ٦٨٤ هـ ) ، في كتابه ( الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة . )(٢)
وممن عني كذلك بذكر تحريفات الأناجيل وتناقضاتها - بعد ابن تيمية - ( ابن قيم الجوزية ) - تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية - المتوفى سنة ( ٧٥١هـ ) ، وذلك في كتابه ( هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ) .(٣)

وممن عني بذكر تحريفات الأناجيل وتناقضاتها كذلك ( عبدالله الترجمان ) ، المتوفى سنة ( ٨٣٢هـ ) ، في كتابه ( تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ) .(٤)

وكذلك صاحب كتاب ( الفارق بين المخلوق والخالق )(٥)

والعلامة الشيخ ( رحمة الله الهندي ) في كتابه ( اظهار الحق )(٦)

فذكروا من أمثلة تحريفات الأناجيل وتناقضاتها الشئ الكثير .

---

(١) أنظر هذه الوجوه في الكتاب المذكور من ص٥٩ الى ص٧٣ تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي .

(٢) أنظر هذه التناقضات في الكتاب المذكور من ص٢٩ الى ص٣٧ بهامش كتاب عبد الرحمن بك باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ط١ .

(٣) أنظر الكتاب المذكور ص١١٢ ، ١١٣ .

(٤) أنظر النماذج في الكتاب المذكور من ص١١١ الى ص١٢٦ تحقيق د . محمود علي حماية .

(٥) هو الحاج عبدالرحمن بك أفندي باجه جي زاده : انظر النماذج في طول الكتاب وعرضه .

(٦) أنظر الكتاب المذكور ج١ من ص١٤٧ الى ص٢٧١ ، وكذلك نفس الجزء من ص٣٣٧ الى ص٥٠٨ .

وكما قلنا : فان ابن تيمية لم يعن بهذا الموضوع عناية هؤلاء العلماء ، بل اقتصر فى هذا المقام على الاشارة الى تبديل اليهود للبشارات الواقعة فى التوراة بمحمد وعيسى -عليهما الصلاة والسلام - ، وتبديل النصارى للبشارة الواقعة فى الانجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الاشارة المجملة الى الاختلاف الواقع بين نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة ، وكذلك نسخ الانجيل والزبور ، وخلو بعض نسخ التوراة الموجودة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر اسمه ، بينما هو موجود فى بعض النسخ الأخرى ، وكذلك الاختلاف الواقع بين هذه الكتب المذكورة وبين القرآن الكريم .

دون أن يذكر لهذه الاختلافات بين الأناجيل نماذج معينة كما فعل غيره من العلماء .

ونود أن نقدم - فى هذا المقام - بعض هذه النماذج ؛ استكمالا لحديث ابن تيمية عن التحريف ، وتتميماً للفائدة ، وحتى يكون ما نذكره منها تدليلا واقعيا على صحة ما ذكرناه عن ابن تيمية فى هذا الفصل حول قضية ( التحريف اللفظى فى الأناجيل ) .

فمن بين أنواع التحريف اللفظى الواقع فى الكتاب المقدس عامة ، وفى العهد الجديد خاصة ، وفى الأناجيل بصورة أخص ، - من بين أنواع التحريف هذه :

١ - التحريف اللفظى بالتبديل .

٢ - التحريف اللفظى بالزيادة .

٣ - التحريف اللفظى بالنقصان .

وتجنباً للاطالة فى هذا المقام ، سوف نقتصر فى ذكر نماذج التحريف اللفظى ( الذى ينكره النصارى ) - من بين الكتب السابقة - على ذكر بعض ما أورده

الشيخ ( رحمة الله الهندى ) فى كتابه ( اظهار الحق ) .

فقد أورد فيه على ذلك مائة شاهد ، منها : خمسة وثلاثون شاهدا على التحريف بالتبديل اللفظى ، وخمسة وأربعون شاهدا على التحريف بالزيادة ، وعشرون شاهدا على التحريف بالنقصان .

وقد ذكر هذه النماذج مدعمة بالوثائق ، والاعترافات الصريحة من محققي المسيحية ومؤرخيهم .

وسنختار بعض النماذج لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة للتحريف على سبيل المثال لا الحصر ، فهى أكثر من أن تحصى . فنقول :

النوع الأول : التحريف اللفظي بالتبديل . ومن أمثلته :

أولا : التبديل الواقع فيمن حمل الصليب الى مكان الصلب ، بين الأناجيل الثلاثة ( متى ، ومرقس ، ولوقا ) وبين انجيل ( يوحنا ) . حيث اتفقت الأناجيل الثلاثة ( متى ، ومرقس ، ولوقا ) على أن الذى حمل الصليب الى مكان الصلب هو سمعان القيروانى[1] وسار به خلف ـ من يزعمونه ـ المسيح ـ عليه السلام ـ .

---

(1) هكذا أوردته الأناجيل ، وهو خطأ . والصحيح : ( قورينى ) ـ كما صححه العلامة أحمد زكي باشا ـ ؛ لأن القيروانى نسبة الى القيروان ، أى المعسكر . وهذه المدينة لم تكن موجودة فى ذلك العهد ، بل أسسها عقبة بن نافع والى افريقيا من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة خمسين هجرية .
أنظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٣ ص٢٣٠ ط٤ .
أما قورينة ، فهى مستعمرة اغريقية ، ثم دخلت تحت الحكم الرومانى عام (٩٦ق.م.) .
أنظر : تاريخ العالم المجلد الرابع ص١٧٤ . نشره بالانجليزية : السيرجون . ا . هامرتن وأشرف على ترجمته / قسم الترجمة بوزارة التربية والتعليم بمصر .

أما نص انجيل ( يوحنا ) فقد خالف الأناجيل الثلاثة في حامل الصليب ، حيث نفهم من روايته أن - من يحسبونه - المسيح هو الذى حمل الصليب منذ خروجـــــه، وحتى مكان صلبه .

ويستحيل أن تكون كلا الروايتين صحيحة .

واليك ما جاء في انجيل ( متى ) :

" وفيما هم خارجون ، وجدوا انسانا قيروانيا[1] اسمه سمعان ، فسخّـــروه ليحمل صليبه ." [2]

وجاء في مرقس مانصه :

" ثم خرجوا ليصلبوه ، فسخّروا رجلا مجتازا ، كان آتيا من الحقل ، وهـــو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ، ليحمل صليبه وجاءوا به الى موضـــع جلجثة .....[3] " [4]

أما نص لوقا فهو كما يلي :

" ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ، ووضعـــوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع ." [5]

---

(١) الصواب : قورينيا نسبة الى قورنية كما ذكرنا .

(٢) ٢٧ : ٣٢ .

(٣) جلجثة هي الكلمة الآرامية لكلمة جمجمة . ويظن (جيروم) أن الاسم أطلق على الموضع بسبب وجود جماجم مكشوفه غير مدفونه . وافتكر غيره ان المكان كان ساحة للاعدام . والتفسير العادى الشائع ان المكان كان تلا على شكل جمجمه . (انظر قامـــوس الكتاب المقدس ص ٢٦٧ .

(٤) ١٥ : ٢٠ - ٢٢ .

(٥) ٢٣ : ٢٦ .

فها نحن في روايات الأناجيل الثلاثة هذه، نجد أنّ حامل الصليب هو سمعان القوريني . ليس هذا فحسب ، بل وقد سار به خلف المسيح ، كما تنص على ذلك رواية لوقا .

أما الرأي الثاني : الذي يفيد بأن حامل الصليب هو - من يزعمونه - المسيح، فهو ما جاء في انجيل ( يوحنا ) من قوله :

" فأخذوا يسوع ، ومضوا به ، فخرج ، وهو حامل صليبه الى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة ، ويقال له بالعبرانية : جلجثه حيث صلبوه ...."[1]

ونص (يوحنا ) يخالف الأناجيل الثلاثة، في حامل الصليب ، حيث يذكر أن حامله هو - من يعتقدون أنه - المسيح ذاته .

ولعل ما ذكرته الأناجيل الثلاثة الأولى من أن ( سمعان ) هو الذي حمل الصليب ، حيث كانت العادة تقضي - كذلك - بأن يحمل المذنب صليبه، ويطاف به - لعل في ذلك ما يؤكد لنا انتفاء وقوع الصلب على المسيح ، ووقوعه على الشبيه - كما هي عقيدتنا - والشبيه هنا هو ( سمعان ) كما تقر بذلك طوائف الغنوسية[2] في القرن الثاني الميلادي .

أما انفراد ( يوحنا ) بأن حامل الصليب هو المسيح ، فلعل ذلك ما يدلنا على معرفة السبب الذي لأجله ألف ( يوحنا ) انجيله ؛ ليثبت ألوهية المسيح ، وليس صلب المسيح إلاّ دليل واضح على ألوهيته كما يزعمون .

---

(١) ١٩ : ١٧-١٨ .

(٢) انظر تعريف عن هذه الطائفة ص ٦٠٨ من هذه الرسالة .

ثانيا : الاختلاف الحاصل بين انجيلى ( متى ، ولوقا ) حول شفاء المسيح لبعض ذوى الأمراض . حيث يذكر ( متى ) عن المسيح أنه :

" لما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ، واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا : ياسيد ، إن أردت تقدر أن تطهرنى ، فمدّ يسوع يده ولمسه قائلا : أريد ، فاطهر ، وللوقت طهر برصه . . . .

ولما دخل يسوع كفرناحوم جاء اليه قائد مئة يطلب اليه ويقول : ياسيد ، غلامي مطروح في البيت مفلوجا متعذبا جدا فقال له يسوع : أنا آتي وأشفيه . . . . ثم قال لقائد المئة : اذهب وكما آمنت ليكن لك ، فبرأ غلامه فى تلك الساعة .

ولما جاء يسوع الى بيت بطرس ، رأى حماته مطروحة ومحمومة ، فلمس يدها ، فتركتها الحمى . . . . " [١]

فها نحن نرى أن ( متّى ) قد كتب أن المسيح قد شفى أولا الأبرص بعد موعظة الجبل ، ثم شفى عبد قائد المئة ، بعد ما دخل كفرناحوم . ثم شفى حماة بطرس .

لكن لوقا قد خالفه فى ذلك ، حيث ذكر أن يسوع دخل أولا بيت بطرس ، فشفى حماة بطرس [٢] ، ثم شفى الأبرص [٣] ، ثم شفى أخيراً عبد قائد المئة . [٤]

---

(١) ٨ : ١-٣ ، ٥-٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٢) ٤ : ٣٨ .

(٣) ٥ : ١٢ ، ١٣ .

(٤) ٧ : ٢-١٠ .

ولعل هذا وحده يكفينا دليلا على عدم صحة ما يقال من أن هذه الأسفار كتبت بالوحي أو الإرشاد من الروح القدس - الذي يقصدون به (الإله) لأنه لا يمكن أن يكون من الإله هذا التبديل والاختلاف .

ثالثا : ومن مظاهر التحريف بالتبديل ما جاء في انجيل ( مرقس ) من قوله :

" وظهر لهم ايليا مع موسى ، وكانا يتكلمان مع يسوع ، فجعل بطرس يقول ليسوع : ياسيدى جيد أن نكون ها هنا ." [1]

فنحن نلاحظ في هذا النص أن بطرس خاطب المسيح بلفظ ( ياسيدى ) ، ولكنا نجد هذا اللفظ يبدل في نص آخر ، ويوضع بدلا عنه لفظ ( يارب ) .

من ذلك ما جاء في انجيل ( متى ) :

" واذا موسى وايليا قد ظهر لهم يتكلمان معه ، فجعل بطرس يقول ليسوع : يارب ، جيد أن نكون ها هنا ." [2]

و " لا يخفى أن لفظ ( الرب ) إذا لم يضف فإنه يقصد به الخالق جل وعلا ، واذا أضيف فانه قد يقصد به صاحب الشئ أو المالك له ، كرب الدار ، ورب الدابة ..... الخ . ومنه : قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام -: ( اذكرني عند ربك ) [3] أى عند سيدك . [4]

وفي هذا النص من ( متى ) ورد لفظ الرب مطلقا ، فيراد به الخالق أو الاله ، فكانت بدلا من السيد فتغير المعنى بتغير اللفظ .. ." [5]

---

(١) ٩ : ٤، ٥ .

(٢) ١٧ : ٣، ٤ .

(٣) سورة يوسف / آية ٤٢ .

(٤) أى الحاكم أو الملك . أنظر الفخر الرازى ( التفسير الكبير ) المجلد التاسع جـ ١٨ ص ١٤٧ .

(٥) سارة العبادى : التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ص ١٢٧ ( رسالة ماجستير ) .

النوع الثاني : التحريف اللفظي بالزيادة : من ذلك :

أولا : ماجاء في انجيل ( متى ) من قوله :

" ولما صلبوه ، اقتسموا ثيابه ، مقترعين عليها ، لكي يتم ماقيل بالنبي : اقتسموا ثيابي ، وعلى لباسي ألقوا قرعة ." (١)

فعبارة " لكي يتم ماقيل بالنبي : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي ألقوا قرعة ." هذه العبارة الحاقية ، " واجبة الحذف عند محققي النصارى ، وقد حذفها كريسباخ . وأثبت ( هورن ) بالأدلة القاطعة أنها : الحاقية ( مضافة ) . ثم قال : لقد استحسن كريسباخ في تركها ، بعد ماثبت عنده أنها كاذبة قطعا ." (٢)

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره في ذيل الآية المذكورة :

" لابد من ترك هذه العبارة ، لأنها ليست جزءاً من المتن ، وتركتها النسخ الصحيحة ، وكذا تركها التراجم إلاّ شذوذا ، وكذا تركها غير المحصورين من القدماء ، وهي الحاقية ." (٣)

ثانيا : وحين نأتي الى انجيل مرقس ، نجد أنه قد جاء في الاصحاح الثاني منه فقرة ( ١٧ ) على لسان المسيح : " لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة

---

(١) ٢٧ : ٣٥ .

(٢) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٣٩٤ .

(٣) انظر الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٣٩٤ .

للتوبة " .

وقد ثبت لدى المحققين والمفسرين المسيحيين أن " لفظ " الى التوبة " إلحاقي . وأن آدم كلارك بعد ما أثبت الحاقيته فى ذيل شرح هذه الآية قال : أسقطه كريسباخ من المتن ، وتبعه كروتيس ومل ونجل ." (١)

ثالثا : ليس هذا فحسب ، بل ان خاتمة انجيل ( مرقس ) بها اثنتا عشرة فقرة منه ـ مشكوك فى صحتها ، ويكاد يكون هناك اجماع من محققي النصارى ومفسرى أناجيلهم على أنها الحاقية ، وأنها ليست منه .

ونص هذه الخاتمة المضافة هو كما يلى :

" وبعد ما قام باكراً فى أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين ، فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ، فلما سمع أولئك أنه حي ، وقد نظرته لم يصدقوا ، وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم ، وهما يمشيان منطلقين الى البرية ، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين .

أخيرا ظهر للأحد عشر ، وهم متكئون ، ووبّخ عدم ايمانهم ، وقساوة قلوبهم ؛ لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام ، وقال لهم : اذهبوا الى العالم أجمع ، وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين بأسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيّات ، وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون .

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : إظهار الحق جـ١ ص٤٠٦ .

ثم ان الرب بعد ما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله ، وأمّا هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان ، والرب يعمل معهم ، ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين . "(١)

لا شك أن هذا ليس تحريفاً فحسب ، بل هذيان .

ويقول الدكتور ( وليم باركلى ) مفسر انجيل مرقس عند تعليقه على هذا النص :

"ان انجيل (مرقس) ينتهى الى عدد (٨) من هذا الاصحاح . أما عدد (٩-٢٠) فلم نجده فى المخطوطات القديمة الموثوق بها ، ويلوح أن أحدهم قد لخّص عمل الكنيسة وحياتها ، ووضع هذا الملخص ليكون بديلا عن تلك النهاية المبتورة . . . ." (٢)

وللأستاذ ( دنيس اريك نينهام ) -أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ، ورئيس تحرير سلسلة بليكان لتفسير الانجيل - تعليق على نهاية انجيل ( مرقس ) هذه، حيث يقول :

" انه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩-٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينا من انجيل مرقس ( مثل النسخة المعتمدة وما يناظرها ) إلاّ أن النسخة القياسية المراجعة ( من العهد الجديد ) مصيبة تماماً فى اعتبارها غير شرعية ، منزلة اياها من النص الى الهامش ." (٣)

---

(١) ١٦ : ٩-٢٠ .

(٢) تفسير انجيل مرقس ص ٤٣٠ / ٤٣١ .

(٣) تفسير انجيل مرقس ص ٤٤٩ .

نقلا من كتاب : المهندس احمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩٤ .

وان العالم الكاثوليكى الكبير ( لاجرانج ) واضح تماماً فى قوله حـول هذه الآيات . حيث يقول :

" انه على الرغم من قانونيتها ( أى أنها جزء من الكتاب المقدس ) ، فانها ليست قانونية بالمعنى الحرفي ، أى ليست من عمل القديس مرقس ... " (١)

رابعا : وردت فى الاصحاح السابع من انجيل ( لوقا ) " زيادة " ، اعترف بها مفسرو النصارى ومحققوهم . والنص الذى اتضح فيه التحريف بالزيادة هو :

" ثم قال الرب : فيمن أشبه أناس هذا الجيل ، وماذا يشبهون ، يشبهون أولاداً جالسين فى السوق ينادون بعضهم بعضا ويقولون :

زمّرنا لكم فلم ترقصوا ، نُحْنا لكم فلم تبكوا . . " (٢)

يقول الشيخ رحمة الله الهندى تعليقاً على هذه الزيادة :

" ان هذه الجملة " ثم قال الرب . . . . . " زيدت تحريفاً " . " (٣)

ويستشهد على ذلك بقول المفسر آدم كلارك فى ذيل هذه الآية حيث يقول :

" هذه الألفاظ ما كانت أجزاء لمتن ( لوقا ) قط ، ولهذا الأمر شهادة تامة ، وردّ كل محقق هذه الألفاظ ، وأخرجها بنجل ، وكريسباخ من المتن . " (٤)

---

(١) المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص ٢٩٤ .

(٢) ٣١ : ٣٣ .

(٣) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى ج١ ص ٣٩٠ .

(٤) المرجع السابق نفسه .

ثم يستطرد فضيلة الشيخ ( رحمة الله الهندى ) ويتساءل مقررا :

" . . . أليس ادخال الألفاظ التى ثبتت زيادتها بالشهادة التامة ، وردّها كل محقق فى الكلام الذى هو كلام الله - فى زعمهم - أليس ذلك من أقسام التحريف . " (١)

خامسا : وقد اتفق عدد من مؤرخي ومحققي المسيحية على أن " الآية الثالثة والخمسين من الباب السابع ، واحدى عشرة آية من الباب الثامن من انجيل يوحنا " الحاقية .

قال ( هورن ) فى الحاقية هذه الآيات :

" آرازمس ، وكالوين ، وبيزا ، وكروپتس . . . والآخرون من المصنفين الذين ذكرهم ونفينس ، وكوجر ، لا يسلمون صدق هذه الآيات . . . . . . . . . . . . . . . . .

ثم قال :

كرايزاستم ، وتهيوفلكت ، ونونس ، كتبوا شروحا على هذا الانجيل ، فما شرحوا هذه الآيات ، بل مانقلوها فى شروحهم ، وكتب ترتولين وساي‌پرن رسائل فى باب الزنا والعفة ، وماتمسكا بهذه الآيات ، ولو كانت هذه الآيات فى نسخهما لذكراها أو تمسكا بها يقينا . " (٢)

وقال ( وارد كاتلك ) :

" بعض القدماء اعترض على أول الباب الثامن من انجيل يوحنا ، وحكم ( نورتن ) بأن هذه الآيات الحاقية يقينا . " (٣)

---

(١) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٣٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص٤٠٥ .

(٣) المرجع السابق .

النوع الثالث : التحريف اللفظي بالنقصان :

هناك عشرون شاهدا على التحريف بالنقصان - كما قلنا - أورد هـا الشيخ ( رحمة الله الهندى ) فى كتابه ( اظهار الحق ) .

ولا شك أن ذلك النقص فى نصوص كتاب مقدس يفقده قداسته لو كان لفظا أو جملة ، فمابالك والنقص فى الأناجيل واضح فى سقوط اصحاحات بكاملها . . . ان ذلك لأمر خطير جداً .

من ذلك ماجاء فى انجيل ( متى ) فيما يحكيه عن سيرة المسيح من أنـه :

" أتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ماقيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا ." (١)

عبارة : " لكى يتم ماقيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريا " قد انفرد بها ( متّى ) عن بقية الأناجيل ، فلا توجد هذه العبارة فيها . يقول علماء الكاثوليك :

" إن هذا كان فى كتب الأنبياء ، لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب قصدا لمعاندة الدين المسيحى ." (٢)

ويقول صاحب اظهار الحق تعليقا على ذلك :

" أى تحريف بالنقصان يكون أزيد من أن تضيع فرقة الكتب الالهامية قصداً ؛ للأغراض النفسية ؛ ولعناد ملة أخرى ." (٣)

ثم يستشهد بما جاء فى كتاب ( مَمْرد كاتلك ) " سؤالات السؤال " من قوله :

" الكتب التى كان فيها هذا - يعني مانقله ( متى ) - انمحت ؛ لأن كتب

---

(١) ٢ : ٢٣ .

(٢) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٤٣١ .

(٣) المرجع السابق نفسه .

الأنبياء الموجودة الآن لا يوجد فى أحد منها أن عيسى يدعى ناصريـــــاً ".

ثم قال : قال ( كرايزاستم ) فى تفسيره التاسع على ( متى ) :

" انمحى كثير من كتب الأنبياء ؛ لأن اليهود ضيعوا كتبا لأجل غفلتهـــم ، بل لأجل عدم ديانتهم ، ومزقوا بعضها ، وأحرقوا بعضها ".

ثم يقول ( مُرد كاثلك ) تعقيباً على قول ( كرايزاستم ) هذا : " وهذا هـــو الأغلب أنهم مزقوا الكتب وحرقوها ؛ لأنهم لما رأوا أن الحواريين يتمسكـــون بهذه الكتب فى اثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الأمر... ".(١)

وفى الانجيل المنسوب الى مرقس جاء مايلى على لسان المسيح :

" وحتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شئ لكى يغفر لكم أيضـــا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم ، وان لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فـــى السموات أيضا زلاتكم ." (٢)

ويرى الأستاذ / دنيس نينهام أن عبارة : " وان لم تغفروا أنتم لا يغفـــر أبوكم الذى فى السموات أيضا زلاتكم " هى المحذوفة من بعض النسخ الحديثـــة . يقول فى ذلك :

" فمع أن هذه العبارة ثابتة فى المراجع القديمة إلا أنها قد حذفت فـــى بعض النسخ الحديثة ." (٣)

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٤٣١ .

(٢) ١١ : ٢٥-٢٦ .

(٣) تفسير انجيل مرقس ص٢٩٧ نقلاً عن المهندس : احمد عبد الوهـــاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٩٨ .

أما عن انجيل ( لوقا ) فقد جاء على لسان ( هورن ) مايعترف فيه صراحة بسقوط آية كاملة منه ويطالب بارجاعها فيه فيقول :

" سقطت آية تامة مابين الآية الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من الباب الحادى والعشرين من انجيل ( لوقا ) ، فلتزد ، بعد أخذها من الآية السادسة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من انجيل (متى) ، أو من الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل ( مرقس) ، ليكون ( لوقا ) موافقا للانجيلين الآخرين .

ثم قال فى الحاشية :

" أغض المحققون والمفسرون كلهم عيونهم عن هذا النقصان العظيم ، الواقع فى متن ( لوقا ) حتى توجّه عليه ( هلز ) ." (١)

والآية الساقطة من انجيل ( لوقا ) والتى يطالب باضافتها هى :

" وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة ، فلايعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ، ولا الابن الا الآب ." (٢)

وهناك فى انجيل ( يوحنا ) توجد أربعة اصحاحات ، من الاصحاح الرابع عشر الى الاصحاح السابع عشر ، كلها تتحدث عن المسيح وخطبته الطويلة المتضمنة للوعظ والارشاد لتلاميذه ، ومناجاته لربه ، بينما بقية الأناجيل الأخرى قد أغفلتها تماما .

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٢٢٤ .

(٢) انظر انجيل مرقس ١٣ : ٣٢ ،
وكذلك انجيل ( متى ) : ٢٤ : ٣٦ .

ونتساءل .... هل الخطبة فى انجيل يوحنا صحيحة أم لا ؟ وان كانت صحيحة فلماذا أغفلها كتاب الأناجيل الثلاثة الآخرون ؟

انهم بذلك قد تهاونوا فى مسؤليتهم وعلمهم .

وان كانت غير صحيحة فكيف يسمحون لأنفسهم بأن يتلقوا دينهم عن شخص واحد هو ( يوحنا ) ، حيث إن من شروط ثبوت أصل الأديان هو التواتر . ؟

ويتساءل مثلنا الدكتور ( موريس بوكاى ) ـ متحيراً ـ عن سبب كيفية سقوط هذه الخطبة الطويلة من الأناجيل الثلاثة الأول ، ولا يعرف لسؤاله اجابة فيقول :

" كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل ( متى ، ومرقس ، ولوقا ) لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح ؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى :

هل كان النص أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين ؟ ألم يحذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ ولنقل فوراً :

إنه لا يمكن الاثبات بأية اجابة ، فاللغز مستغلق تماماً بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين ." (١)

ثم ان هناك أمرا فى غاية الأهمية وهو: إغفال الأناجيل الأربعة لذكر حادثة تكلم عيسى فى المهد ؛ (٢) لتبرئة أمه الطاهرة مما اتهمها به اليهود ، واغفالهم لها عندما رأوها تحمله .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٢٥ ط ٤ .

(٢) حسبما جاءت فى سورة مريم : الآيات من ٢٧ - ٣٣ .

هذا الاغفال دليل واضح على ما فى أناجيلهم من خلل وتحريف ، وكان الأحرى بكتّاب الأناجيل أن يذكروها فى كتبهم ، حيث إنها تتعلق بمن يزعمون ألوهيته .[١] لكنهم حذفوها وأسقطوها من أناجيلهم ؛ خوفا من اليهود الذين أظهروا عداوتهم لعيسى حين جاءهم بالرسالة .[٢]

" وبكل طرق الاثبات والتمحيص والتحليل الديني والتاريخي والعلمي ، فان كتابا يحذف الناس منه مايريدون ، ويثبتون فيه مايودون ، لا يليق مطلقا أن نقول عنه : انه وحي من عند الله تعالى ."[٣]

هذه هي بعض التحريفات الواقعة فى أناجيل النصارى الحالية ، وهي غيض من فيض وقليل من كثير[٤] ، وليسهنا مكان حصرها حتى لا نخرج بالبحث عن نطاقه ومضمونه .

" ان كل هذه البراهين ، بل وأضعاف أضعافها ، لا تملأعين النصارى ، ولا تكفي لاقناعهم بزيف مايتداولونه من أناجيل ؛ لأنه لن يكون نصرانيا بالمعنى الصحيح عندهم إلاّ من يلغي عقله ويتلقى تعاليم الكنيسة ، وتخريفات دجاجلتها بفكر مغلق ، وقلب أصم ، وعين لا ترى إلاّ بالمنظار الذى يصنعه أولئك الدجّالون ، بل إن مجرد التفكير فى مناقشة هذه التعاليم عند بعضهم يعتبر هرطقة

---

(١) أنظر : سارة العبادى : التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة ص١٦٣ . ( رسالة ماجستير ) .

(٢) أنظر : الفخر الرازى : التفسير الكبير المجلد ١١ جـ٢١ ص٢١٧ .

(٣) أنظر : معالى عبدالحميد حمودة : جريدة الندوة العدد ٧٢٩٦ فى ١٤٠٣/٥/٢٣هـ .

(٤) أنظر : المسعودى : مختصر كتاب تجميل من حرف الانجيل ( مخطوطة ) من ص٤٢ الى ص٦٩ . =

وتجديفاً ." [1]

وما أصدق ( سان أوغسطين ) - وهو أخبث رجال الكنيسة - عندما يريد أن يقطع أي مناقشة في عقيدته يصرخ قائلاً :

" أنا مؤمن ؛ لأن ذلك لا يتفق والعقل ". [2]

ويقول الأستاذ ابراهيم الجبهان تعليقاً على ذلك :

" لا أدري والله ، أي فرق بين المجانين وبين من يضربون بعقولهم عرض الحائط ؟ ! ! " [3]

٥٥

---

= وانظر كذلك هامش رقم (١) ص ٨٠ من هذه الرسالة .
وأيضا الهوامش الموجودة في ص ٨١ " " حيث فيها احالة الى أسماء الكتب التي أسهبت في سرد التناقضات والتحريفات في الأناجيل .

(١) أنظر : ابراهيم سليمان الجبهان : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ص٦٤ ط٤ .

(٢) المسيولتيين دينية : اشعة خاصة بنور الاسلام ص٥٥ نقلاً عن د . رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ص١٢٩ .

(٣) معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ص٦٤ ط٤ .

ب - شبهات النصارى على عدم تحريف كتبهم وابطال ابن تيمية لها :

الواقع أن النصارى لا يسلّمون بالقول بوقوع التحريف اللفظي في كتبهم، بل لقد وجد من المعاصرين من ألّف كتابا بعنوان ( استحالة التحريف في الكتاب المقدس). ولكننا في هذا المقام لا يعنينا أن نعرض لهذا الكتاب وما فيه ، بل إن مقصدنا فقط هو أن نستعرض ما أورده ابن تيمية ونقله عن النصارى في عهده أو فيما قبله من شبهات دفاعاً عن كتبهم وبياناً منهم لعدم تحريفها ثم ابطال ابن تيمية لشبهاتهم في هذا المقام وذلك على النحو الآتي :-

<u>الشبهة الأولى :</u>

يذكر ابن تيمية عن النصارى القول باستحالة تحريف كتابهم المقدس المكتوب باثنين وسبعين لساناً والمتعدد النسخ في كل لسان والذي مضى عليه الى مجئ النبي محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من ستمائة سنة ، ويتساءلون في ذلك قائلين :

" إذا كان الكتاب الذي لهم "أي للمسلمين " الذي هو باللسان الواحد لا يمكن تبديله ولا تغيير حرف واحد منه ، فكيف يمكن تغيير كتبنا التي هي مكتوبة باثنين وسبعين لسانا ؟ وفي كل لسان منها كذا وكذا ألف نسخة ؟ وجاز عليها[1] الى مجئ محمد أكثر من ستمائة سنة ، وصارت في أيدي الناس يقرؤونها باختلاف ألسنتهم على تشاسع بلدانهم؟ ! "[2]

وجماع رد ابن تيمية على هذه الشبهة :-

إننا لم ندّعِ وقوع التحريف في جميع النسخ بجميع اللغات ، بل في بعضها لفظيا.

---

(١) جاز عليها : أي مضى عليها .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٣٠، ص١٦ .

وأما وقوع التحريف المعنوي فمسلّم به من الجميع وأنه لا وجه لقياس الأناجيل على القرآن المتواتر المحفوظ في الصدور ، وأن كثرة النسخ في اللغات الكثيرة - على عكس ما يظنون - مما يتيح الفرصة للتحريف في كتبهم دون أن يتنبّه إليه أحد بخلاف الحال في القرآن المكتوب بلغة واحدة . هذا بالاضافة إلى أن ماتضمنته هذه الأناجيل من أقوال المسيح كما تقلها عنه أصحابها ، إنما هي أقوال مترجمة -لأن عيسى لم يكن يتكلم إلّا العبرية - ومع كثرة الترجمات يقع التحريف فيما نقل عن عيسى -عليه السلام - لا محالة .

يقول ابن تيمية في تفصيل جوابه عن هذه الشبهة :-

أولاً :

"ان المسلمين لم يدّعوا أن هذه الكتب حرفت بعد انتشارها وكثرة النسخ بها ، ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من أحكامها ، وهذا ما تسلمه النصارى جميعهم في التوراة والنبوات المتقدمة ، فإنهم يسلمون أن اليهود بدّلوا كثيرا من معانيها وأحكامها ، ومما تسلمه النصارى في فرقهم ، أن كل فرقة تخالف الأخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة .

ومما تسلّمه اليهود ، أنهم متفقون على أن النصارى تفسّر التوراة والنبوات المتقدمة على الانجيل بما يخالف معانيها ، وأنها بدّلت أحكام التوراة ، فصار تبديل كثير من معاني الكتب المتقدمة متفقا عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ".[1]

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٥ .

**ثانيا :**

"ان قياسهم كتبهم على القرآن - مع أنه لم تسمع دعوى التبديل فيه - قياس باطل في معناه ولفظه ....

..... فالمسلمون عندهم - منقولة عن نبيهم نقلاً متواترا - ثلاثة أمور : لفظ القرآن ، ومعانيه التي أجمع المسلمون عليها ، والسنة المتواترة ، وهي الحكمة التي أنزلها الله عليه غير القرآن . كما قال تعالى : "كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ."[1]

وقال صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت الكتاب ، ومثله معه )[2]

..... وأيضا فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظا يستغنون به عن المصاحف ، كما ثبت في الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( ... ان ربي قال لي : إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظاناً . )[3]

..... والقرآن مازال محفوظاً في الصدور نقلاً متواتراً حتى لو أراد مريد أن يغيّر شيئا من المصاحف ، وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غيّر المصحف لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف آخر ، وأنكروا ذلك .

---

(١) سورة البقرة / آية ١٥١ .

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده جـ٤ ص١٣٠ / ١٣١ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه / كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ٤ ص٢١٩٧ رقم الحديث ( ٦٣ ) ط٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

أما أهل الكتاب فيقدر الانسان منهم أن يكتب نسخا كثيرة من التوراة والانجيل ، ويغيّر بعضها ، ويعرضها على كثير من علمائهم ، ولا يعرفون ما غيّر منها ان لم يعرضوه على النسخ التي عندهم ، ولهذا لما غيّر من نسخ التوراة راج ذلك على طوائف منهم ، ولم يعلموا التغيير[1].

وأيضا فالمسلمون لهم الأسانيد المتصلة ، بنقل العدول الثقات لدقيق الدين ، كما نقل العامة جليله ، وليس هذا لأهل الكتاب[2].

ثالثا :

"وأيضا فما ذكروه من أن كتبهم مكتوبة باثنين وسبعين لسانا هو أقرب الى التغيير من الكتاب الواحد باللغة الواحدة ، فان هذا مما يحفظه الخلق الكثير ، فلا يقدر أحد أن يغيّره"[3].

---

(١) لعل في الحكاية الاتية ما يؤكد صحة ماذهب اليه ابن تيمية هنا ، حيث جاء في كتاب ( المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ) للمسعودى صفحة (٤٢ / ٤٣) مانصه :" يحكى أن بعض أمراء المؤمنين كان في خدمته نصراني ، وكان معجبا به ، فأمره بالاسلام ، فامتنع ثم غاب عنه ثلاثة أعوام ، ثم حضر ، فأسلم . فقال له : ماسبب غيبتك فقال : كتبت الانجيل ، وألحقت به أمورا شتى ، لم ينطق بها كتاب ولا يقبلها عقل . ثم جئت الرهبان ، فعرضته عليهم ، فتبركوا به ولم يردوا منه حرفا واحدا مما اخترعته فيه . ثم عمدت الى التوراة ففعلت فيها مثل ذلك ، وعرضتها على اليهود ، فقبلوا ذلك ولم يردوا عليّ حرفا واحدا . ثم عمدت الى القرآن ، ففعلت فيه مثل ذلك ، ثم عرضته على المسلمين ، فردوه عليّ ، ومقتوني ، وما كدت أسلم منهم من القتل فعلمت أنه الدين الحق ، المحفوظ من التبديل ، والتغيير ، وأن الكتب التي بأيديهم رتبوها على معتقداتهم ، وأنه لاحقيقة لأكثرها ، فدخل عليّ الاسلام ."

(٢) ابن تيمية/ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٥ـ٧ بتصرف قليل وتلخيص .

(٣) المرجع السابق جـ٢ ص ٧ .

رابعاً :*

" ... معلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلاّ بالعبرية ، فالكلام المنقول عنه فى الأناجيل انما تكلم به عبريا ، ثم ترجم من تلك اللغة الى غيرها ، والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً ، كما وجدنا فى زماننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية ، ويظهر فى الترجمة من الغلط مايشهد به الحذّاق الصادقون ممن يعرف اللغتين ."(١)

" واذا قدّر أن بعض النسخ الموجودة ببعض الألسنة غيّر بعض مافيها ، لم يعلم ذلك سائر أهل الألسن الباقية ، بل ولم يعلم بذلك سائر أهل النسخ الأخرى ، فالتغيير فيها ممكن ، كما يمكن فى نظائر ذلك ."(٢)

الشبهة الثانية :

يحتج النصارى بأن جميع نسخ الأناجيل على كثرتها متحدة لفظاً ومعنى ويحتاج تحريفها الى جمع جميع النسخ وهذا أمر متعذّر . ويرد عليهم ابن تيمية متسائلا مستنكراً دعواهم : اتفاق جميع نسخ كتبهم لفظاً ومعنى فيقول :

---

* هذا الرد الرابع على أساس احتواء هذه الأناجيل على بعض ماحفظه كاتبها من كلام المسيح ، وإلاّ فان هذه الأناجيل من كتابة أصحابها ولا تمثّل انجيل المسيح ، فهى أناجيل مبدلة فضلا عن وقوع التحريف فى ترجماتها .

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص ١٧

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٧ ، ٨ .

أولاً :

" . . . من الذى يعلم اثنين وسبعين لغة ؟ ومن الذى حكم على الدنيا ، ملوكها وقساوستها وعلمائها حتى حكم على جميع من بأقطار الأرض ، وجمعها من أربع زوايا الأرض ، وأحضر كل نسخة موجودة فى جميع الأرض ، وقابل كل نسخة موجودة فى جميع الأرض بجميع النسخ ، فوجد جميع ألفاظ جميع النسخ التى باثنين وسبعين لساناً من جميع أقطار الأرض لفظا لم يختلف ألفاظها ؟ فان دعوى العلم بهذا ممتنع أعظم من امتناع دعوى تغييرها ، فإنه إن أمكن أحد أن يجمع جميع النسخ كانت قدرته على تغيير بعض ألفاظها كلها أيسر عليه من مقابلة كل ما في نسخة بجميع ما فى سائر النسخ . فإنا إذا أحضرنا من كتاب من الكتب عشرة نسخ كان تغيير بعض ألفاظ العشرة أيسر علينا من مقابلة كل واحدة من العشرة بالتسعة الباقية . إذ المقابلة يحتاج فيها إلى معرفة جميع ألفاظ كل نسخة ومساواتها للأخرى .

وأما التغيير فيكفي فيه أن يغير من كل نسخة ما يغيره من الأخرى ، فإن كان تغيير جميع النسخ ممتنعا فى العادة فالعلم باتفاقها أشدّ امتناعاً ، وإن كان العلم باتفاقها ممكناً ، فإمكان تغيير بعض ألفاظها أيسر وأيسر . "[١]

ثانياً :

دعوى اتفاق ألفاظ جميع النسخ فى جميع زوايا الأرض هى :

" دعوى خلاف الواقع ، فإن الاختلاف فى نسخ التوراة والانجيل

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ص( ٢ / ٢٢ .

والزبور موجود ، قد رأيناه نحن بأعيننا ، ورآه غيرنا . . . ." *[1]

ويقول ابن تيمية أيضا :

ان " ما ادعوه من تعذر جمع جميع النسخ هو حجة عليهم ، فإن ذلك اذا كان متعذراً لم يمكن الجزم باتفاق جميع النسخ لواحد ، حتى يشهد بأنها كلها متفقة لفظا ومعنى . بل إن إمكان التغيير فيها ( أى فيما لو أمكن جمعها ) أيسر من امكان الشهادة باتفاقها ؛ ولهذا لا يمكن أحد تغيير القرآن مع كونه محفوظا في القلوب منقولاً بالتواتر ، مع أنا لا نشهد لجميع المصاحف بالاتفاق ، بل قد يقع في بعض نسخ المصاحف ما هو غلط يعلمه حفاظ القرآن ، ولا يحتاجون الى اعتبار ذلك بمصحف آخر ، وتلك الكتب لا يحفظ كلامها قوم من أهل التواتر حتى تعتبر النسخ بها ، ولكن لما كان الأنبياء -عليهم السلام- فيهم موجودين كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه ، إذا غير بعض الناس شيئا من الكتب، فلما انقطعت النبوة فيهم أسرع فيهم التغيير ."[2]

<u>الشبهة الثالثة :</u>

يحتج النصارى على استحالة التحريف فى كتبهم ، بأنها منقولة عن

---

* يكشف لنا ابن تيمية عن بعض ما رآه من تغيير ، وضرب لنا الأمثلة لذلك : حيث رأى التوراة التي عند السامرة تخالف توراة اليهود والنصارى حتى فى العشر الكلمات ، فذكر السامرة فيها من أمر استقبال الطور ما لا يوجد فى نسخ اليهود والنصارى . وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف معروف ، ونسخ الانجيل مختلفة . ورأى عدة نسخ بالزبور يخالف بعضها بعضا اختلافا كثيرا . حيث رأى من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ، ورأى نسخة أخرى بالزبور خالية من ذلك . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٢ ، ٢٧ .

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٢ .

(٢) المرجع السابق جـ٢ ص٨ .

الحواريين وهم عندهم " رسل معصومون ، ترجموها لجميع الأمم ، بخلاف القرآن ، فانه انما يترجمه من ليس بمعصوم".(١)

ويرد ابن تيمية على ذلك بأن الحواريين ليسوا بأنبياء الله ورسله ، وانما هم رسل المسيح -عليه السلام- بمنزلة رسل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فليسوا معصومين حتى ولو ظهرت على أيديهم الخوارق الدالة على ولاية الله لهم . وعلى هذا فكتابتهم للأناجيل وترجمتهم لها لا تكون معصومة -كما يزعمون- فضلا عن أن هؤلاء الحواريين لم يترجموا الأناجيل الى لغات العالم التى هى أكثر مما يعدّون ، فلم توجد هذه الترجمات المنقولة عنهم لا فى العربية ولا فى غيرها ، وانما هى ترجمات قام بها غيرهم فكيف يقال : انها ترجمات معصومة يستحيل أن يدخلها التحريف ؟!

يقول ابن تيمية فى بيان ذلك :-

أولا :

"ان هذا كذب بيّن ، فان من العرب من النصارى من لا يحصى عدده الا الله تعالى ، وكان فيهم نصارى كثيرون تنصّروا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم قوم على دين المسيح الذى لم يبدّل وهم مؤمنون من أهل الجنة، كسائر من كان على دين المسيح عليه السلام .... ومع هذا فليس على وجه الأرض توراة ولا انجيل معرّب من عهد الحواريين ، بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبرى أو غيره الى العربية ، وكذلك الانجيل ينقل من اللسان الرومى أو السريانى

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ج١ص٢٠٠.

أو اليوناني أو غيره الى اللغة العربية ، فلو كان عند كل أمة من الأمم تـــوراة وانجيل ونبوات بلسانهم لكان نصارى العرب أحقّ بهذا من نصارى الحبشـــة والصقالبة والهند ، فإنهم جيران البيت المقدس ، وهم بنو اسماعيل عليه السلام. والأناجيل عندهم أربعة ، وهم يدّعون أن كل واحد كتبها بلسان.

كتبت بلسان العبري ، والرومي ، واليوناني ...

وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب انجيلاً بلسانه ، لم يكن هنـــاك انجيل واحد أصلي ترجع اليه الأناجيل كلها* . ثم إنهم مع هذا يدعون أنهـا ترجمت باثنين وسبعين لسانا (وقد بينا ما فيه من الكذب والتناقض)[1]

..... لكن غاية ما يدّعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لسانا ، ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا ، وقبل زماننا أكثر من هـــذا ، كما يعرفه من عرف أحوال العالم ، بل اللسان الواحد كالعربي والفارسي والتركـي جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم لسان بعض إلاّ أن يتعلمه منهم ، والعرب أقرب الأمم الى بني اسحاق (بنو اسرائيل والعيص)[2] فانهم (أي العرب) بنـو اسماعيل وجيرانهم ، فان أهل الحجاز جيران الشام ، ومكة لم تزل تحج اليهـا

---

* من الحقائق الثابتة : استقلال كل كاتب من كتّاب الأناجيل بكتابة انجيلـه كتاريخ لحياة المسيح ، ونقل لأقواله ، وان هذه الأناجيل ليست ترجمات مختلفة أو نقولا متعددة لانجيل واحد يعدّ أصلا لها.

(١) أنظر ص ١٠٤ من هذه الرسالة.

(٢) في معرض ذكر الرازي لبشارات العهد القديم بالنبي محمد صلى الله عليـه وسلم تحدّث عن بني اسرائيل والعيص فقال :

"اتفق المفسرون على أن اسرائيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

ويقولون : ان معنى اسرائيل (عبد الله) ؛ لأن "اسرا" في لغتهم هـــو العبد ، و"ايل" هو الله ...

ولم يكن ليعقوب أخ الا العيص ، ولم يكن للعيص ولد من الأنبياء سوى أيوب ، وانه كان قبل موسى . وأما اسماعيل فانه كان أخا لاسحاق والد يعقوب .

أنظر التفسير الكبير المجلد الثاني جـ٣ ص٣١ ، ٣٨ .

العرب ، ولم يكن قط عند العرب توراة ولا انجيل لا معرب ولا غير معرب ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك﴾[١] . فكيف يدعى أن التوراة والانجيل ترجمها الحواريون ،لكل قوم من جميع بنى آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، بلسان يفهمونه به ، وهل يقول هذا إلاّ من هو أكذب الناس وأجهلهم ؟ ! "[٢]

ثانياً :

"أن يقال : ترجمة الكلام من لغة إلى لغة لا تحتاج إلى معصوم ، بل هذا أمر تعلمه الأمم ، فكل من عرف اللسانين أمكنه الترجمة ، ويحصل العلم بذلك إذا كان المترجمون كثيرين متفرقين لا يتواطؤن على الكذب ، بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك ، وهذا موجود معلوم ، بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف مايقوله الآخر ، ولم يتواطآ ، حصل بذلك المقصود فى الغالب ، وهم يذكرون أن التوراة ترجمها اثنان وسبعون حَبْراً من اليهود ، ولم يكونوا معصومين ، وأن الملك فرقهم لئلا يتواطؤا على الكذب ، واتفقوا على ترجمة واحدة ، وهذا كان بعد الخراب الأول . فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة ، وهذه التوراة فى زماننا والانجيل والزبور يترجم باللغة العربية ، ويعرف المقصود به بلا ريب ، فكيف بالقرآن الذى يفهم أهله معناه ويفسّرونه ويترجمونه أكمل وأحسن مما يترجم أهل التوراة والانجيل ، التوراة والانجيل ؟ ! "[٣]

---

(١) سورة القصص / آية ٤٦ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٢٠٠ / ٢٠١ .

(٣) المرجع السابق نفسه ص٢٠١ / ٢٠٢ .

ثالثا :

"إن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين ، وأنهم رسل الله بمنزلة ابراهيم وموسى عليهما السلام ، دعوى ممنوعة وهي باطلة ، وإنما هم رسل المسيح - عليه السلام - بمنزلة رسل موسى ورسل ابراهيم ورسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وأكثر النصارى أو كثير منهم أو كلهم يقولون : هم رسل الله وليسوا بأنبياء ، وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم ، وان كانت له خوارق عادات ، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم ، فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ ، والخوارق التي تجري على أيدي غير الأنبياء ، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء ، فضلا عن كونهم معصومين ، فإن وليّ الله من يموت على الايمان ، ومجرد الخوارق لا تدل على أنه يموت على الايمان ، بل قد يتغيّر عن ذلك الحال ، وإذا قطعنا بأن الرجل وليّ الله - كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة - فلا يجب الايمان بكل مايقوله إن لم يوافق ماقالته الأنبياء ، بخلاف الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقرّ فيما يبلّغونه خطأ ...." (١)

الشبهة الرابعة :-

قالوا : " لا يمكن تغيير النسخ وترك بعضها ؛ لأنها كلها قول واحد ولفظ واحد في جميع الألسن " (٢)

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٢٠٢ .
وانظر كذلك المرجع نفسه جـ١ ص٢٩٦، ٣٥٦، ٣٥٧ ،
وكذلك جـ٢ ص٢١٩ .

(٢) المرجع السابق نفسه جـ٢ ص٢٣ .

ومعنى ذلك : أن دعوى التغيير فى بعض النسخ - كما يقول المسلمون - دعوى تخالف الواقع فى نظر أهل الكتاب .

ويردّ ابن تيمية على شبهتهم هذه : بأن قولهم هذا تضمن شيئين :- تضمن دعوى كاذبة ، وحجة باطلة .

أما الدعوى الكاذبة : فهى في قولهم : " هذا لا يمكن " وهو " مكابرة ظاهرة فإن امكان تغيير بعض النسخ مما لا ينازع عاقل فى امكانه ، لكن قد يقول القائل : إذا غيّر بعض النسخ وظهر ذلك ، شاع ذلك فرأى سائر أهل النسخ تلك النسخة مغايرة لنسخهم فأنكروه ، فإن الهمم والدواعي متوفرة على انكار ذلك كما يوجد اليوم مثل ذلك . مثل لو أراد رجل أن يغيّر كتاباً مشهورا عند الناس ، به نسخ متعددة ، فإذا غيّره فوصلت تلك النسخة الى من يعرف ما فى تلك النسخ أنكروا ذلك .

فيقال : هذا يمكن إذا كانت تلك النسخة المغيّرة وصلت الى طائفة يمتنع عليهم مواطأتهم على الكذب ، فإنه كما يمتنع فى الأخبار المتواترة التواطؤ على الكذب ، فيمتنع التواطؤ على كتمان ما يتعذر كتمانه فى العادة .

ومعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة ، التواطؤ على تغيير بعض النسخ ، والنسخ انما هى موجودة عند علماء أهل الكتاب ، وليس عامتهم ( أي عامة الناس ) يحفظون ألفاظها ، كما يحفظ عوام المسلمين ألفاظ القرآن ، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك ، ثم إذا تواطأت طائفة أخرى على أن لا يذكروا ذلك أمكن ذلك ، ولكن إذا كانت الطوائف ممن لا يمكن تواطؤهم على الكذب أو الكتمان امتنع ذلك فيهم .

وقد رأينا عند أهل الكتاب كُتباً يدّعون أنها عندهم من النبي صلى الله عليه وسلم بخط علي بن أبي طالب ، فيها أمور تتعلق بأغراضهم ، وقد التبس أمرها على كثير من المسلمين ، وعظّموا ما فيها وأعطوا أهل الكتاب ما كتب لهم فيها معتقدين أنهم ممتثلين ما فيها ، فلما وصلت الى مَنْ وصلت اليه من علماء المسلمين بينوا كذبها بطرق معلومة بالتواتر ، مثل ذكرهم فيها : شهد بما فيها كعب بن مالك الحبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يعنون كعب الأحبار. وكعب الأحبار إنما أسلم على عهد عمر بن الخطاب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، واسمه كعب بن مانع ، ولكن في الانصار كعب بن مالك الشاعر الذي أنزل الله توبته في سورة براءة فظن هؤلاء الجهال أن هذا هو ذاك .

ومثل ذكرهم شهادة سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن ، ذكروا شهادته عام خيبر* ، وقد اتفق أهل العلم أنه مات عقب غزوة الخندق** قبل غزوة خيبر بمدة ، وأمثال ذلك ."[1]

---

* يرى الجمهور أن غزوة خيبر وقعت في محرم سنة سبع بعد الهجرة بعد عودته من الحديبية بعشرين يوما تقريبا . انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص١١ ٢ .

** غزوة الخندق وقعت في شوال سنة خمس من الهجرة . انظر السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص١٢٧ .

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٣ / ٢٤ .

أما الحجة الداحضة : فهي في قولهم :

" انها كلها قول واحد ، ولفظ واحد في جميع الألسن ".

" فهل يقول عاقل من العقلاء أنه علم ذلك ؟ وأنه علم أن كل نسخة من النبوات الأربعة وعشرين بأحد الألسنة الاثنين وسبعين موافقة لكل نسخة في سائر الألسنة ، ولو ادعى مدع أن كل نسخة من التوراة في العالم باللسان العربي ، أو كل نسخة من الانجيل في العالم باللسان العربي أو كل نسخة في العالم من الزبور باللسان العربي موافقة لجميع النسخ العربية الموجودة في زوايا العالم لكان قد ادعى مالا يعلمه ولا يمكنه علمه ، فمن أين له ذلك ؟

وهل رأى كل نسخة عربية بهذه الكتب أو أخبره من يعلم صدقه أن جميع النسخ العربية الموجودة في العالم موافقة لهذه النسخة ؟ وكذلك اذا ادعى ذلك في اللسان اليوناني ، والسرياني ، والرومي ، والعبراني ، والهندي . فان كان في العالم بكل كتاب من هذه اثنان وسبعون لسانا يدعون اتفاق نسخ كل لسان من جنس دعوى اتفاق النسخ العربية ، فكيف اذا ادعى اتفاق النسخ بجميع الألسنة ؟ وهب أنه يمكن أن يقال ذلك في نسخ لسان نقلها أهله والناطقون به ، فكيف يمكن دعواه في لسان كثر الناطقون به وانتشر أهله ؟ وليس هذا كدعوى اتفاق مصاحف المسلمين بالقرآن ، فان القرآن لا يتوقف نقله على المصاحف ، بل القرآن محفوظ في قلوب ألوف مؤلفة من المسلمين ، لا يحصى عددهم الا الله عز وجل ، فلو عدم كل مصحف في العالم لم يقدح ذلك في نقل لفظ من ألفاظ القرآن ، بخلاف الكتب المتقدمة ، فانه قلّ أن نجد من أهل الكتاب أحدا يحفظ كتابا من هذه الكتب ، فقلّ أن يوجد من اليهود من يحفظ التوراة .

وأما النصارى فلا يوجد فيهم من يحفظ التوراة والانجيل والزبور والنبوات كلها فضلا عن أن يحفظها باثنين وسبعين لسانا ، وان وجد ذلك فهو قليل ، لا يمتنع عليهم لا الكذب ولا الغلط . فتبيّن أن ماذكروه من انتشار كتبهم بالألسنة المختلفة هو من أقوى الأمور فى عدم العلم بتماثل مافيها من الألفاظ ، وأن القرآن إذا كان منقولا بلغة واحدة ، وذلك اللسان يحفظه خلق كثير من المسلمين فكان ذلك مما يبيّن أن القرآن لا يمكن أحد أن يغيّر شيئا من ألفاظه ، وان أمكن تغيير بعض ألفاظ التوراة والانجيل عند كثير من أهل الكتاب . والمسلمون لا يدّعون أنه غُيّرت جميع ألفاظ جميع النسخ بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كما ظنه بهم هؤلاء الجهال ، بل إنما ادعوا مايسوغه العقل[1] ، بل ويظهر دليل صدقه ، ولكن هؤلاء الجهال ادعوا العلم بأن جميع النسخ بجميع الألسنة بجميع الكتب بلفظ واحد ، فادعوا مالا يمكن لأحد علمه ، وادعوا مايعلم بطلانه ." (٢)

---

(١) وهو تغيير بعض الألفاظ وأن النسخ كانت قليلة والتحريف فى بعض الأشياء معقول .

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٤/٢٥ .

**الشبهة الخامسة :**

يحتج النصارى على استحالة التحريف في كتبهم بثناء القرآن عليها وتعظيمه لها في قوله تعالى : ( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه )[١] وقوله تعالى : ( ألم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ... ... ) الآية[٢]

واحتجوا كذلك بقوله تعالى في سورة المائدة : ( وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون . )[٣]

بل انهم جعلوا أول سورة البقرة موضوعا للثناء عليهم وعلى التوراة والانجيل في قوله تعالى : ( ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . )[٤]

ووجه احتجاجهم بهذه الآيات أن ( الكتاب ) المشار اليه فيها يعني به - كما يزعمون - كتابهم (الانجيل ) ، وأن ( الذين يؤمنون بالغيب ) هم النصارى ،

---

(١) سورة المائدة / آية ٤٨ .
(٢) سورة آل عمران / آية ١-٤ .
(٣) آية ٤٦/٤٧ .
(٤) آية ١-٥ .

الذين آمنوا بالسيد المسيح ولم يروه .

أما قوله بعد ذلك : ( والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ) فعنى به ( المسلمون ) الذين آمنوا بما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به مَنْ قبله .

وقد احتجوا كذلك بقوله تعالى في سورة آل عمران : ( فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ) [١].

ويدعون أن ( الكتاب المنير ) في هذه الآية هو الانجيل المقدس.

وبقوله تعالى : ( فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ) [٢]

ويقولون :

انه بهذه الأدلة وماشابهها قد أثبت القرآن ما معنا ، ونفى عن انجيلنا وكتبنا التي بأيدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه اياها ." [٣]

وفحوى هذه الشبهة في الدفاع عن التوراة والانجيل احتجاجا بثناء القرآن عليهما هو : أن القول بتحريف هذه الكتب يتنافى مع ثناء القرآن عليهما .

فإما أن نساير ثناء القرآن عليها ونترك اتهامها بالتحريف ـ الذي أثبتته آيات أخرـ وإلاّ فالقول بتحريفها يقتضي بطلان ما في القرآن من الثناء عليها ، ولا يقول مسلم ببطلان شئ من القرآن . فاتهام كتب المسيحيين بالتحريف باطل في نظرهم لاستلزامه أمرا باطلا عند المسلمين .

---

(١) آية ١٨٤ .

(٢) سورة يونس / آية ٩٤ .

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٢٩٦/٢٩٧ .

ولله در ابن تيمية في رده لدفاعهم هذا عن كتبهم وتفنيده لشبهاتهم وتأويلاتهم للآيات الكريمة . حيث يقول :

" القرآن أثنى على كتبكم نعم ، والانجيل فيه هدى ونور نعم أيضا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق ماقبله من الكتب ومن جاء من الرسل نعم ، كل هذا حق وصدق ، والقرآن ذكر ذلك ، ولكن أراد الكتب التي لم تحرّف ولم تبدل . فالقرآن أثنى على توراتهم وانجيلهم قبل التحريف وعلى من بقي الى عهد محمد صلى الله عليه وسلم على نفس الدين الصحيح الذى جاء من عند الله ، أما الكتب بعد التحريف والتبديل ، فليس لها اعتبار في الاسلام ولا تدل الآيات التي استشهدوا بها على أن كتبهم صحيحة وغير محرفة . كيف وقد ثبت فعلا أنها محرفة وشهد القرآن عليها بذلك صراحة في قوله تعالى : ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) وغيرها من الآيات ، وقد بيّن الله أنه أنزل هذا القرآن مهيمنا على مابين يديه من الكتب."[1]

"فشهد بما فيها من الحق ، ويبين ما حرف فيها ويحكم باقرار ما أقره الله من أحكامها ، وينسخ مانسخه الله منها وهو مؤتمن في ذلك عليها "[2]

قال تعالى : ( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه )[3].

ومعنى كون القرآن مصدقا لما سبقه من الكتب : أنه يصدقها في الجانب العقدى الذى دعت اليه كل كتب الأنبياء ، وقامت عليه جميع رسالات السماء .

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص٢٧٤/٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق ج١ ص٢٩٩ .

(٣) سورة المائدة / آية ٤٨ .

أما معنى كون القرآن مهيمنا على ماعداه من الكتب ، فهو أنه رقيب وحارس على كل ماجاء فيها . ومفهوم الرقابة والحراسة أتم وأشمل من مفهوم التصديق .

فالمهيمن هو ( الشاهد ، الحاكم ، المؤتمن ، فهو يحكم بما فيها مالم ينسخه الله ، ويشهد بتصديق مافيها مما لم يبدل . )[١]

أقول : لا يحقّ للنصارى الاحتجاج علينا بالقرآن ؛ لأنهم يكفرون به ، ولا يؤمنون بصحته ؛ لأنهم ان آمنوا به وجب عليهم الايمان بكل ماجاء فيه .

وقد جاء فيه : ( إن الدين عند الله الاسلام )[٢]

وجاء فيه أيضا : ( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه.)[٣] الآية .

ثم أين هي الكتب التي يزعم النصارى صحتها ، ويدعون أن القرآن قد جاء مصدقا لما فيها ؟

أهي الكتب التي فيها شتم ، وتهم للأنبياء تصل إلى حد الزنا ، والسرقة ، والفجور ، واللهو والاحتيال ، والمصارعة مع الله . ( كما في التوراة ) . ؟ !

أم هي الكتب التي ساوت الخالق بالمخلوق ، وأنزلته الى مرتبة المخلوق في سائر التصرفات . ( كما في الأناجيل ) ؟ !

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٣٧١ .

(٢) سورة آل عمران / آية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥ .

الشبهة السادسة :

يحتج النصارى كذلك على استحالة التحريف فى الأناجيل ؛ لأنها مكتوبة باثنين وسبعين لسانا ، ومنتشرة فى جميع أنحاء الأرض ، وليس هناك من يعرف الاثنين والسبعين لغة حتى يعرف ما وقع فى هذه الأناجيل من تحريف . وليس هناك مَنْ يدعي أنه حكم على جميع ملوك الدنيا وقساوستها بتحريف ما فى أيديهم .

ويقولون فى هذا :

" فمن هو الذى تكلم باثنين وسبعين لسانا ، أو من هو الذى حكم على الدنيا جميعها ملوكها وقساوستها وعلمائها ، حتى حكم على الدنيا جميعها من أربع زوايا العالم حتى غيّرها ، وإن كان ما أمكنه جمعها كلها أو بعضها فهذا لا يمكن ( أى جمعها كلها لا يمكن لأحد من الناس) ، إذ جميعها قول واحد ونص واعتقاد واحد ."(1)

وقد ردّ ابن تيمية على هذه الشبهة من عدة وجوه . فقال :

الوجه الأول :

نحن لم ندّعِ أن التحريف والتغيير بكتبكم وقع فيها على هذا النحو الذى قلتموه ( بعد تعدد الألسن وانتشار النسخ ) ، بل لا ندعي التغيير بعد انتشار النسخ فيما ليس من كتب الأنبياء ، وانما دعوانا أن التحريف وقع عندما كانت النسخ قليلة ، وتمّ تغيير بعض ألفاظها ، وفى بعض النسخ ، وهذا أمر ممكن .

الوجه الثانى :

وجود اختلاف حقيقي بين توراة اليهود والنصارى والسامرة وبين نسخ الزبور اختلاف اكثر من ذلك ، وبين الأناجيل كذلك .

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦ .

الوجه الثالث :

من ضمن وقائع التحريف أن بعض النسخ التى كانت موجودة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ذكر اسمه صراحة ( الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل )[١] بينما بعضها الآخر ليس فيها ذلك .[٢]

وبعد ما قدمناه عن ابن تيمية من اتهامه لكتب النصارى بالتحريف ، ورأيه فى طبيعة هذا التحريف وأدلته العديدة التى قدّمها على وقوعه بالفعل فى هذه الكتب ، ثم ابطالاته لما احتج به النصارى على عدم وقوع التحريف فيها - بعد ذلك كله نحب أن نتناول ما قدمناه عن ابن تيمية بالتحليل ، مضيفين اليه ما يشهد لصحته من أقوال العلماء حتى بعض علماء النصارى أنفسهم ، ومن الدراسة الواقعية لأسفارهم المقدسة بما يؤكد وقوع التحريف بالفعل فى كتبهم .

٥٥

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٢) انظر هذه الأوجه فى ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦ ، ٢٧ .

جـ - تعقيب :-

١ - تأكيد العلماء لما يذكره ابن تيمية بوقوع التحريف في الكتاب المقدس :

يستفاد مما تقدم في أجوبة ابن تيمية على دفاع النصارى عن كتبهم ضد ما تتهم به من التحريف. يستفاد من ذلك أن ابن تيمية يرى أن التحريف أمر واقع في نسخ التوراة والانجيل ، وهو حقيقة مقررة شهد لها القرآن الكريم ، وشهدت لها السنة النبوية المطهرة ، وأثبتها الواقع .

والحقيقة . . . . أن القول بالتحريف لم ينفرد به ابن تيمية وحده ، بل ردده من قبله ومن بعده أناس كثيرون ، مسلمون ومسيحيون ، بل إن العلماء المسلمين غير محتاجين إلى أدلة لاثبات دعوى التحريف في هذه الكتب ، فقد كفاهم النصارى مؤنة ذلك ومشقته ، وذلك باعترافهم بأن الكتب التي لديهم ليست منزلة من عند الله ، ولا جاءهم بها عيسى - عليه السلام - ، وإنما تنسب الى مؤلفيها الأربعة المعروفين .

يقول ابن حزم :

" لسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ، ولا من عند المسيح - عليه السلام - ،.......... فقد كفونا ( أى النصارى ) هذه المؤنة كلها ؛ لأنهم لا يدّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا أن المسيح أتاهم بها ، بل كلهم ، أولهم عن آخرهم ، أريوسيهم وملكيهم ، ونسطوريهم ، ويعقوبيهم ، وبولقانيهم لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة . "[1]

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص٢ .

والنصارى متفقون على أنه لم يؤمن بالمسيح -عليه السلام- في حياته الا عدد محدود من المسيحيين ، وهؤلاء كانوا مستترين بدينهم ، يخافون من بطش الرومان ، وظلوا على هذه الحال حتى بعد رفع المسيح ، وأنه خلال الفترة الواقعة بين رفع المسيح ، واقرار الأناجيل ، ذهب الانجيل الأصلي المنزّل من عند الله ، ولم يبق من مضمونه إلاّ القليل جدا ، ليكون شاهدا عليهم لا لهم على وقوع التحريف في كتبهم .

يقول ابن حزم :

" لا خلاف بين أحد من النصارى ، ولا من غيرهم ، في أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته إلاّ مائة وعشرون رجلاً فقط . . . وأنهم كانوا مستترين مخافين في حياته وبعده ، يدعون إلى دينه سرا ، ولا يكشف أحد منهم وجهه الى الدعاء الى ملته ، ولا يظهر ألبتة ، ولا لهم مكان يأمنون فيه ، مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح -عليه السلام- .

وفي خلال ذلك ذهب الانجيل المنزّل من عند الله عز وجل إلاّ فصولا يسيرة ، أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزياً لهم ." (١)

ويؤكد صاحب ( اظهار الحق ) وقوع التحريف في كتب هؤلاء ، سواء قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أو بعد بعثته فيقول :

" نحن لا ندعي أن الكتب المقدسة -لهم- كانت غير محرفة إلى زمان ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعد ذلك حُرفت ، بل ندعي أن هذه الكتب كانت قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، لكنها بلا اسناد متصل

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص٤٤ .

وأن التحريف كان فيها قبله يقينا ، ووقع في بعض المواضع بعده أيضا ." [1]

وليس المسلمون وحدهم هم الذين يقولون بوقوع التحريف في كتب أهل الكتاب عامة ، وكتب النصارى خاصة ، بل ان المسيحيين أنفسهم شهدوا على ذلك . ومنهم من هداه الله للاسلام ، ومنهم من بقي على مسيحيته رغم اعترافه بالتحريف في كتبهم .

يقول هورن :

" الحالات التي وصلت الينا في بادئ زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء غير معينة ، لا توصلنا الى أمر معين . والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها . وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم .

وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر ، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة ." [2]

وهذا عالم مسيحي آخر [3] يذكر أن :

اختلاف العبارات في العهد العتيق والجديد ، تصل الى ثلاثين ألفا . [4]

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندى : ج١ ص٥٠٧ .

(٢) تفسير هورن / الباب الثانى / القسم الثانى / المجلد الرابع . نقلا عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص١٣٤/١٣٥ .

(٣) هو باركر

(٤) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ ص٤٣ .

ويؤكد "أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات ، أو أربع مرات ، بل أزيد من هذا ، تبديلا لأن مضامينها أيضا بدلت ."[1]

وآخر[2] يصيح في القرن الرابع : بأن "العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسب الى الحواريين ، ورفقاء الحواريين ، ليعتبره الناس . وآذى المريدين لعيسى ايذاء بليغا ؛ بأن ألف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات ."[3] بل لم يكن بدعا ـ كما يقول الأستاذ الطهطاوي ـ التغيير والتبديل في كلام الله سبحانه وتعالى في ذلك الوقت ؛ لأن اليهود كانوا يعملون ذلك أيضا . فقد نقل ( هنري واسكات ) في المجلد الأول من تفسيره قول ( اكستاين ) : ( من علماء المسيحيين المشهورين في القرن الرابع الميلادي. )

"ان اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في زمان الأكابر* الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده ، الى زمن موسى ـ عليه السلام ـ ، وفعلوا هذا الأمر ؛ لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ؛ ولعناد الدين المسيحي ، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون : ان اليهود حرفوا التوراة في سنة ( ١٣٠ ميلادية ) ."[4]

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٧٠
وكذلك جـ١ ص١٣٣ وكذلك جـ١ ص٤٣٥ .

(٢) هو ( فاستس) من أعظم علماء فرقة ( ماني كيز ) في القرن الرابع الميلادي .

(٣) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندي : اظهار الحق جـ١ ص٧٠ وكذلك جـ١ ص١٣٣ .

(٤) المرجع السابق جـ١ ص٧١ .

* يقصد أنهم حرفوا تاريخ القدماء .

وهذا أيضا اعتراف آخر ، من أحد كبار المؤرخين المسيحيين ، وهو ول ديورانت الذى يعترف صراحة بالتحريف فى كتبهم ، وخصوصا العهد الجديد ، لاسيما الأناجيل . فيقول :

" وترجع أقدم النسخ التى لدينا من الأناجيل الأربعة ، الى القرن الثالث . أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى ( ٦٠ ، ١٢٠ م ) ، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، ولعلها تعرضت أيضا لتحريف مقصود ." (١)

" وملاك القول : ان ثمة تناقضا كثيرا ، بين بعض الأناجيل والبعض الآخر ، وان فيها نقطا تاريخية مشكوكا فى صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة ، والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، وكثيراً من الحوادث التى يبدو أنها وضعت عن قصد لاثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة فى العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخى لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة ، أو طقس من طقوسها .

لقد كان المبشرون بالانجيل يرون - كما يرى شيشرون وسالست وتاستس - أن التاريخ وسيلة لنشر المبادئ الخلقية السامية ." (٢)

ويقول المسيو ( ايتين دينيه )* فى كتابه أشعة خاصة بنور الاسلام مانصه :

---

(١) أنظر : قصة الحضارة المجلد الثالث جـ٣ رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص٢٠٧ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الثالث جـ٣ رقم ١١ ترجمة محمد بدران ص٢١٠ .

* ايتين دينيه : رسام فرنسى ، أعلن اسلامه ، واتخذ اسم ناصر الدين ( ١٩٢٧ م ) برع فى التصوير ، وله لوحات معروفة .
ألف بالفرنسية كتاب ( محمد ) بالاشتراك مع سليمان الجزائرى ، وحلاّه برسوم من ريشته .
له بالفرنسية : ( حياة العرب ) و ( حياة الصحراء ) و ( أشعة خاصة بنور الاسلام ) =

"أما أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى الانجيل الى عيسى -عليه السلام- بلغته ولغة قومه ، فالذى لا شكّ فيه أن هذا الانجيل قد ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر . أو أنه أبيد . ولهذا قد جعلوا ( تأليفات ) أربعاً مشكوكاً فى صحتها ، وفى نسبتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية ، وهى لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى -عليه السلام- الأصلية ، التى هى لغة سامية ؛ لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة وقرآن العرب **." (١)

ثم يتساءل مستنكرا فى نفس الكتاب ويقول :

" . . . لماذا أغفل رجال الأناجيل ثلاثين عاماً من حياة المسيح ، دون أن يذكروا لنا فيها شيئا ، إلاّ ما اختص بالسنين الثلاث الأخيرة ؟ !

. . . . واذا أخذنا بما قيل : من أن اثنين من الرسل الأربعة قد ذكروا أشياء عن عهد الطفولة الأولى للمسيح ، فإن هذا الحذف من السنين بعد ذلك

---

= ترجمت الى العربية .
توفى سنة ( ١٩٢٩م ) . أنظر : الموسوعة العربية الميسرة : باشراف محمد شفيق غربال ص٨٤٠ .

** هكذا جاء كلام ( ايتين دينيه ) . وقد أخطأه التوفيق فى هذه العبارة ، فلا مجال لمقارنة القرآن بالتوراة والانجيل الحاليين فى صدور هذه الكتب الثلاثة عن الله ، ثم إن كلامه يعني : ضعف صلة هذه الكتب بالله ، وان تفاوتت النسبة بينها ، فكانت كتب النصارى أضعف فى ذلك من التوراة والقرآن ، وهذا خطأ . فإن صلة القرآن بالله وثيقة لا ضعف فيها بحال من الأحوال ، اذ هو كلامه سبحانه وتعالى .

(١) ص٤١/٤٢ نقلاً من الدكتور : رؤوف شلبى : أضواء على المسيحية ص٥٣ .

(٢) أشعة خاصة بنور الاسلام ص٤٤-٤٨ نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبى : أضواء على المسيحية ص٥٣ .

يدعو الى فداحة الأمر ؛ لأنه يترك المجال فسيحا لجميع أنواع التأويلات والشبهات ، التي قد يكون أقلها خطرا مايقال : من أن المسيح طوال سني حياته الناضجة لم يكن شيئا مذكورا ، وأن تصرفاته لم تكن تدل على حياة خارقة للعادة مما قد تنسب الى ( ابن ) الله .....

وأمر آخر فات رجال الأناجيل : ذلك أنه مع عظيم خطر هذه الثلمة في سني حياة المسيح ، فإن الأناجيل لم ينلها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء ؛ ذلك لأن واضعيها - وهم قليلو الخبرة بعلم النفس - لم يدركوا أن مايصح ذكره على لسان نبي لا يصح أن يقال على لسان ابن الله ، وإلا كان الأمر غريباً ، شاذاً ، نابياً . على أن هذا هو ماقد حصل .... "[1]

وبعض علماء المسيحية يرون أن أناجيلهم ما هي إلا كتب أدبية أكثر منها دينية .

يقول ول ديورانت في ذلك :

" تفيض الآداب المسيحية في القرن الثاني بالأناجيل ، والرسائل والرؤى ، والأعمال . "[2]

لكننا مع ذلك نرى أنها ليست أدبية بالمعنى الصحيح ، بل هي أدب مفكك ، تنقصه الاستمرارية ، وتتضح فيه التناقضات . وفي ذلك يقول الدكتور موريس بوكاي :

" ... اللمحة العامة التي أعطيناها عن الأناجيل ، والتي استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص ، تقود الى اكتساب مفهوم أدب مفكك تفتقر خطته

---

(١) أشعة خاصة بنور الاسلام ص٤٤-٤٨ نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبي : أضواء على المسيحية ص٥٣ .

(٢) قصة الحضارة ( قيصر والمسيح ) الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص٣١٤ ترجمة محمد بدران .

الى الاستمرار ، وتبدو تناقضاته غير قابلة للحل ." [1]

فهذه الأناجيل بشهادة المسيحيين أنفسهم ليست كتبا مقدسة - كما يدّعون - ، وإنما هي كتب أدبية ، بلغ أدبها من الركاكة والتفكك مبلغا كبيرا .

يقول شارل جني بيير :-

" وتصفح الأناجيل وحده ، يكفي لاقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا الى ( تركيبات ) واضحة التعارض ، لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يتحتم معه القول : بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخا ثابتا ، يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه ، وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه ." [2]

وفي استدلالنا بأدلة المسيحيين أنفسهم على وقوع التحريف في كتبهم التي يزعمون أنها مقدسة - في ذلك ما يغنينا عن الاستمرار أكثر من ذلك في الاستشهاد بأقوالهم على التحريف في كتبهم .

. . . . . . . وبعد هذا الذى قدمناه من شهادات علماء الأديان من المسلمين ، وكذلك شهادات المسيحيين أنفسهم ، يمكننا القطع : بأنه من الخطأ الكبير أن نعتبر أسفار الكتاب المقدس الموجودة حاليا كتبا سماوية بالمعنى الصحيح ، فليست الا من وضع كاتبيها ، ولم يحفظوا فيها من الكتب السماوية الحقيقة الا النادر

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٩٣ .

(٢) المسيحية : نشأتها وتطورها ص١٠ .

القليل - كما شاء الله - اذا قيس الى ما أثبتوه فيها من تحريفات وتناقضات ومبتدعات. فاتهام ابن تيمية لهذه الكتب بالتحريف، اتهام حقيقي يؤيده فيه أتباع هذه الكتب أنفسهم.

وسوف تتضح هذه الحقيقة بدرجة أكبر، بعد أن نسوق الأمثلة من الأناجيل أنفسها على ما وقع فيها من تحريفات، وما كان بينها من تناقضات - كما سيأتي - .

٥٥٥

٢ - تأكيد العلماء لأنواع التحريف في نظر ابن تيمية :-

أما فيما يتعلق بطبيعة التحريف ، فإن ابن تيمية - كما نقلنا عنه - يرى أن التحريف لم يتناول جميع ألفاظ كتب أهل الكتاب ومعانيها ، ولم يقع في جميع نسخ هذه الكتب[1] ، وانما تناول بعض الألفاظ ، وبعض المعاني عن طريق تأويل النصوص بمعان باطلة لا تدل عليها ، وفي نفس الوقت فقد وقع التحريف في بعض نسخ هذه الكتب منذ أن كانت قليلة لم تنتشر بعد .

اذن فالتحريف الذي يثبته ابن تيمية - كما ذكرنا من قبل - نوعان : لفظي ، ومعنوي . أما اللفظي : فقد رأى بعض نماذجه بنفسه ، حيث رأى التصريح بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم واسمه في بعض نسخ الزبور ، بينما رأى النسخ الأخرى تخلو من ذلك .

ورأى كذلك اختلاف توراة السامرة عن توراة اليهود والنصارى .

وأما المعنوي : فيعني به - كما قلنا - تأويل النصوص بما لا تحتمله ألفاظها . وهذا النوع من التحريف - كما يقول ابن تيمية - متفق على وقوعه بين الجميع ، حيث تتهم الفرق الكتابية بعضها بعضا بالوقوع فيه عن طريق تأويل كل منها للنصوص الدينية بمعان لا يقرها عليه غيرها من الفرق .

والواقع أننا نجد المفسرين وعلماء مقارنة الأديان قد وافقوا ابن تيمية في اثبات هذين النوعين من التحريف .

يقول ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى ( يحرفون الكلم عن مواضعه )[2] - تفسيراً للتحريف بالتغيير اللفظي - يقول :

---

(١) أنظر ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى / الرسالة الأولى ( الفرقان بين الحق والباطل ) جـ١ ص٧٨ ، ٧٩ . وانظر ص ٦١ / ٦٢ من هذه الرسالة .

(٢) سورة المائدة آية ١٣ .

"أى يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته " [(١)]

ويقول أيضا :-

" ثم يحرفونه" [(٢)] : "أى يغيرونه " . [(٣)]

وجاء أيضا فى تفسيره لقوله تعالى : ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون . ) [(٤)]

يقول : " شدة العذاب للذين يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى الكتاب ، ويغيرونه بأيديهم ، ثم يقولون : هذا هو الكتاب الذى جاء من عند الله، ليشتروا بتغييره وكتابته عرضاً يسيراً من المأكل والفضول ، فشدة العذاب لهم ، مما غيرت أيديهم وويل لهم مما يصيبون من الحرام والرشوة . " [(٥)]

ويقول الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) - مبينا لوقوع التحريف اللفظى منهم - :

" أى يميلونه عنها ، ويزيلونه ؛ لأنهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص١٧ صححه وحققه محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الحفيظ محمد عيسى .

(٢) سورة البقرة آية ٧٥ .

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص١٢ صححه وحققه محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الحفيظ محمد عيسى .

(٤) سورة البقرة آية ٧٩ .

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص١٢ بتصرف . صححه وحققه : محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الحفيظ محمد عيسى .

أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها ، وأزالوه عنها ، وذلك نحو: تحريفهم ( أسمر ربعه )[1] عن موضعه في التوراة ،بوضعهم ( آدم طوال )[2] مكانه ، ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحدّ بدله ."[3]

ويقول القرطبي ـ بيانا للتحريف بنوعيه ـ : اللفظي والمعنوي ـ عند تفسيره لقوله تعالى : ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) يقول :-

" انما يحرفون كلم النبي صلى الله عليه وسلم أو ماعندهم في التوراة ، وليس يحرفون جميع الكلام . ومعنى يحرفون : يتأولونه على غير تأويله ."[4]

" وقيل : معناه : يبدلون حروفه "[5]

وقال في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : ( ثم يحرفونه ) قال :

" قال مجاهد والسدي : هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة ، فيجعلون الحرام حلالا ، والحلال حراما اتباعا لأهوائهم ."[6]

---

(١) الربْع والربَع : الرجل بين الطويل والقصير . أنظر المنجد في اللغة والأعلام ص٦ ٢٤ ط٢٦ .

(٢) آدِم : مفرد أُدْماء . جمع أُدْم : الأسمر . والأُدْمَة : السُّمْرة .
أنظر : المنجد في اللغة والاعلام ص٦ ط٢٦ .

(٣) الزمخشري : الكشاف جـ١ ص٥٣٠ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ٥ ص٢٤٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه جـ٦ ص١١٥ .

(٦) المرجع السابق نفسه جـ٢ ص١-٢ .
وانظر كذلك تفسير الخازن جـ١ ص٦١ .

ويقول ابن القيم مبرهنا على وقوع التحريف اللفظي في الأناجيل :

" لو قُدّر أنه لا ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك ألاّ يكون مذكورا في الكتب التي كانت بأيدي أسلافهم وقت مبعثه ، ولا تكون اتصلت على وجهها ( الصحيح ) الى هؤلاء ، بل حرّفها أولئك وبدلوا وكتموا ، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا ، وقالوا : هذا من عند الله ، ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم ، فصارت المُغيّرة المبدلة هي المشهورة ، والصحيحة بينهم خفية جدا ، ولا سبيل الى العلم باستحالة ذلك ، بل هو في غاية الامكان ، فهؤلاء السامرة غيّروا مواضع من التوراة ، ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم ، فلا يعرفون سواها ، وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية ، وكذلك التوراة التي بأيدي النصارى .

وهكذا تُبدّل الأديان والكتب ، ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه ، وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله ." (١)

ويضرب لنا ابن القيم مثالا للتحريف المعنوي الواقع في تفسير بعض ألفاظ الأناجيل كما حدث في تأويلهم لكلمة ( الفارقليط ) التي جاءت في بشارة المسيح لأصحابه قائلا لهم :

" الفارقليط لا يجيئكم مالم أذهب ، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ، ولكنه مما يسمع به ." (٢)

" وقد ذكر النصارى في الفارقليط أقوالا ثلاثة :

١ - ان الفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد ، إما أحمد أو محمود أو محمد ،

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٥٠ / ٥١ .

(٢) انجيل يوحنا ١٦ : ٧ ، ٨ .

أو نحو ذلك ورجحت طائفة هذا القول .

٢ - انه هو المخلّص ، والمسيح نفسه يسمونه المخلص . وهذا القول عليه أكثر النصارى .

٣ - ولما لم يمكن النصارى إنكار هذه النصوص حرفوها أنواعا من التحريف .
فمنهم من يقول : هو روح نزلت على الحواريين . ومنهم من قال : ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ، ففعلوا بها الآيات والعجائب .
ومنهم من قال : انه المسيح نفسه .
ومنهم من قال : لا نعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه ."(١)

وابن القيم أبطل كل هذه التأويلات لكلمة الفارقليط ، وبيّن أن تفسير ( الفارقليط ) بالروح باطل . وأبطلُ منه تفسيره بالألسن النارية ، وأبطلُ منهما تفسيره بالمسيح . وكل هذا تحريف لمعنى الكلمة .
فان روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وليست موصوفة بهذه الصفات . وإذا كان الأمر كذلك ، ولم يسم أحد هذه الروح فارقليطا، علم أن الفارقليط أمر غير هذا .
وقد وصف المسيح الفارقليط بصفات لا تناسب هذه الروح ، وانما تناسب رجلا يأتي بعده ، نظيرا له ، حيث قال :
"ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر ، يثبت معكم الى الأبد ."(٢) فذكره على أنه فارقليط آخر ، فدل على أنه

---

(١) أنظر : ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٥٦/٥٧ .

(٢) انجيل يوحنا ١٤ : ١٥-١٧ .

ثانٍ لأول كان قبله .

وقال : " يثبت معكم الى الأبد " ، وهذا انما يكون لما يدوم ، ويبقى معهم الى آخر الدهر.

ومعلوم : أنه لم يرد بقاء ذاته ، وانما أراد بقاء شرعه وأمره . والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد .

وهذه الصفات والنعوت انما تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم . وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة الحمد .

وبهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله تعالى :

( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد )[1].

فان هذا هو معنى الفارقليط - كما تقدم -.[2]

ويقول صاحب مقامع الصلبان* - مثبتا لاعتراف اليهود[3] بتحريف كتبهم واتهام كل

---

(١) سورة الصف آية ٦ .

(٢) أنظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٥٧ ، ٦١ بتصرف قليل .

* هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عُبيد ، الخزرجي ، ولد بقرطبة سنة ٥١٩هـ ، من أسرة عريقة ، وكان في شبيبته معروفا بالذكاء ، والنبل مشهورا بحفظ الحديث ، أُسر سنة ٥٤٠هـ ، وبقي أسيرا في طليطلة الى سنة ٥٤٢هـ ، وألف كتابه ( مقامع الصلبان ) أثناء ذلك ، ردا على الرسالة التي بعث بها اليه قس مسيحي طعن في الاسلام ، وطلب منه الدخول في المسيحية ، وكان عمره اذ ذاك ( ٢٢ ) سنة . توفي بفاس بعد أن كُفّ بصره. أنظر مقدمة مقامع الصلبان تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي ص ١٤٧ ، ١٤٨ باختصار.

(٣) احتجاجنا على النصارى بما في كتب اليهود انما لأنهم ( أي النصارى ) يعتبرون الايمان بكتب اليهود جزءا من الايمان بالنصرانية . وسندهم في ذلك : ما نسب للمسيح من قوله : " ما جئت لأنقض الناموس ، ولكن جئت لأكمل" . (متّى ٥-١٧ ) .

من اليهود والنصارى والسامرة بعضهم لبعض بالتحريف فى كتبهم ، بل وذاكروا لأشنع أنواع التحريف المتصلة بصفات الله التى وقع فيها أهل الكتابين منحرفين فى ذلك عن المسار الصحيح للعقيدة الصحيحة .

يقول بيانا لذلك

" واليهود تقرّ أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم فى تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة ، وذلك بعد المسيح ، فى زمان القياصرة ، ومن رضى تحريف موضع واحد من كتاب الله فلايؤمن منه تحريف كثير .

وكذلك يقرّون أن السامرة حرّفوا التوراة تحريفا باقيا ، والسامرة يدّعون عليهم مثل ذلك من التحريف . وأنتم أيضا ( والخطاب هنا للنصارى ) تدّعون عليهم أنهم حرفوا فى التوراة التاريخ ، فتزعمون أنهم نقصوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ونحو المائتين من السنين . وكذلك الانجيل الذى بأيديكم إنما هو كُتُبٌ أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال وهم :

يوحنا بن زبدى ، ومتاوش ، وماركس تلميذ بيطره ، ولوقا . فأمكن فى كل ذلك التبديل ." [1]

" وفى التوراة من الخرافات والأكاذيب والتحريف الشنيع مايقف الانسان مشدوها أمامه مذهولا من جرأتهم على الله وعلى نبيه . وقال اليهود فى التوراة عن الله عزوجل إنه " كالانسان شخص وجوارح كشخصه وجوارحه" [2] وقد وصف الله نفسه فى كتابه العزيز فقال تعالى : ( ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ) . [3]

---

(١) أحمد بن عبد الصمد الخزرجى المعروف بأبي عبيده الخزرجى . حققه وقدم له عبد المجيد الشرفى ص١٤٧/١٤٨ .

(٢) أنظر سفر الخروج ٣٣ : ١١ ، ٣٤ : ٦ .

(٣) سورة الشورى آية ١١ .

وقد نمت النصارى هذا القول المكتوب في التوراة ، وزادت فيه كفرا على اليهود، حيث تقرأ في صلواتها من يوحنا الحواري :

" أنه حين عرج به الى السماء ، رأى الله سبحانه ، وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون ، والأسواق بين يديه قائمة ، والنداء على القمح والشعير والزيت والخبز كذا وكذا قفيزا بدينار ، كذا وكذا قسطا بدينار." (١) (٢)

ولا يقتصر الأمر في بيان طبيعة التحريف في كتب اليهود والنصارى - على نحو ما قدمنا - على المسلمين فقط ، بل ان من علماء بني اسرائيل المتعصبين من قال ذلك أيضا :

فهذا (سبينوزا) اليهودى المتعصب ، يعترف بوجود التحريف اللفظي في العهدين بل ويؤكد أن التغيير اللفظي في العهدين قد حدث مرات كثيرة ، وتغيرت على أساسه كلمات كثيرة ، دون أن يفقد ذلك للكتاب قدسيته - كما يزعم - ويغير معناه .

يقول :

" وأود أن ألفت النظر هنا الى أني أسمي النص مختلقا ومحرفا ومنقوصا عندما يكون قد ساء التأليف والكتابة ، الى حد لا يمكن معه التعرف على معناه ، سواء بالرجوع الى الاستعمال اللغوى ، أو باستخلاصه من الكتاب وحده ، ولست أعني بذلك أن الكتاب بقدر ما يحتوى على الشريعة الالهية كان له دائما نفس النقط ، ونفس الحروف ، ونفس الكلمات . . . . بل أعني فقط أن المعنى الذى من أجله وحده يسمى النص الهيا وصل الينا دون تشويه ، وان كانت الكلمات التى استخدمت أولا

---

(١) رؤيا يوحنا ١ : ١٢-١٨ ، ٣ : ١٧-١٨ .

(٢) أبو عبيدة الخزرجي : مقامع الصلبان تحقيق وتقديم عبد المجيد الشرفي ص ١٥٦/١٥٧ بتصرف قليل .

للتعبير عنه قد تغيرت مرات كثيرة ."[1]

ونرى عدم صحة ماينتهي اليه سبنوزا من أن التحريف اللفظي الذى يثبته في الكتب المقدسة يمكن أن تبقى معه الشريعة صحيحة كما يدعى .

ولهذا فإن أمثال هذه الكتب تفقد قدسيتها ، ولا تبقى لها صحة النسبة الى الله عز وجل فى وضعها الذى آلت اليه .

ومهما يكن من كلام سبينوزا فاننا نضيف الى شهادته بوقوع التحريف اللفظي شهادة الكاتب المسيحى المتعصب لمسيحيته ( حبيب سعيد ) الذى يقر بوجود التحريف اللفظي ، وينفي العصمة لكتّاب الأناجيل . حيث يقول :

" لم يدّعِ أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الانجيل ، فلقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التى يخضع لها الكتاب عادة فى كل جيل ."[2]

وفيما يتعلق بالتحريف المعنوى ، فقد سبق أن ذكرنا أنه موضع اتفاق بين الجميع، اذ تتهم كل فرقة غيرها من الفرق بالوقوع فيه ، فى تفسيرها للنصوص على نحو ما أسلفنا من قبل .

لكن الامام الرازى يتعرض لموضوع التحريف ، لا سيما فى التوراة ويستبعد فيهما وقوع التحريف اللفظي الذى أقر به اليهود والنصارى ـ كما سبق ـ لأنها ـ كما يقول ـ متواترة ، ويقر بالتحريف المعنوى فيها ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه)[3] . حيث يقول :

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة . ترجمة وتقديم الدكتور حسن حنفى . مراجعة الدكتور فؤاد زكريا ص٣٤٤/٣٤٥ .

(٢) أنظر أديان العالم ص٢٧٧ .

(٣) سورة المائدة آية ١٣ .

"ان هذا التحريف يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، والأول أولى ؛ لأن الكتاب المنقول بالتواتر لا يأتي فيه تغيير اللفظ" [١]

ونأخذ على كلام الرازى المآخذ التالية :

١ - ان دعوى التواتر عنده لا دليل عليها ، فهو لم يقدم لنا دليلا على أن التوراة منقولة بالتواتر، حتى يصح مايقوله من استحالة وقوع التحريف فيها .

٢ - أهمل الرازى ماورد فى الحديث الصحيح ، أنهم أخفوا فى التوراة آية الرجم ، واستبدلوه بالحد ، كما استبدلوا كلمة ( أسمر ربعة ) بـ ( آدم طوال ) . وهى كلمات غيّرها اليهود بالفعل فى التوراة .

٣ - ماقاله الرازى من تواتر التوراة منقوض بما هو معروف من تاريخ اليهود ، من أن التوراة الحالية انما كتبت بعد خراب أورشليم ، وبعد عدة قرون من موت موسى - عليه السلام - ، وقد كتبها شخص اختلفوا حول شخصيته ، فمنهم من يزعم أنه نبي ، ومنهم من يقول انه غير نبي .

وأما الأناجيل ففيما سبق بيانه من اختلاف فى زمن كتابتها ، وحول شخصية كاتبيها ، واقرارها بعد رفع المسيح بـ ( ٣٢٥ ) سنة فى ذلك مايكفي فى الدلالة على امكان التبديل والتغيير فيها .

٤ - اننا نجد الرازى نفسه بعد ذلك ، وفى مكان آخر من تفسيره ، يناقض نفسه بنفسه ، فبينما يقول هنا : ان التوراة متواترة ، ويستحيل

---

(١) الفخر الرازى ( التفسير الكبير ) المجلد السادس جـ ١١ ص ١٩١ .

تحريفها ، نجده يعود فيقول عند تفسيره لقوله تعالى :

( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . . )[1] الآية :

لا مانع من أن يكون اليهود قد تواطؤا ، ونشروا التحريف بين العوام ، وعلى هذا فالتحريف ممكن . ونحن نعلم أن الشيء المستحيل لا يكون ممكنا اطلاقا .

يقول الرازى :

" كيف يمكن ادخال التحريف في كتاب بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب ؟

نقول في الجواب :

لعل ان هذا العمل صدر عن نفر قليل ، يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ، فقدروا عليه . ومن ثم عرضوا ذلك المحرف على العوام . وعلى هذا التقدير يكون التحريف ممكنا . "[2]

فالرازى هنا يقرر امكان التحريف ، وهو بذلك يناقض نفسه ، عندما أقر بتواتر التوراة ، واستحالة تحريفها لذلك كما ذكرنا آنفا

والواقع أن الذى ينكر التحريف اللفظى ادعاء للتواتر في الكتاب المقدس ، ويقتصر على التحريف المعنوي من العلماء المسلمين ، انما هو غافل عن تاريخ بني اسرائيل ، وما تعرضوا له من نكبات كبيرة ، وما حصل لهم من اضطهادات

---

(١) سورة النساء آية ٤٦ .

(٢) أنظر التفسير الكبير ، المجلد الرابع جـ٨ ص١١٨ ( بتصرف قليل ) عند تفسيره آية ( ٧٨ ) من سورة آل عمران : ( وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون : هو من عند الله ، وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ) .

كانت سببا فى ضياع كتبهم ، وانقطاع تواترها ، ووقوع التحريف فيها لذلك ، عندما أرادوا كتابتها من جديد .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا :

" . . . . وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ ، بالتقديم والتأخير، والحذف ، والزيادة ، والنقصان ، وبتحريف المعانى بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له .

وقد اختار كثير من علمائنا الأعلام هذا المعنى ( المعنوى ) فى تفسير الآية وعللوه بأن التصرف فى ألفاظ كتاب متواتر متعسر أو متعذر .

وسبب هذا الاختيار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب، ( وما حصل لهم من اضطهادات ) ، وعدم اطلاعهم على كتبهم ، وقياس تواترها على تواتر القرآن .

والتحقيق الذى عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم، واطلعوا على كتبهم التى يسمونها التوراة ، وغيرها ( وكذا كتب النصارى ) هو أن التحريف اللفظى والمعنوى كلاهما واقع فى تلك الكتب ، وأنها كتب غير متواترة .

فالتوراة التى كتبها موسى ـ عليه السلام ـ ، وأخذ العهد والميثاق على بنى اسرائيل بحفظها[1] وفيها خبر موته ، وكونه لم يقم بعده أحد مثله الى ذلك الوقت ـ أى الذى كتب فيه ما ذكر من سفر التثنية ـ وهذا نص قاطع فى كون الكاتب كان بعد موسى بزمن يظهر أنه طويل ، وكون ما ذكر ليس من التوراة فى شئ . ومن المشهور عندهم : أنها فُقدت عند سبى البابليين لهم .

---

(١) أنظر سفر التثنية الاصحاح ( ٣١ ) / الفقرات من ٢٤-٢٧ :

" فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها ، أمر موسى اللاويين ، حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه =

وفى هذه الأسفار مالا يحصى من الكلم البابلى الدال على أنها كتبت بعد السبى ، فأين التواتر الذى يشترط فيه نقل الجم الغفير الذين يؤمَن تواطؤهم على التبديل والتغيير فى كل طبقة من الطبقات ، بحيث لا ينقطع الاسناد فى طبقة ما ؟ !

والمرجح عند محققي المؤرخين من الأفرنج : أن هذه التوراة الموجودة كتبت بعد موسى ببضعة قرون والمشهور أن أول من كتب الأسفار المقدسة بعد السبى عزرا (1) الكاهن فى زمن الملك ارتحشستا الذى أذن له بذلك إذ أذن لبنى اسرائيل بالعودة الى بلادهم ." (2)

وبعد .... فاننا نخرج من خلال ما قدمناه من أقوال المفسرين ، وعلماء الأديان مسلمين ومسيحيين ، وغيرهم ، وشهادات المسيحيين أنفسهم على وقوع التحريف فى الكتاب المقدس بعهديه ( القديم والجديد ) ، وما أثبته الواقع من تحريف وتبديل فيها خلال سني تدوينها .

- نخرج بعد ذلك بأن ما أثبته ابن تيمية من وقوع التحريف بنوعيه فى كتبهم هو اتهام فى محله ، ولم يسقه ارتجالا ، وانما أقام الأدلة الواقعية والتاريخية

---

= بجانب تابوت عهد الرب الهكم ؛ ليكون هناك شاهدا عليكم ؛ لأنى عارف تمردكم ، ورقابكم الصلبة ...." .
وانظر كذلك نفس السفر ونفس الاصحاح الفقرات من ٩-١٣ .

(1) عزرا هو كاهن وكاتب يهودى ، عمل على استقرار شعبه فى أورشليم بعد الجلاء . له الفضل الأكبر فى اثبات نص الشريعة الموسوية .
أنظر منجد الأعلام ص٤٦١ ط٢٦ .

(2) أنظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ٦ ص٢٨٢ / ٢٨٣ .

على وقوعه ، وأيدت أقواله بأقوال علمائهم أنفسهم . وحسبنا شهاداتهم على أنفسهم بأن كتبهم تحتوى على تحريفات واضحة وملموسة .

وسوف تكون لنا فى نهاية هذا الباب كلمة أخيرة حول تحريف الأناجيل وأن الواقع فيها ليس مجرد تحريف فقط ، ولكنه تغيير وتبديل فى الانجيل الموحى به من الله .

٥٥٥

٣ - تأكيد العلماء لعوامل التحريف في نظر ابن تيمية :

يؤخذ مما ذكرناه سابقا عن ابن تيمية من عوامل التحريف ، ومن أجوبته التي قدمناها عن دفاع النصارى عن كتبهم ضد ما تتهم به من التحريف - يؤخذ من ذلك العوامل التي اعتبرها أساسا لما وقع في كتب النصارى من التحريف. فليست هذه الكتب هي نفس الانجيل الذى نزل على عيسى ، وانما كتبها أصحابها فيما بعد ، وقد كتبوها بعد عشرات السنين من رفع المسيح ، ولم يكونوا جميعا من الحواريين . فالسند منقطع بينهم وبين عيسى ، ولم يكونوا - كما قيل - رسل الله، بل بعضهم فقط كانوا رسل المسيح لا رسل الله ، أما دعوى الالهام والعصمة فلا دليل عليها .

وقد ترجمت هذه الكتب فيما بعد ، ومع الترجمة يقع التحريف والتغيير. وهذه المبررات نفسها تشرح لنا تفرقة ابن تيمية بين هذه الكتب ، وبين القرآن المعصوم من التحريف نظراً لعصمة قائله ، وصحة سنده ، وتواتره الى يومنا هذا، وسهولة حفظه في الصدور ، فضلا عن التعهد الالهي بحفظه ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (1)

ومن ثم لا يرى ابن تيمية وجها لمقارنة أهل الكتاب لكتبهم بالقرآن في هذا الصدد . واذا كان القرآن قد أثنى على كتبهم هذه - كما يزعمون - فإنما أثنى عليها قبل وقوع التحريف فيها . أما بعد ذلك فقد نص القرآن على تحريفها ، وأعلن كفر أصحابها وبطلان عقائدهم .

---

(1) سورة الحجر / آية ٩ .

والواقع أن العوامل التي اعتبرها ابن تيمية سببا في وقوع التحريف في الأناجيل عوامل صحيحة ، وقد أيده فيها بعض المفكرين المسيحيين ، ويتبين لنا ذلك فيما يأتي :-

أولا : مايذهب اليه ابن تيمية من ضياع انجيل عيسى الحقيقي ، وعدم صحة تمثيل الأناجيل الحالية له ، يردده المستشرق الفرنسي "ايتين دينيه" حيث يقول :

" ان نصوص الأناجيل تبعث في النفس الشك في صحة تلك الأناجيل التي بين أيدينا ؛ لأن الانجيل الموحى من الله تعالى الى عيسى -عليه السلام- بلغته ولغة قومه ضاع واندثر ، ولم يبق له أثر ." (1)

ثانيا : وقد اعتبر ابن تيمية من أسباب التحريف بُعد الزمن بين كتابة الأناجيل الحالية وعهد المسيح ، وكون أكثر كاتبيها لم يكونوا من تلاميذ المسيح ، الأمر الذي يتيح فرصة للتحريف فيما يذكرونه من أقوال المسيح وأحواله .

وقد تصدى للاجابة عن مثل هذه الشكوك التي تحيط بالأناجيل من جانب فقدانها للوثاقة التاريخية - تصدى للاجابة عن ذلك المفكر المسيحي ( حبيب سعيد ) ، ولكنه قبل ان يجيب عن هذه الشكوك أوردها في صورة تساؤل قائلا :

" وهنا تتصدى لنا مشكلة : ان كانت أولى الوثائق المسيحية كتبت بعد حياة يسوع ، فكيف نستوثق بأنها مدونات تاريخية صحيحة ، ثم

---

(1) أشعة خاصة بنور الاسلام ص٤١ نقلاً من الدكتور رؤف شلبي : أضواء على المسيحية ص٥٢ .

ان أكثر هذه الوثائق كتبها أشخاص غير التلاميذ الأصليين الذين عاشوا مع المسيح ، فبولس لم ير يسوع بالجسد ، وان كان قد رآه في رؤيا باهرة في طريق دمشق ، وقد يكون مرقس رأى يسوع ولكن في فترات متقطعة . . .

فكيف اذن نضع ثقتنا في وثائق العهد الجديد ؟ !

وكيف نركن الى مجرد ذكريات اختزنها الصحابة الأولون في عقولهم ؟ !

اننا اليوم ندون تقاريرنا ، ومذكراتنا . بطرق شتى ، ولكن في القرن الأول لم يكن لدى العالم غير الأصوات البشرية ، والذاكرات البشرية ، لتدوين الوقائع التاريخية فكيف قام الأولون بتدوين هذه الوقائع "؟ ![1]

وقد أجاب ( حبيب سعيد ) عن هذه الشكوك التي أوردها في كلامه ، بأن الأناجيل لم تكتب من فراغ ، ولم يكتبها أصحابها بطريقة فنية في أبراج عاجية ، والا لما كان لها من قيمة ، بل كانت مجرد مصنفات أدبية ، ذلك أن السنوات التي تلت رفع المسيح ، ظلت عامرة بالرسل والدعاة ، الذين جابوا أصقاع الأرض المعروفة حينذاك ، ينشرون المسيحية وعقائدها التي تناقلوها ، وأقوال المسيح وأعماله التي شهدوها ، ويؤسسون الكنائس في كل مكان ، ويكتبون الرسائل والأسفار .

وعلى أساس هذا كله يرى أن الأناجيل كتبها أصحابها من ذاكرتهم (الواعية) ، ومن واقع ما تناقله الناس وحفظوه من أعمال المسيح وأقواله .[2]

---

(١) أديان العالم ص٢٧٢ / ٢٧٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

والواقع أن هذا لا يضع أساسا صحيحا للوثاقة التاريخية ، التي يجب أن تتوفر لهذه الأناجيل بما فيها من أعمال المسيح وأقواله ، فعبر عشرات السنين المليئة بالاضطهادات المسلطة على المسيحيين لا يمكن أن يكون الجو صالحا للاحتفاظ بأعمال المسيح وأقواله بصورة صحيحة دون تحريف ، حتى يمكن تأديتها الى كُتّاب الأناجيل على نحو سليم .

ثم إنه ليس لدينا السند المتصل بين هؤلاء الكتاب ، وبين المسيح -عليه السلام - حتى يمكن التأكد من ثقة رجال هذا السند وضبطهم ، ودعوى أن الناس كانوا يحفظون أقوال المسيح عن ظهر قلب ، دعوى بلا دليل عليها ، فضلا عن أن هذه الأقوال يصعب حفظها ؛ لأن صياغتها لا تساعد على ذلك كما تساعد صياغة القرآن الكريم على حفظه . فاذا أضفنا الى ذلك ما يمكن أن يشيع في الأوساط الشعبية حول حياة المسيح وأقواله من أساطير تشيع دائما في هذه الأوساط حول عظمائها ، فإننا بذلك كله نتبين حقا كيف أن البُعد الزمني بين المسيح وكتابة الأناجيل ، وأن كتاب الأناجيل لم يكونوا جميعا من الحواريين ، وأنهم ليس لهم فيما نقلوا عن المسيح سند معروف - يتبين لنا أن كل ذلك يؤكد ما قاله ابن تيمية ، وما أقوله ، ويقوله غيرنا ، من أن هذه الأناجيل قد حرف ما نقل فيها من أعمال المسيح وأقواله . فلا يرجع ضعف السند في الأناجيل الى مجرد البعد الزمني ، وأن كتابها لم يكونوا جميعا من الحواريين - لا يرجع ضعف السند الى ذلك فقط ، بل يرجع الى ما أصيب به المسيحيون عبر تاريخهم من اضطهادات أدت الى انقطاع سند هذه الكتب ، وفقدان تواترها ، ووقوع التحريف فيها .

والواقع أن من الشروط التي يجب توفرها في أي كتاب سماوي ، لكي يكون

مقدسا هى :-

أن يثبت أن ذلك الكتاب من الله ، وأنه هو الذى أنزله على رسوله ، وهذا الثبوت لا بد أن يكون بسند متصل فى جميع طبقاته ، متواترا[١] فى عامة مراتبه .[٢]

والاضطهادات التى تعرض لها المسيحيون كانت سببا أساسيا ومباشرا فى التحريف بالأناجيل ، حيث إن الاضطهادات العنيفة والضنية التى تعرض لها المسيحيون على مدى مئات السنين ، والتى ذاقوا فيها الأمرين من ويلات وبطش الأباطرة الرومان ، وما من ذنب جنوا اللهم إلا أنهم آمنوا بالمسيح وصدقوه واتبعوه . كل ذلك ترك بصمات واضحة على كتبهم المقدسة - فى زعمهم - حيث أدى ذلك الى انقطاع سندها ، وفقدان تواترها ، وهو ما يجب أن يكون عليه أى كتاب مقدس .كما ذكرنا .

وقد اعتذر فحول علماء النصارى حين المناظرة مع المسلمين عن الاتيان بالسند المتصل فما قدروا عليه ، وأرجعوا عدم قدرتهم على الاتيان بذلك الى المصائب والفتن التى تعرضوا لها .[٣]

---

(١) التواتر هو رواية جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عادة . أو هو " الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ."
أنظر : الجرجانى : التعريفات ص٧٤ .

(٢) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق ج١ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق ج١ص١٠٢-١٠٣م حيث ذكرنا طرفا من مناظرته مع (فندر) أحد قساوسة النصارى ومعاونة القسيس ( فرنج ) فيما يتعلق بالسند المتصل فى محفل عام سنة ( ١٢٧٠هـ ) وقد اعترف (فندر) أثناء ذلك بوقوع التحريف فى ثمانية مواضع من الانجيل ، وأنها من سهو الكاتب . وكذلك مناظرة ابن حزم لأحد علماء النصارى ، وكل منهما قد أعجز مناظره وأفحمه ، وما قدر هذا المناظر على اتمام المناظرة ، بل انسحب منها . ( فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ) .سورة البقرة آية ٢٥٨ .

يقول صاحب صخرة الحق :-

" وأول الصعاب التي تعترضها ( أى تعترض كتب النصارى ) ، نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند وبالاضطراب ، وعسر التحقيق . وأقدم هذه النصوص وأهمها هي تلك التي احتواها العهد الجديد ." (١)

ثالثا : من أسباب تحريف الأناجيل التي ذكرها ابن تيمية : عدم عصمة كتّابها ، وأنهم ليسوا رسلا ملهمين ، فلا دليل على دعوى الهامهم أو عصمتهم فيما كتبوا ، ومن ثم لا يتطرق التحريف الى ما كتبوه في تلك الأناجيل .

وفي ذلك يقول (ول ديورانت ) :

" ان محتويات الأناجيل قد نالها التحريف والتبديل ، وذلك لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيف ." (٢)

ومعنى ذلك : أن هذه الذاكرة غير معصومة ، أى لم يكن أصحابها ملهمين .

أما الفيلسوف (تولستوي )* فهو ينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بالهام ،

---

(١) شارل جنيبيير نقلاً عن الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء جـ١ ص١٣٣ ط١ . وقد أهمل ذكر الصفحة التي استقى منها هذا النص .

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ (قيصر والمسيح ) ص٢١٠ ترجمة محمد بدران .

* كاتب قصصي روسي ، حاول اصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبة ، =

ويعلن فى جرأة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل ، فيقول فى صراحة المستمسك بالعروة الوثقى :

" ان المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحي الالهي ، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ، ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه قد أوضح فى قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالاها ، دون زيادة ولا نقص . وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ، ويسير بموجب أحكامه ، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمي المسلمون ديانتهم بالمحمدية ؛ لأن محمدا وضعها . بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تآليف الآباء الذين يدّعون بأن ماكتبوه هو من الروح القدس ، فكان الأحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية . "(1)

وترى دائرة المعارف البريطانية : عدم الهامية الأناجيل فتقول :

" قد وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة هل هو الهامي أم لا ؟ فقال جيروم ، وكرتيس ، وأرازس ، وبركوبيس ، وكثيرون آخرون من العلماء " :

---

= وعدم العنف .

صور العادات الروسية ، وانتقد المساوئ ، أشهر رواياته : "الحرب والسلم ) و ( آناكاينينا ) وقد وصفه الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه ( أوربا والاسلام ) ص١٠٥ بأنه ( من الذين سمت نفوسهم الى درجة لا نكاد نجد لها مثيلا فى التاريخ الا نادرا ، كانت سعادة الانسانية همه الملازم فى كل آونة . . . " أنظر منجد الأعلام ص١٩٦ ط٢٦ .

(1) نقلاً من الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص١٨٧ ط٣ .

انه ليس كل قول منها الهاميا .... وان الذين قالوا : ان كل قول مندرج فيهما الهامي ، لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة ."[1]

ومن العجيب أن يعترف الكاتب والمؤرخ المسيحي (حبيب سعيد) بعدم العصمة اللفظية في روايات الأناجيل ، ووقوع التناقضات والفوارق فيها ، لكنا سنع ذلك نراه يصف هذه التناقضات والفوارق في روايات الأناجيل بأنها تافهة فيقول :

" لم يدعِ أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الانجيل ، فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكتاب عادة في كل جيل ، ولا نجنبي شيئا اذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة ، ويمكن في غير عناء تعليل بعض هذه الفوارق والمتناقضات ."[2]

ومع اعتراف (حبيب سعيد) بوجود التناقضات والاختلافات في روايات الأناجيل ، فانه يقرر بأنه يثق ثقة تامة بها ، وبصدقها ، ومطابقتها للواقع . فيقول :

" وان كنا لا ندعي العصمة اللفظية لكتابنا ، فان من حقنا أن نشيد بصدقه، ووحيه، ومطابقته للواقع تماما ."[3]

لكن اذا أتينا الى الأساس الذي يبني عليه ( حبيب سعيد ) ثقته هذه ، فاننا نجده أساسا مهلهلا ، وضعيفا لا يصمد أمام النقد العلمي النزيه . حيث نجده يستشهد دلالة على قوله بما قاله الأستاذ / عباس محمود العقاد في كتابه ( عبقرية المسيح ) من قوله :

" وليس من الصواب أن يقال : ان الأناجيل جميعا عمدة لا يعول عليها في تاريخ

---

(١) نقلا من الشيخ رحمة الله الهندي / إظهار الحق جـ١ ص ٢٧٨ / ٢٧٩ .
ص١٦٨-١٦٩ ط٢ .

(٢) أديان العالم ص٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص٢٧٨ .

السيد المسيح ؛ لأنها كتبت عن سماع بعيد ، ولم تكتب من سماع قريب فى الزمن والمكان ؛ ولأنها فى أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنساخ ؛ ولأنها روت من أخبار الحوادث مالم يذكره أحد من المؤرخين ، كانشقاق القبور ، وبعث موتاهم ، وطوافهم بين الناس ، وماشابه ذلك من الخوارق والأهوال .

وانما الصواب أنها العمدة الوحيدة فى كتابة ذلك ، اذ هي قد تضمنت أقوالا فى مناسباتها لا يسهل القول باختلافها ، ومواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها ، والمقارنة بينها وبين آثارها ، ورفضها على الجملة أصعب من قبولها عند الرجوع الى أسباب هذا وأسباب ذاك ....

وسواء رجعت هذه الأناجيل الى مصدر واحد ، أو أكثر من مصدر ، فمن الواجب أن يدخل فى الحسبان أنها هى العمدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس الى عصر المسيح ، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي سنة عمدة أحق منها بالاعتماد ."(١)

والواقع أن هذا الأساس مردود ، فالعقاد لم يقل بأن كل مافيها وحي صادق مطابق للواقع كما يدعى حبيب سعيد ، ولكنه اعتمدها كمراجع تاريخية فى معرفة حياة السيد المسيح ؛ لأنها الوثائق الأقرب عهداً التى كتبها أتباعه بعد موته . استمع اليه وهو يقول :

" ونحن قد عولنا على الأناجيل ، ولم نجد بين أيدينا مرجعا أوفى منها لدرس حياة الرسول ، والاحاطة بأطوار الرسالة وملابساتها ."(٢)

---

(١) موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية ( توحيد وأنبياء ) المجلد الأول ص٧٢١ ط١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ص٧٢٢ . ونأخذ على كلام العقاد أن هناك ما هو أوفى من الانجيل وأوثق في دراسة حياة المسيح - عليه السلام - وهو القرآن الكريم .

وشتان بين اعتبارها هكذا ، وبين أن يقال : إنها وحي إلهي ، معصوم عن الخطأ فى نقل أقوال المسيح وأحواله . قد لا نجد أقدم منها فى معرفة هذه الأحوال والأقوال ، لكن قِدَمها لا يعني عصمتها فيما احتوته من تلك الأقوال والأحوال ، للأسباب التى نقلناها عن ابن تيمية ، والتى نقلناها عن بعض علماء النصارى أنفسهم تلك الأسباب التى جعلت الكثيرين يقولون بوقوع التحريفات والأخطاء فى تلك الأناجيل ، وللمقارنات الواقعية بينها ، وهى مقارنات أظهرت ما فيها من تحريفات ، وما بين بعضها والبعض الآخر من اختلافات .

وليس معنى ذلك أنها لا تحوى جانباً من الحقيقة ، ولكن الذى نعنيه أنها لا تحوى كل الحقيقة . وأنها لم تسلم فى الكتابة والنقل والترجمة من عوامل التغيير والتحريف ؛ لأنها لم تكن بأقلام رسل ملهمين معصومين كما يدعون .

ولعل خير ما يعبر عن قيمة هذه الأسفار "التاريخية ) ما نقرأه فى كتاب : ( العقل والايمان أو لماذا نؤمن بعقائدنا المسيحية ) بقلم الأستاذ / نورمن أندرسن قوله :

" مع أن الكثيرين - ومن ضمنهم : مؤلّف هذا الكتاب - يؤمنون كل الايمان بوحي هذه الأسفار ، إلاّ أننا لا نفترض بالضرورة وجود هذا الايمان فى قرائنا الكرام ، بل على عكس ذلك نفترض جدلا بأن نعتبر هذه الأسفار كأنها مخطوطات بشرية ، لها نفس الثقة التى لغيرها من المخطوطات القديمة لا أكثر ولا أقل ، على أنه لمن المستغرب أن قوماً من الذين يدّعون لأنفسهم قوة الادراك ، وفضيلة الانصاف يتوهمون أن الافتراض جدلا بعدم وحي هذه الأسفار يجردها حتما من قيمتها التاريخية كوثائق قديمة ، ويتركها بلا قيمة إلاّ فى دائرة الروح والأخلاق ." (1)

---

(1) ط٢ مترجمة الى العربية ص٢٢ نقلاعن الأستاذ : منصور حسين القاضى : دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ص٣٨٢ .

" ونحن ـ المسلمين ـ نؤمن بأن في خبايا الأناجيل شيئا من أقوال المسيح وتعاليمه ، التي يحتمل أنها وحي من الله ، لكن ذلك لم يثبت لدينا بسند تاريخي موثوق الى المسيح ، وإنما آمنا به ، لأننا لو عرضناه على الوحي الالهي المحفوظ ( القرآن ) والسنة المطهرة ، لوجدنا الصلة بينهما واضحة ." (١)

رابعا : يذهب ابن تيمية ـ كما ذكرنا من قبل ـ الى أن الأناجيل قد ترجمت، ومع الترجمة من لغة الى لغة يقع التحريف . فضلا عما وقع فيها من تحريف لما نقله كتابها من أعمال المسيح وأقواله . ويشهد لذلك جيروم من واقع خبرته العملية في ترجمة العهد الجديد فيقول :

" إني لما أردت ترجمة العهد الجديد ، قابلت نسخه التي كانت عندي فوجدت اختلافا عظيما ." (٢)

ويقول المستر ( كارلائل ) (٣) في بيان أثر الترجمة في تحريف الأناجيل :

" المترجمون الانكليزيون أفسدوا المطلب ، وأخفوا الحق ، وخدعوا الجُهال ، وجعلوا مطلب الانجيل الذى كان مستقيما معوجاً ، وعندهم الظلمة أحب من النور والكذب أحق من الصدق ." (٤)

---

(١) سفر عبد الرحمن بن أحمد / العلمانية ص ٢٢٤، ٢٢ ( رسالة ماجستير ) .
(٢) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ ١ ص ٤٦١ .
(٣) بحثت له عن ترجمة فلم أجد ووجدت في دائرة المعارف البريطانية (اسم توماس كاربيل ) مؤرخ ومؤلف اسكتلندي وأحد الحكماء البارزين في بلاده .
(٤) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ ١ ص ٤٦٣ .

ويقول آدم كلارك - هو أحد مفسرى فرقة البروتستانت - فى تأكيد هذا المعنى فى مقدمة تفسيره من المجلد الأول :

" كانت الترجمات الكثيرة باللسان اللاتينى من المترجمين المختلفين موجودة قبل جيروم ، وكان بعضها محرفا فى غاية درجة التحريف ، وبعض مواضعها مناقضا للمواضع الأخر." (١)

والواقع أن سبينوزا المؤرخ اليهودى يذكر لنا عدة تعليلات لوقوع التحريف فى أسفار العهدين هى فى مجملها لا تخرج عن تعليلات ومبررات ابن تيمية وغيره فيقول :

" ١ - لم تدون أسفار العهدين القديم والجديد بتفويض خاص فى عصر واحد يسري على كل الأزمان ، بل جاء تدوينها مصادفة ، وقصد بها أناس معينون ، ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر ، والتكوين الشخصي لهؤلاء الناس.

٢ - تم اختيار أسفار العهد القديم من بين أسفار كثيرة أخرى ثم جمعها ، وأقرها مجلس الفريسيين ، وكذلك قبلت أسفار العهد الجديد ضمن المجموعة القانونية بقرار بعض المجامع الكنسية التى رفضت فى الوقت نفسه أسفارا أخرى كثيرة بوصفها منعدمة القيمة ، مع أن كثيرا من الناس كانوا يقدسونها . على أن أعضاء هذه المجامع الكنسية ( سواء مجامع الفريسيين أم مجامع المسيحيين ) لم يكونوا أنبياء ، بل كانوا من ذوى الخبرة والفقهاء فحسب .

---

(١) نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٤٦١ .

٣ - لم يكتب الحواريون بوصفهم أنبياء ، بل بوصفهم فقهاء واختاروا أسهل الطرق لتعليم التلاميذ الذين يودون تكوينهم ، وبالتالي فإن رسائلهم تتضمن أشياء كثيرة يمكن الاستغناء عنها دون أن يلحق ذلك أي ضرر بالدين .

٤ - وأخيرا فهناك أربعة أناجيل في العهد الجديد ، ومن منا يستطيع أن يعتقد أن الله أراد أن يقص سيرة المسيح وأن يبلغه للبشر أربع مرات ؟ لا شك أنه توجد في كل انجيل أشياء معينة لا توجد في غيره ، وأن كل انجيل يساعد في فهم الآخر . ومع ذلك لا ينبغي أن نستنتج من ذلك أن من الضروري معرفة كل ما يرويه كتّاب الأناجيل الأربعة ، وأن الله قد اختارهم كتّابا . . . فلقد بشّر كل واحد منهم بانجيله في مكان خاص ، وكتب كل منهم ما بشر به ، لا لشيء إلاّ لكي يروي سيرة المسيح بطريقة أوضح ، لا لكي يشرح الأناجيل الأخرى ، فاذا كانت مقارنة الأناجيل تؤدي أحيانا الى فهم المرء لها على نحو أفضل وأيسر ، فان ذلك يحدث مصادفة . . . " (١)

وهناك أسباب أخر للتحريف ، ذكرها المؤرخون المسيحيون من ذلك :

أولا : مايقوله ( هورن ) حيث يقول :

" لوقوع التحريف في العهد الجديد أسباب أربعة هي :

١ - غفلة الكاتب وسهوه .

٢ - نقصان النسخة المنقولة عنها .

٣ - التصحيح الخيالي والاصلاح .

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٤٣ / ٣٤٤ ترجمة وتقديم د . حسن حنفي مراجعة د . فؤاد زكريا .

٤ - التحريف القصدي الذى صدر عن أحد لأجل مطلبه ، سواء كان المحرف من أهل الديانة أو من المبتدعين ....

وهذا الأمر محقق ، أن بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين ، وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسألة مقبولة ، أو يدفع بها الاعتراض الوارد عليها ."(1)

وقد أورد ( هورن ) جميع الصور المحتملة لوقوع التحريف ، وأقر بأنها وقعت فى الأسفار الكتابية ، وضرب الأمثلة الكثيرة على ذلك ، ولما كان المقام مقام بيان أسباب التحريف ، فإننا سوف نذكرها فى الفقرة التالية عندما نتصدى للتحريفات الواقعة .

ثانيا : كان الكذب والخداع عند النصارى مستحسنا ومستحبا دينيا فى سبيل إشاعة التدين بين الناس ، وكان ذلك من أسباب التحريف كما يقول ( سلسوس ) - وهو من علماء القرن الثاني الميلادي -:
" إن الكذب والخداع كان بمنزلة المستحبات الدينية "(2) ( أى خلال القرنين الأولين فى المسيحية ) .
ويقول موشيم - من مؤرخي القرن الثاني الميلادي - تأكيدا لقول سلسوس هذا : " كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة هي : إن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق ، وعبادة الله ليسا بجائزين فقط ، بل قابلان للتحسين . ويتعلم هذا الكلام منهم يهود مصر

---

(1) الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٤٦٤/٤٦٦ باختصار .
(2) المرجع السابق نفسه ص٤٤٨ .

قبل المسيح ، ويظهر ذلك جليا فى كثير من كتب اليهود القديمة ، ثم أثر وباء هذا الخطأ السيئ فى المسيحيين ، كما يظهر هذا الأمر بجلاء من الكتب التى نسبت الى الكبار كذبا ."[١]

فظهر من ذلك : "أن التحريف فى الكتب المقدسة كان من المستحسنات عند أسلاف اليهود والنصارى ."[٢]

ثالثا : وهناك سبب من أسباب الانحراف الذى أدى الى التحريف وهو:

دور بولس فى تحريف المسيحية وكتبها :

فأهم مؤثر فى التحريف بكتب النصارى هو بولس اليهودى "الذى ينسب اليه أربعة عشر سفرا من أسفار العهد الجديد تسمى رسائل بولس، وقد كتبت قبل كتابة الأناجيل ببضع عشرات من السنين فلا يمكن أن ننسى دوره فى تحريف الديانة المسيحية : عقائدها وشرائعها ، حيث إن المسيحية الحاضرة تنسب اليه أكثر مما تنسب الى غيره ، وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله ، بل إن كلمة ( رسول ) اذا أطلقت لا يراد بها فى اصطلاح المسيحيين إلاّ بولس ويطلقون عليه كذلك لقب الرسول الكبير ."[٣]

---

(١) تاريخ موشيم المجلد الأول ص٦٥ مطبوع عام ١٨٣٢م . نقلاً عن الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص٤٤ .

(٢) أنظر : المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى : محمد نبي الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن ص١٠٩ .

(٣) د . على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ص٦٠ بتصرف قليل . وانظر كذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص٦٩ ، ٧٥ .

وقد كان في أول أمره عدوا لدودا للمسيح والمسيحيين ، ونالهم أشد العذاب على يديه، وقد حاول جاهدا أن " يمحو اسم عيسى وأتباعه من الأرض ، ( ولكنه ) رأى أخيرا عدوه الناصري في السماء لامعا ، داخل الأنوار . . . فاهتدى وتسمى بولس ."[1] وتحول من معذب مضطهد للمسيحية الى مبشر ورسول ملهم لها .

وبولس وإن كان قد دخل المسيحية ، وأصبح أحد دعاتها إلا أنه مازال يهوديا في أفكاره وفي أفعاله ، ولا أدل على ذلك من شهادة المسيحيين أنفسهم . فهذا ( ول ديورانت) المؤرخ المسيحي . يقول :

" قد بقي بولس الى آخر أيامه يهوديا في عقله وخلقه ."[2]

وحيث إن التحريف طبيعة يهودية ، فقد حرف بولس العقيدة المسيحية وجعلها عقيدة تعدد بعد أن كانت عقيدة توحيد . وأدخل فيها عقيدة الصلب والفداء الوثنية ، ونقلها من دعوة خاصة[3] لبني اسرائيل الى دعوة عامة عالمية

---

(١) عبد الأحد داود الآشوري : الانجيل والصليب ص٦٠ .

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص٤٠٥ ترجمة محمد بدران .

(٣) أنظر انجيل متى ١٥ : ٢٤ ، ١٠ : ٥-٦ مايدل على خصوصية دعوة عيسى -عليه السلام- من قوله : " لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " وقوله لحوارييه: " . . . الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة " .
وانظر كذلك : سورة آل عمران آية ٤٩ : " . . . ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم . . . " الآية .

وسورة الصف آية ٦ : " وإذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل إني رسول الله اليكم . . . " الآية .

وهو الذى أدخل فكرة قيامة المسيح من قبره .

أما عن تحريفه فى الشرائع المسيحية فحدّث ولا حرج ، فهو الذى ينسب التشريع لنفسه ، وأنه هو المشرع[١] وهو الذى ابتدع التراتيل والمزامير والأغانى فى الكنائس، وهو الذى ألغى الختان ، واستبدله بالمعمودية ، وهو الذى ابتدع الافخارستيا (العشاء الربانى ) . وهدفه من كل ذلك هو : " هدم المسيحية ، وتقويضها من الداخل ، بعد أن فشل فى هدمها ومحوها تماما من الخارج كعدو لدود ، ومعذب مضطهد ؛ لأن الاعتداء بالمواجهة يصنع عادة " رد فعل " ، والاعتداء بالحيلة والخداع واختلاق القصص المثيرة قد يكون أسهل بكثير من المواجهة من الخارج ."[٢]

ه ه ه

(١) أنظر : الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ٧ : ١٢ ، ٢٥ وغيرها كثير وسوف يأتى الاستشهاد بذلك فى فصل الشرائع.

(٢) سارة العبادى : التحريف والتناقض فى الأناجيل الأربعة ص١٠٧ ( رسالة ماجستير) عام ١٤٠٢هـ .

٤ - عوامل حفظ القرآن من التحريف ، والفرق بينه وبين كتب النصارى عند ابن تيمية :

وفى ختام تعقيبنا هذا على رأي ابن تيمية فى تحريف كتب النصارى وهو التعقيب الذى تناولنا فيه هذه الآراء تحليلا وتعليلا وتأكيدا .

- فى ختام هذا التعقيب نشير الى ما انتهى اليه ابن تيمية من المقارنة بين أسفار أهل الكتاب وبين القرآن فيما يتعلق بقابلية التحريف وقد انتهى من هذه المقارنة -كما رأينا - الى أن القرآن يتميز عن هذه الأسفار بعصمة مبلّغه الينا ، وتواتر نقله ، وسهولة حفظه . وكل ذلك يحفظه من التحريف فى الوقت الذى يجوز فيه هذا التحريف على الأسفار الكتابية التى تخلو من هذه الخصائص، وأهم مايذكره ابن تيمية من الفوارق بين القرآن ، وتلك الأسفار هو التعهد الالهي بحفظه ، وذلك فى قوله تعالى : ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . )[1]
أما هي فقد وكّلها إلى أصحابها كما أشار الى ذلك فى قوله تعالى : ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . )[2]

والتعهد الالهي بحفظه يحفظه من الضياع والتحريف ، أما أصحاب هذه الأسفار فلم يحفظوا ما استحفظوا من كتاب الله ، بل ألحقوا به التحريف ، وهذا التعهد الالهي للقرآن وإن لم يعترف به أصحاب هذه الأسفار إلاّ أنه حقيقة

---

(١) سورة الحجر آية ٩ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٤ .

صحيحة بشهادة القرآن الكريم ، وشهادة الواقع لها عبر عشرات القرون التي مرت عليه منذ إنزاله ، وهو كما هو محفوظ في الصدور متلو بالألسنة مكتوب في المصاحف دون تغيير أو تبديل .[1]

وقد نتج عن كل ما أحدثه بولس في عقائد المسيحية مما سطره في رسائله ، أو نشره بين المسيحيين - نتج عن كل هذا انحراف المسيحيين في عقيدتهم ، وبالتالي انحراف كتّاب الأناجيل فيما سجلوه من هذه العقيدة ، وتحريفهم لما نقلوه عن المسيح من الأقوال والعقائد التي كانت قطعا غير ما أشاعه بولس هذا بين المسيحيين .

فتحريف المسيحية بعقائدها وأناجيلها يحمل وزره بالدرجة الكبرى هذا اليهودي المتسمي بولس كعامل من أهم عوامل الانحراف والتحريف بالاضافة الى ما قدمناه من العوامل والأسباب .

ooo

---

(١) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ص٥-٧ . وكذلك جـ١ ص٣٦٧-٣٦٩ .

# الفصل الثالث

# في

# تناقض الأناجيل

**أولاً :** الإختلاف الواقع في نسب المسيح عليه السلام - بين إنجيل (متى) و(لوقا) .

**ثانياً :** الإختلاف الواقع في الزمن في «قصة معجزة صيد السمك» بين انجيلي (لوقا) و(يوحنا) .

**ثالثاً :** الإختلاف الواقع بين إنجيلي (متى) و(لوقا) في مكان ظهور المسيح عليه السلام .

**رابعاً :** الإختلاف الواقع في الأناجيل الثلاثة (متى، ومرقس، ولوقا) حول اسم زوج هيروديا .

**خامساً :** الإختلاف الواقع بين الأناجيل في أسماء الحواريين .

**سادساً :** تناقض بعض نصوص إنجيل يوحنا في نفسها، ومع العقيدة المسيحية في الله .

**سابعاً :** التناقض بين الأناجيل في ذكر ما نقلته من أقوال المسيح عليه السلام .

**ثامناً :** التناقض بين الأناجيل والواقع .

**تعقيب :**

## (( الفصل الثالث ))

## تناقض الأناجيـــل

تمهيـــد :

قلنا في الفصل السابق أن ابن تيمية - مع عنايته بقضية تحريف الأناجيـل من حيث أنواعه وعوامله وأدلته على وقوعه - قلنا إنه مع عنايته بذلك لم يعنَ بذكـر نماذج لهذا التحريف ، مكتفيا بالاشارة المجملة الى بعض هذه النماذج .

ونقول هنا كذلك :

إنه مع اشاراته المجملة للتناقضات الواقعة بين الأناجيل ، فإنه لم يعـن بذكر النماذج التفصيلية لهذه التناقضات عناية من قدمنا ذكرهم من العلماء في الفصل السابق .

ونود في هذا الفصل أن نقدم بعض هذه النماذج التفصيلية لما قـرره ابن تيمية في هذا المقام من التناقض الواقع بين الأناجيل ، بل وبيـن الانجيل الواحد بعضه مع بعض استكمالا لدراسة ابن تيمية للأناجيـل وما قرره بشأنها من تحريف وتناقض .

والدراسات التي قُدمت في هذا الجانب قديمها وحديثها حافلة بعشرات الأمثلة التي يطول المقام بذكرها ، ولهذا فإننا نكتفي بذكر بعض هـذه النماذج بقدر ما يقتضيه المقام ولا يطول به الكلام . ومن ذلك ما يأتي :

أولاً - <u>الاختلاف الواقع في نسب المسيح بين انجيل متّى وبين انجيل لوقا :</u>

فهو في انجيل (متّى) : "المسيح ابن داود ، ابن ابراهيم ، ابراهيـم ولد اسحاق ، واسحاق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا واخوته ، ويهوذا ولد فارص، وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد آرام ، وآرام ولد عمينـاداب، وعمّيناداب ولد نحْشون ، ونحْشون ولد سلْمون ، وسلْمون ولد بوعز من راحاب ، وبوعز

ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسّى ، ويسّى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريّا ، وسُليمان ولد رحبعام ، ورَحْبَعَام ولد أبيّا وأبيّا ولد آسَا ، وآسا ولد يهوشَافَاط ، ويهوشافاط ولد يُورام ، ويورام ولد عُزّيا ، وعزيا ولد يُوثام ، ويوثام ولد أحاز ، وأحاز ولد حِزْقيا ، وحزقيّا ولد منَسّى ، ومنسى ولد آمون ، وآمون ولد يُوشيَّا . ويوشيا ولد يَكُنْيا واخوته عند سبي بابل ، وبعد سبى بابل يكنيا ولد شأَلْتئيل ، وشألتئيل ولد زَرُبّابل ، وزربابل ولد أبيهود ، وأبيهود ولد ألياقيم ، وألياقيم ولد عازور ، وعازور ولد صادوق ، وصادوق ولد أخِيم ، وأخيم ولد ألِيُود ، وأليود ولد أليعَازر ، وأليعازر ولد متّان ، ومتّان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ....."(١)

أما فى انجيل لوقا فإن نسب المسيح يختلف عما نقلناه عن انجيل متّى اختلافا بيّناً حيث يقول :

" ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن :

ابن يوسف بن هالي بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينّا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص ابن ناحوم بن حسلي بن نجّاي بن ماث بن متّاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ابن يوحنا بن ريسا بن زَرُبّابل بن شألتيئيل بن نيري بن ملكي بن أدّي بن قُصَم ابن ألمودام بن عير بن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي بن شمعون ابن يهوذا بن يوسف بن يونان بن أَلِياقيم بن مليا بن مينان بن متّاثا بن ناثان ابن داود بن يسّى بن عوبيد بن بوعز بن سلْمُون بن نحشون بن عمّيناداب بن أرام ابن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رَعُو بن فالج بن عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد بن سام ابن نوح بن لامك بن متوشالح بن اخنوخ بن يارد بن مَهْلَلْئيل بن قينان بن أنوش ابن شيت بن آدم ابن الله ."(٢)

---

(١) ١ : ١ - ١٦ .

(٢) ٣ : ٢٣-٣٨ .

ويعلّق موريس بوكاي على شجرتي النسب هاتين ، ويصف الاختلاف بينهما بأنه تترتب عليه مشاكل محرجة . فيقول :

" تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوي عليهما انجيلا ( متى ، ولوقا ) مشاكل تتعلق بالمعقولية ، وبالاتفاق مع المعطيات العلمية . . . ومن هنا فهي مشاكل تتعلق بالصحة ، وهي مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين . . . .

وبادئ ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضروري اعطاء المسيح نسبا وهو وحيد مريم ( أمّه ) ، وليس له أب بيولوجي ، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط ." (١)

والواقع أن من يقابل بين شجرتي النسب على نحو ما أوردناه آنفا من انجيلي ( متى ، ولوقا ) يتضح له التناقضات الواقعة في سلسلة النسب بين هذين الانجيلين ، وذلك على النحو الآتي :

١ - في متّى : أن رجل مريم يوسف بن يعقوب ، وفي لوقا : ابن هالي .

٢ - في متّى : أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام ،
وفي لوقا : أنه من أولاد ناثان بن داود .

٣ - في متّى : أن جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون ،
وفي لوقا : أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان .

٤ - في متّى : أن ( شألتئيل بن يكنيا ) ،
وفي لوقا : أنه ابن نيرى .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٥٠ ، ط٤ .

٥ - فى متى : أن اسم ابن زربابل : أبيهود ،
وفى لوقا : أن اسمه : ريسا .[1]

" . . . ولما كان الاختلاف بين النسبين ظاهراً بادي التأمل تحيّر فيهما علماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الانجيلين الى اليوم . . . ؛ لذلك اعترف جماعة من المحققين مثل : أكهارن ، وكيسر ، وهيس وديوث . . وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافا معنويا ، وهذا حق وعين الانصاف ."[2]

ومما يجدر ذكره أن سلسلتي النسب تلتقيان فى طرف المسيح عند يوسف رجل مريم على ماكان يُظن أن المسيح ابنه على حد تعبير انجيل لوقا ، أى حسب ماكان مشهورا فى أوساط اليهود من كون المسيح ابن يوسف النجار ؛ لأن يوسف كان زوجا لها فى اعتقادهم ( أى اعتقاد اليهود ) .

والواقع أن ايراد كتّاب الأناجيل لهذا النسب - حتى ولو غضضنا النظر عما فيه من تحريفات وتناقضات - الواقع أن ايرادهم لهذا النسب على أنه نسب المسيح ، خطأ تاريخي ، وديني ، ومخالف للواقع .

فلو فرضنا صحة هذا النسب ، لكان نسباً ليوسف رجل مريم - كما يقولون - سواء كان زوجا لها ، أو خطيبا ، ولا علاقة بين يوسف والمسيح إلا عند اليهود . أما فى الواقع وطبقا لما تقضي به العقيدة الصحيحة ، فالمسيح ابن مريم ، وليس ابن يوسف ، وهو آية من آيات الله ونفخة من روحه نفخها فيها روح القدس فما له ولهذا النسب البشري ؟ وكيف للوقا أن يورد للمسيح نسبا يجعله فيه ابن يوسف

---

(١) أنظر الشيخ رحمة الله الهندى : اظهار الحق جـ١ ص١٦٠ ، ١٦١ بتصرف واختصار .

(٢) المرجع السابق نفسه .

رجل مريم حتى ولو عبّر عن ذلك قائلا : "على ما كان يظن "؟ كيف يتابع ظنون اليهود - حتى ولو اعتبرها ظنونا ظاهرية لا صحة لها - في قولهم بأن عيسى ابن يوسف ؟ أليس في ذلك تأييد لاتهامات اليهود لمريم عليها السلام - وطعن في المسيح ؟

وفيما يتعلق بـ ( متى ) انتهى بالنسب الى يوسف قائلا عنه : إنه " رجل مريم التي ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح ". فقد نسب المسيح الى مريم لا إلى يوسف ، فكيف يعتبر هذا النسب الذى أورده نسباً لعيسى والعلاقة بين يوسف ومريم لا تعدو أن يكون مجرد خطيب لها لم يدخل بها كما يقول متّى نفسه[1] وإن كان تعبيره عن يوسف بأنه رجل مريم يتعارض مع اعتباره مجرد خطيب لها ، فلا يطلق مثل هذا التعبير - بالنسبة لأى امرأة - إلاّ على زوجها ، وفي مثل ذلك ما يلقي ظلالا من الشك على العلاقة بين المسيح ويوسف - على نحو ما يزعم اليهود - وهو ما يخالف بالتأكيد عقيدة ( متّى ) وكل المسيحيين .

إن العقيدة الصحيحة في ولادة المسيح - عليه السلام - من غير أب بشري تهدر قيمة أى نسب بشري يعطى للمسيح سواء كان في الأناجيل أو في غيرها .

وأخيرا :

> فإننا "اذا نظرنا الى سلسلة النسب هذه ، نجد أن من بينها اسم ( فارص ) بوصفه جدّا من جدود المسيح - عليه السلام - وقد ورد عنه - في سفر التكوين في الاصحاح ( ٣٨ ) - أنه توأم لشقيقه زارح ، ولدتهما أمهما تامار عن طريق الزنا من يهوذا ابن يعقوب .

---

(١) متى ١ : ١٨ "أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لمّا كانت مريم أمّه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس".

فهل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جدوده من الزنا ، ثم يرفعونه بعد ذلك الى مقام الألوهية ؟!"[1]

وقد حاول بعض المعلقين المسيحيين اخفاء هذه التناقضات التى تتضح للعين المجردة ، ومحاولة طمسها والتمسف بشأنها تحت بهلوانيات جدلية حاذقة .

لكن يأبى اللّه إلاّ أن يحق الحق بكلماته ولو كره الكافرون .

ومما سبق يظهر لنا جليا أنه لا يمكن الأخذ برواية أي من ( متى أو لوقا ) عن نسب المسيح حيث إننا لو اعتبرنا احدى الروايتين صحيحة لكانت الأخرى خاطئة بلاشك .

ثانيا : الاختلاف الواقع في الزمن في ( قصة معجزة صيد السمك ) بين انجيلي لوقا[2] ويوحنا[3] . حيث يذكر انجيل لوقا أحداث القصة أنها وقعت فى أثناء رسالة عيسى فى الجليل ، أما انجيل يوحنا ، فيذكر أحداثها ، بأنها وقعت بعد قيامه من الأموات .

وهذا تناقض فاضح وظاهر ، ممن يدّعون أنهم يكتبون بإلهام ، فيحصل منهم هذا التقديم والتأخير فى توقيت الحوادث ، وتاريخ الوقائع .

ثالثا : الاختلاف الواقع بين انجيل متى[4] وبين انجيل لوقا[5] في مكان ظهور المسيح -عليه السلام- حيث يفهم من كلام (متّى) أن أبوي المسيح ( على حد تعبير الانجيلين السابقين ويقصدان يوسف النجار ومريم )

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى : النصرانية والاسلام ص٢٣٢ بتصرف قليل .

(٢) راجع الاصحاح الخامس الفقرات من ١-١١ .

(٣) " الحادى والعشرين الفقرات من ١-١٤ .

(٤) أنظر الاصحاح الثانى كله

(٥) أنظر الاصحاح الثانى أيضا الفقرات من ٢٢-٤٣ .

كانا يقيمان في بيت لحم بعد ولادته ، وأن هذه الاقامة كانت لمدة سنتين تقريبا ، وجاء المجوس الى هناك يريدون أن يسجدوا للرب ، ثم ذهب يوسف ومريم الى مصر هربا من هيرودوس ، وأقاما فيها حتى وفاة هيرودوس ثم رجعا وأقاما في الناصرة .

ويفهم من كلام ( لوقا ) أنهما ذهبا الى أورشليم ، بعد ولادة المسيح ، وقدما الذبيحة ، وفي هذه الأثناء أخذ سمعان ـ الممتلئ بروح القدس ـ المسيح ـ عليه السلام ـ على ذراعيه في الهيكل ، وبيّن أوصافه . وكذلك حنّة النبية بنت فوئيل ، وقفت تسبح ربها في تلك الأثناء ، وأخبرت جميع المنتظرين في أورشليم ، ثم عاد أبواه بعد ذلك الى الناصرة ، وأقاما فيها ، وفي كل سنة من أيام العيد كانا يذهبان من الناصرة الى أورشليم . وأن المسيح عندما بلغ الثانية عشرة من عمره أقام بدون علم أبويه ، ثلاثة أيام في أورشليم .

ويقول صاحب اظهار الحق تعليقا على ذلك :

" لوكان هيرود ، وأهل أورشليم معاندين للمسيح ، لما أخبر الرجل الممتلئ بروح القدس في الهيكل الذى كان مجمع الناس في كل حين ، ولَمَا أخبرت النبية بهذا الخبر في أورشليم التي كانت دار السلطنة لهيرود ."(1)

" وقد سلّم نورتن بهذا الاختلاف الحقيقي بين الانجيلين ، وحكم

(1) هو الشيخ رحمة الله الهندى جـ ١ ص١٦٨ .

بأن بيان ( متّى ) غلط ، وبيان ( لوقا ) صحيح ." [1]

وقد أقرّ أ .كولمان* الدبلوماسي الألماني في كتابه (العهد الجديد) ، بهذا الاختلاف والتناقض بين انجيلي ( متّى ، ولوقا ) في مكان ظهـــور المسيح . [2] والغريب أنهم يعترفون بالتناقض والخلل في كتبهم ، ومع ذلك فهم يعتبرونه من المبررات التي تبعث على الثقة بالكتاب المقدس !!!

يقول الأب روجي** ( R.p. Roguet ) تعليقا على مكان ظهور المسيح :

"إن هذا التفكك ، وهذا الفرق ، وهذا الاختلال يبعث على الثقة ( عنده ) ." [3]

رابعا : الاختلاف الواقع في الأناجيل الثلاثة ( متى [4] ، ومرقس [5] ، ولوقـــا [6] ) حول اسم زوج هيروديا ، حيث ذكروا أنه ( فِيلُبُّس ) ، والصحيـــح

---

(١) الشيخ رحمة الله الهندي جـ١ ص١٦٨ .

* ولد في استانبول في ١٨٧٣م ، وتوفي في ألمانيا عام١٩٤٨م ، سياســـي ، ألماني ، كان يعمل دبلوماسيا في لندن واستانبول ولاهاي ، ثم صـــار وزيرا للخارجية في عام١٩١٧م الى انتهاء الحرب العالمية الأولى . انظـــر الموسوعة الأمريكية جـ١٦ ص٥٥٢ .

(٢) أنظر موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٢٢ ط٤ .

** في كتابه ( مقدمة الانجيل ط عام ١٩٧٣م .

(٣) أنظر موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٢٢ ط٤ .

(٤) ١٤ : ٣ : ٤ .

(٥) ٦ : ١٧-١٨ .

(٦) ٣ : ١٩ .

أنه هيرود . ولما عرف علماؤهم بأنه غلط ، طالبوا باسقاطه ، وأسقطه بعضهم كهذا !!!

ويعلق الشيخ رحمة الله الهندى على ذلك بقوله :

"إن لفظ ( فِيلُبّس) غلط يقينا فى الأناجيل الثلاثة ، ولم يثبت فى كتاب من كتب التاريخ أن اسم زوج هيروديا كان فِيلُبّس ، بل صرح يوسيفس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر أن اسمه كان هيرود أيضا ، ولما كان غلطا ( يعنى اسم فيلبس ) فقد قال هورن فى الصفحة ( ٦٣٢ ) من المجلد الأول من تفسيره :

" الغالب أن اسم فيلبس وقع فى المتن من غلط الكاتب ، فليسقط ، وكريسباخ قد أسقطه ."

وعندنا - والكلام للشيخ رحمة الله الهندي - هذا اللفظ من أغلاط الانجيليين ، ولا نسلّم لهم قولهم من غلط الكاتب ، لأنه دعوى بلا دليل ، ويبعد كل البعد أن يقع الغلط من الكاتب فى الأناجيل الثلاثة فى مضمون واحد . وانظر الى تجاسرهم : إنهم بمجرد ظنهم يسقطون ألفاظا ، ويدخلون ألفاظا أخرى ، وتحريفهم هذا جار فى كل زمان ."(١)

وهذا ( جون فنتون ) ، أحد علماء المسيحية وكبار رجال اللاهوت فيهما ، يعلق على هذه الأغلاط الحاصلة فى الأناجيل الثلاثة المذكورة فيقول :

" لقد كان مرقس مخطئا بالتأكيد فى قوله :" إن هيروديا كانت زوجة لِفيلُبّس"، فقد كانت زوجة لهيرود آخر ، الذى كان أخا غير شقيق لهيرود أنتيباس.

---

(١) اظهار الحق جـ١ ص٣٨٩ .

ان حذف اسم فيلبس من نصوص بعض المراجع المعتمدة قد تكون محاولة متأخرة لإصلاح الخطأ الذى وقع فيه ( متى ) حين اقتفى أثر مرقس.»[١]

خامسا : الاختلاف الواقع بين الأناجيل فى أسماء الحواريين حيث إن اسماء الحواريين الاثني عشر لم تسلم من التحريف فى الأناجيل الثلاثة ( متى[٢] ، ولوقا[٣] ، ويوحنا[٤] ) فقد جاء فى انجيل لوقا اسم يهوذا أخا يعقوب، بينما فى انجيلي متى ومرقس لا وجود لهذا الاسم ، وانما يوجد اسم ( لباوس ) الملقب ( تداوس ) .

سادسا : تناقض بعض نصوص انجيل يوحنا فى نفسها ، ومع العقيدة المسيحية فى الله ، من ذلك : ماجاء فى هذا الانجيل من قول يوحنا :

« فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله ، كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شئ مما كان ، فيه كانت الحياة . . .»[٥]

ويعلق المسعودي على هذا الخلل والاضطراب الواضح فى هذا النص سواء من جهة اللفظ أو من جهة المعنى فيقول :

(هذا النص - أى نص يوحنا - كما ترى مضطرب لفظا ومعنى :

---

(١) تفسير انجيل متى ص٢٤٠ / ٢٤١ نقلا من المهندس احمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ص٩١ .

(٢) ١٠ : ٢-٤

(٣) ٦ : ١٢-١٦

(٤) ٣ : ١٤-٢٠

(٥) ١ : ١-٤

أما من جهة اللفظ، فإن ذلك بمنزلة قول القائل : الكلام عند المتكلم ، والمتكلم هو الكلام ، والعلم عند العالم ، والعالم هو العلم ، والدينار عند الصيرفي ، والصيرفي هو الدينار . وذلك هو الجنون .

وأما اضطرابه من جهة المعنى : فإن الكلمة عندهم هي العلم أو النطق ، وهي التي اتحدت بالجسم المأخوذ من مريم ، وناله القتل والصلب ، وتردد مع الشيطان ، من مكان الى مكان ، وهو ملازم لهم بمقتضى ما رووا عن يوحنا "إن الله هو الكلمة" وما يرده : قول المسيح وتصريحه في عدة مواضع من الانجيل أنه نبي وأنه رسول ، ومعلم ، وأنه لا يعلم الغيب . . . وذلك كله بخلاف قول يوحنا : إن الله هو الكلمة. ح(١)

أما ابن حزم فيبيّن من خلال تعليقه على هذا النص مدى تناقض نصوصهم في نفسها وتناقضها مع عقائدهم في الله ويتساءل مستنكرا :

" كيف تكون الكلمة هي الله ، وتكون عند الله ؟ ! فالله إذاً كان عند نفسه . ثم قوله : إن الذي خلق بالكلمة هو حياة فيها ، فعلى هذا حياة الله مخلوقة ، فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق ، لأن روح القدس -عند جميعهم- هو حياة الله ، وهذا خلاف قول جميع النصارى ، لأن الحياة التي في الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا ، والله بنص كلام يوحنا هو الكلمة ، وهذا هدم لملة النصارى . . . "(٢)

---

(١) أبو الفضل المالكي المسعودي : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ( مخطوطة ) ص١٥ .

(٢) أنظر كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ٢ ص٦١ / ٦٢ .

سابعا : التناقض بين الأناجيل في ذكر ما نقلته من أقوال المسيح -عليه السلام-

ومن ذلك :

١ - التناقض الحاصل بين ما نقله يوحنا عن المسيح -عليه السلام- من قوله : "ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا ."(١)

وبين ما جاء في نفس الانجيل على لسان المسيح أيضا من قوله :

"إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق "(٢)

وانا لنرأف بحال هؤلاء القوم كيف يقبلون هذه التناقضات في كتاب منسوب الى الله تعالى -كما يزعمون -إذ كيف تكون شهادة المسيح فيه مقبولة، وغير مقبولة ، وحقا وباطلا في آن واحد .

٢ - وكذلك التناقض الحاصل بين ما رواه متى في انجيله عن المسيح -عليه السلام -من قوله :

" .... وها أنا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر."(٣)

وبين ما نقله يوحنا عن المسيح -عليه السلام -أيضا من قوله :

"أما أنا فلست معكم في كل حين ."(٤)

٣ - وأيضا التناقض الحاصل بين ما رواه لوقا على لسان المسيح من قوله :

" ... من ليس له فليبيع ثوبه ، ويشتري سيفا ."(٥)

---

(١) ٥ : ٣١ .
(٢) ٨ : ١٤ .
(٣) ٢٨ : ٢٠ .
(٤) ١٢ : ٨ .
(٥) ٢٢ : ٣٦ .

ومن ماجاء على لسانه -عليه السلام - من نهيه عن استعمال السلاح ، وعدم مقابلة الضارب بالضرب . فقد جاء على لسانه في انجيل متى قوله : "الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون "(١)

ثامنا : التناقض بين الأناجيل والواقع :

فقد جاء في اناجيل النصارى-الحالية -جميعها على لسان المسيح ، ذكر لعلامات الساعة ، حيث ذكر أن من علاماتها : أن الأرض ستظلم ، ولا يعطي القمر نوره ، وتسقط نجوم السماء ، وتنوح قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا بقوة ومجد كبير.

وبعد ذلك ختم المسيح كلامه بقوله :

"لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ".

ولنأخذ نموذجاً لِماَ ورد في انجيل ( متّى ) ،ونحيل القارئ الكريم لمكانها في بقية الأناجيل . وسنرى أنه رغم التفاوت في عبارات الأناجيل في هذا الموضوع ، والتناقض بينها ، إلاّ أنها اتفقت على أن حدوث ذلك يكون قبل انقضاء الجيل المعاصر للمسيح .

يقول متّى في انجيله:

"ثم خرج يسوع ، ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه ؛ لكي يُرُوهُ أبنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض .

---

(١) ٢٦ : ٥٢ .

وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا ، متى يكون هذا ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا ، لا يضلكم أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين : أنا هو المسيح ، ويضلون كثيرين ، وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا، لا ترتاعوا ؛ لأنه لابد ان تكون هذه كلها ..... لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن . ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع، حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي .... وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها ، فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب ، هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا ، أنه قريب على الأبواب ، الحق أقول لكم : لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ."[1]

وقد انقضى ما يزيد على تسعة عشر جيلا من كتابة هذه النبوءات التي وعد بها المسيح ، قبل انقضاء جيل المعاصرين له ، ولم يحدث منها شيء . وهذا أكبر دليل على أن هذه الأناجيل من وضع كذبة دجالين .

---

(١) ٢٤ : ١-٣٤
وانظر كذلك انجيل مرقس ١٣ : ١-٣٠،
وكذلك انجيل لوقا ٢١ : ٥-٣٢.

وفي موضع آخر يروي ( متّى ) على لسان المسيح قوله لتلاميذه:

"الحق أقول لكم : إن من القيام هٰهنا قوما لا يذوقون الموت حتى يبصروا ابن الانسان آتيا في ملكوته ."(١)

أي لا ينقضي الجيل الأول المعاصر للمسيح ، حتى يعود اليهم المسيح ثانية.

ومن الواضح -كما يقول العالم اللاهوتي جون فنتون - : "أن شيئا من هذا لم يحدث كما توقعه متى ."(٢)

وخيبة الأمل التي مُنيَ بها المسيحيون في عودة المسيح قبل انقضاء الجيل المعاصر له ،كان لها تفسير آخر لدى بعضهم . يقول ( ول ديورانت) حول هذا الموضوع:

" ولمّا لم تصدق كل هذه العلامات ،ولم يعد المسيح ، رأى عقلاء ( ؟ ! )المسيحيين أن يخففوا من وقع هذه الخيبة ، بتفسير موعد عودته تفسيرا جديدا ، فقالوا : إنه سيعود في خلال ألف عام ، وقال أشد هؤلاء ، حذرا : إن عودته ستكون حين ينقرض جيل اليهود ، أو شعبهم عن آخره ، أو حين لا يبقى أحد من غير اليهود لم يصل اليه الانجيل . . .

بل إن الاعتقاد بعودة المسيح بعد ألف عام أصبح لا يلقى تشجيعا من الكنيسة ، وانتهى الأمر بأن صارت تقاومه ، وتحكم على القائلين به بالزيغ والضلال ."(٣)

وحُقّ لهؤلاء المسيحيين ( العقلاء ) أن ينوحوا على عقولهم قبل دينهم ؛ لأن ما كان وحياً لا يكذب ولا يتناقض.

---

(١) متى ١٦ : ٢٨ .

(٢) تفسير انجيل متى ص٢١ نقلاً عن المهندس أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص٦١ ط١ .

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص٢٩٠/ ٢٩١ .

**تعقيب :**

ولعل فيما ذكرناه من نماذج التحريف والتناقض بين الأناجيل ، مايدلنا على أن ماقرره ابن تيمية ، وصدّقه عليه جميع الكتّاب ، مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، بشأن التحريف والتبديل والتناقض فى كتب بني اسرائيل عامة وفى الأناجيل خاصة - لعل فى ذلك مايدل على أن ماقرره ابن تيمية من تحريف الأناجيل وتناقضها ، لم يكن أمراً نظرياً فقط ، وإنما كان واقعاً عملياً ، شهدت عليه ، وحفلت به صفحات الأناجيل التى يتداولونها ويقدسونها الى يومنا هذا كما ذكرنا آنفا .

وإذا كانت لنا كلمة أخيرة ، فإننا نقرر هنا أن الأمر - فيما يتعلق بالأناجيل جملة ، والعلاقة بينها وبين انجيل المسيح - هو أمر تغيير وتبديل ، وليس مجرد تحريف ، أو تناقض ، فانجيل عيسى - عليه السلام - لم يكن موجودا خلال عشرات السنين التى فصلت بين رفعه وبين البدء فى كتابة هذه الأناجيل ، وإلاّ فلو كان موجوداً لمَا احتاج كتّابها الى كتابة أناجيلهم ، فما كتبوه إذاً لم يكن تحريفاً لشئ موجود بالفعل ، ولكنه عمل جديد اذا نسب الى انجيل عيسى قلنا عنه : إنه عمل مغاير لهذا الانجيل . قد يكون كتّاب الأناجيل - الى جانب كتابتهم لسيرة المسيح - قد حاولوا أن ينقلوا إلينا فيها بعض أقوال المسيح ، وبعض معجزاته ، إما من ذاكرتهم ان كانوا من الحواريين ، أو مما هو شائع على ألسنة الناس ، إن لم يكونوا منهم . ولكننا نضع فى اعتبارنا أن الذين كانوا منهم من الحواريين لم يصاحبوه إلاّ فترات قليلة ، ومن ثم لم يعرفوا من أطوار حياته ، ولم يسمعوا من أقواله ، ولم يروا من معجزاته إلاّ القليل . ومع ذلك فإن هذا القليل لم يدونوه إلاّ بعد عشرات السنين من رفعه ، كما فعل ( متى ويوحنا ) . وخلال هذه السنوات الطويلة ، وتحت ظروف الاضطهاد القاسي الذى كان مسلطا على المسيحيين خلال تلك العصور ، لا نتوقع

من هؤلاء الرواية الصحيحة لأقوال وأساليب يصعب على الذاكرة الاحتفاظ بهـا ، لا سيما إذا تقدمت بأصحابها السن ، وأضعفتها الحوادث والاضطهادات .

فإذا أضفنا الى ذلك خضوع هؤلاء الكتاب لتأثير ما أحدثه بولس فى أول عهد المسيحية من العقائد الباطلة والشعائر المنقولة من الأديان والوثنيات الأخرى شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المسيحيين الذين انحرفوا بفعل هذه التأثيرات الغريبة - إذا أضفنا ذلك إلى ما قدمناه من الظروف المحيطة بكتابة هؤلاء الحواريين لأناجيلهم ، أصبح من المعقول وقوع التحريف فيما كتبه هؤلاء ، وفي روايتهم لما حفظوه ، وفى تأويلهم لما اعتقدوه ، ولا سيما بعد ما تبين لنا من أنهم لم يكونوا رسلاً لله ، بل كانوا فقط رسلاً للمسيح ، ومن ثَم فلم يكونوا ملهمين ولا معصومين .

أما إذا كان كتّاب الأناجيل من غير الحواريين كـ ( لوقا ومرقس ) فإن الأمر يزداد صعوبة عما كان من قبل ، حيث يذكر هؤلاء فى أناجيلهم حصيلة ما كان شائعا فى الأوساط المسيحية عن حياة المسيح وأقواله ومعجزاته ، دون أن يكون لهم سند متصل ، أو منقطع فيما رووه . وبالاضافة الى البُعد الزمني بين رفع المسيح ، وبين زمن كتابتهم لأناجيلهم ، والى عدم وجود السند فى روايتهم لأقوال المسيح ومعجزاته - بالاضافة إلى ذلك فإنهم كسابقيهم لا بدّ وأن يكونوا قد خضعوا لتأثير التحريفات التى طرأت على العقيدة المسيحية فى أول عهدها على يد بولس ، سواء فى نصوصها ، أو فى تأويل تلك النصوص وتفسيرها .

ولهذا فإن انحراف تلك الأناجيل عما كان عليه انجيل عيسى يصبح أمراً طبيعيا ومعقولا ، لا استحالة فيه .

لكل هذا - ولغيره مما قدمناه - فقد كان من الطبيعي كذلك أن تختلف هذه الأناجيل بعضها مع بعض ، وأن تتناقض ، فضلاً عن مخالفتها جميعا لانجيل عيسى . إنها مجرد سير كتبها كتّابها ، وضمّنوها مايذكرونه أو يعرفونه من عقيدة المسيح ، ووصاياه ، وأحداث حياته ، وقد قامت الأدلة على انحرافهم وتحريفهم لما كتبوه من ذلك ؛ لمخالفته للحقائق الدينية الصحيحة الواردة في القرآن الكريم ، وكفى بهذا دليلا على تحريفهم . فما ناقض القرآن من العقائد والوصايا الأخلاقية ، لا يمكن أن يكون صحيحاً . وقد قام الدليل كذلك على تناقضهم فيما بينهم ، وهو ما يعترف به المسيحيون أنفسهم ، بالاضافة الى أن ماكُتب بالفعل لم يسلم من التحريفات عبر هذه القرون المسيحية الطويلة ، خلال الترجمات التي تعرضت لها الأناجيل من لغة الى لغة حتى عصرنا الحاضر . حيث حرفت اسرائيل طبعات الأناجيل عندها ، وحذفت من تلك الطبعات كل مايتضمن مسؤولية اليهود عن مأساة المسيح خلال قيامه بدعوته ، بل وتعرضت الأناجيل على يد أتباعها للاختزال فقد قامت مجلة ريدرز دايجست ( المختار ) باصدار انجيل جديد مختصر يحتوي على ( ٣٢٠ ) ألف كلمة فقط أي مايعادل ٤٠٪ من النص الأصلي الموجود بالأناجيل ، وذلك بعد الحصول على موافقة مجلس الكنائس العالمي* . . . وقام بالتلخيص تسعة خبراء يشرف عليهم القس ( بروس ) منذ ست سنوات . ونُشر هذا الخبر كاملا في مجلة ( تايم ) الأمريكية تحت عدد ١٤ /أكتوبر ١٩٨٢م .

---

* هو هيئة لا تخدم النصارى مطلقا في أمور دينهم ، ولكنها تعمل ليلا ونهارا بكل الوسائل ضد الاسلام والمسلمين .

وتعلّق ناقلة هذا الخبر ( معالي عبد الحميد حمود ه ) عليه فتقول :

" رغم طرافة هذا الخبر الذى يحمل فى نفس الوقت تصويرا بليغا لمأساة أصحاب الأناجيل الأربعة المتداولة ، ولكل هؤلاء الذين يؤمنون بهذه الأناجيل ، إلاّ أنه يهمنا هنا أن نتساءل عما ورد فى هذا الخبر العجيب :

هل الانجيل الجديد الذى تم اختزاله ، مأخوذ من انجيل واحد من الأناجيل الأربعة ؟ أم ياترى هو مجمع اختصارات من الأناجيل الأربعة المتداولة ؟ أم سيكون هذا الانجيل ( انجيل القرن العشرين ) هو خامس الأناجيل المتداولة ؟ !!!

أورد الخبر أن الانجيل ( المختزل ) يحتوى على ( ٣٢٠ ) ألف كلمة فقط ، أى ما يعادل أربعين فى المائة من النص الأصلي الموجود بالأناجيل .....

وهذا يدفعنا الى التساؤل :

أين ذهبت الـ( ٦٠ ) فى المائة من النص الأصلى للأناجيل المتداولة ؟ !

وهل ياترى رأى فريق الاختزال الانجيلى أن يستبعد الـ( ٦٠ ) فى المائة على أساس أنه لا فائدة ترجى من ورائها ؟ أم أن فريق الاختزال رأى أنه من الأفضل - اختصارا للوقت والجهد - أن يأخذ النصارى بالأربعين فى المائة فقط ، وأن يتمّ إهدار الـ ٦٠ فى المائة ؟ !!!

إنها مأساة بكل ما تحمله كلمة مأساة من معنى ، وما تشير اليه من ايماءات .....

مأساة أن يقف النصارى هكذا وعبر الأجيال كلها يتم ابادة الانجيل الأصلي الذى أرسله الله عز وجل لنبيه عيسى - عليه السلام - وأوكل إليهم حفظه ........

وأن يقف النصارى هكذا وهم يجدون بين أيديهم أربعة من الأناجيل كلها تناقض بعضها البعض ....

وأن يقف النصارى هكذا أمام الأوامر الكهنوتية التي تحرّم على كل نصراني مناقشة أي شيء عن الأناجيل المتداولة ....

ومأساة أن يقف النصارى هكذا وهم يرون مجلس كنائسهم العالمي يوافق على اعداد انجيل مختزل يضم ( ٤٠ ٪ ) من نصوص الأناجيل المتداولة ويتم استبعاد الـ ( ٦٠ ٪ ) ...... ولا ندري فقد يحرقونها أيضا ، كما أحرق أسلافهم تلك الأناجيل السابقة ."(١)

هذا وقد قدمنا من قبل شهادة العلماء المسيحيين على وقوع التحريف في الأناجيل الحالية ، بفعل الترجمات الكثيرة التي نقلت من خلالها الى لغات العالم . على هذا يمكن أن نتصوّر ما توصف به الأناجيل من التحريف والتناقض نظريا وعمليا أي من واقع العوامل التي تجعل التحريف والتناقض في الأناجيل أمراً وارداً غير مستبعد من الناحية النظرية ، وأمراً واقعاً بالفعل من الناحية العملية ، وهو ما قرره ابن تيمية في كتابه ( الجواب الصحيح ) وما ناقش به النصارى في هذا الموضوع .

°°°

---

(١) نقلاً عن صحيفة الندوة عدد ( ٧٢٩٦ ) الصفحة الخامسة الصادرة يوم الثلاثاء ٢٣/٥/١٤٠٣هـ .

# الباب الثاني

# في

# العقائد النصرانية

# وموقف ابن تيمية منها

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: عقيدة النصارى بالحلول والاتحاد، وإبطال ابن تيمية لها.

الفصل الثاني: عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الثالث: عقيدة النصارى بألوهية روح القدس، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الرابع: عقيدة النصارى بالتثليث، وابطال ابن تيمية لها.

الفصل الخامس: عقيدة النصارى بالصلب والفداء، وابطال ابن تيمية لها.

# الفصل الأول
# في
# عقيدة النصارى في الحلول والاتحاد وابطال ابن تيمية لها

## أ- معنى الحلول والإتحاد :

١- معنى الحلول .
٢- معنى الإتحاد .
٣- العلاقة بين الحلول والإتحاد .

## ب- عقائد فرق النصارى في حلول الإله في المسيح واتحاده به :

١- عقيدة النسطورية في الحلول والاتحاد .
٢- عقيدة اليعقوبية في الحلول والاتحاد .
٣- عقيدة الملكانية في الحلول والاتحاد .

## جـ- ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد :

أولاً : ابطال ابن تيمية لاستشهادات النصارى بكتبهم المقدسة على الحلول والاتحاد .
ثانيًا : ابطال ابن تيمية لاحتجاج النصارى بمعجزات المسيح، وثناء القرآن عليه على حلول اللاهوت فيه ، واتحاده به .
ثالثًا : ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد، لتناقضها مع العقيدة الصحيحة في الله .
رابعًا: ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد ، لما تستلزمه من المحالات العقلية.

## د- التعقيب :

١- جذور عقيدة الحلول والاتحاد في الوثنيات والفلسفات القديمة .
٢- البطلان العقلي للقول بالحلول .
٣- البطلان العقلي للقول بالاتحاد .
٤- التأويل الصحيح لأقوال المسيح في علاقته بالله .

## (( الفصل الأول ))

## عقيدة النصارى في الحلول والاتحاد وابطال ابن تيمية لها

### أ - معنى الحلول والاتحاد :

#### ١ - معنى الحلول :

الحلول لغة : النزول . و " حلّ بالمكان يَحُلّ حلولا ، ومحلا ، وحَلا وحَلَلا ، وذلك نزول القوم بمحلة . وهو نقيض الارتحال

قال الأسود بن يعفر :

كم فاتني من كريم كان ذا ثقة .·. يذكي الوقود بجُمْد ليلة الحلل

وحل واحتل به ، واحتله نزل به . "(١)

وجاء الحلول في القاموس المحيط بمعنى النزول أيضا .(٢)

" وحل غضب الله على الناس : نزل ، وفي التنزيل العزيز :

( ... فيحلّ عليكم غضبي ، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى . )(٣)

والمكان وبه ـ حلولا : نزل به . وفي التنزيل العزيز : ( ... أو تحلّ قريبا من دارهم . )(٤) . ويقال : حللت بهم ، وحللت عليهم . و ـ البيت سكنه . فهو حال جمع حلول وحُلّال وحلّل . "(٥)

---

(١) ابن منظور / لسان العرب / جـ ١١ ص ١٦٣ فصل الحاء باب اللام .

(٢) للفيروز أبادى جـ ٣ ص ٣٥٩ فصل الحاء باب اللام .

(٣) سورة طه / آية ٨١ .

(٤) سورة الرعد / آية ٣١ .

(٥) المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٩٣ .

وانظر كذلك محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين جـ ٣ ص ٤٧٩ .

وجاء في التعريفات للجرجاني : "الحلول السَّرياني - بفتح السين المشددة والراء المهملة - عبارة عن : اتحاد الجسمين بحيث تكون الاشارة الى أحدهما اشارة الى الآخر ، كحلول ماء الورد في الورد . فيسمّى الساري حالاً ، والمسرى محلا .

والحلول الجواري ، عبارة عن : كون أحد الجسمين ظرفا للآخر ، كحلول الماء في الكوز ."[1]

ولعل الجرجاني يقصد بـ "اتحاد الجسمين" ، حصول أحدهما في الآخر ، واختصاصه به ، وإلا فهناك فرق بين حلول الشيء في الشيء ، وبين اتحادهما معا ، بحيث يصيران شيئا واحدا ، كما سنذكره بعد قليل في تعريف الاتحاد عند الجرجاني نفسه .

والحلول نوعان :

حلول عام : ومعناه - عند القائلين به - حلول الله في الكون فيصبح الكون كله بكل جزئياته محلا له سبحانه وتعالى . وهو قول غالب متعبدة الجهمية.[2] الذين يقولون : "إن الله بذاته في كل مكان ، ولا يخلو منه مكان ." .

وحلول خاص : ويقصد به حلول ذات الله ، أو صفة من صفاته في جسد انسان معيّن من خلقه ، أو روحه ، أو في أي كائن آخر حيا كان أو جمادا ، بحيث يصبح هذا الشخص المعين ، أو الكائن المعين محلا للاله ومظهرا له .

وهذا النوع من الحلول هو الذي تقول به النصارى ، حيث يقولون : إن ذات

---

(١) ص٩٨ .

(٢) أتباع جهم بن صفوان .

الله حلت في عيسى وتدرعت[١] به ،كحلول الماء في الاناء .

وكلا النوعين باطل في حق الله - سبحانه وتعالى - ؛ لما يترتب عليه من المحالات في حقه عز وجل .[٢]

وعلى العموم فلفظ الحلول "لفظ مجمل يراد به معنى باطل ، ويراد به معنى حق - كما سيأتي - وقد جاء في كلام الأنبياء لفظ الحلول بالمعنى الصحيح ،فتأوله من في قلبه زيغ كالنصارى وأشباههم عن المعنى الباطل ، وقابلهم آخرون أنكروا هذا الاسم بجميع معانيه ، وكلا الأمرين باطل ."[٣]

٢ - معنى الاتحاد :

الاتحاد لغة صيرورة الشيئين واحدا . و "أحّد الاثنين ،أى صيرهما واحدا ."[٤]

---

(١) تدرع الرجل لبس الدرع ، وتدرعت المرأة لبست الدرع . وكون ذات الله تدرعت بالمسيح -على حد قول النصارى -أى اتخذته درعا كما يتدرع الانسان قميصه . فاللاهوت تدرع الناسوت . تعالى الله عن قولهم .

(٢) أنظر ابن تيمية مجموع الرسائل والمسائل ج١ ص٩٧/٩٨ ط١ .
وانظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموعة الرسائل الكبرى ج ٤ ص٢٤، ٢٥ .

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٣ ص١١٧/١١٨ .

(٤) أنظر الامام السيد محمد مرتضى الزبيدى / تاج العروس ج٢ ص٢٨٨ فصل الهمزة باب الدال .
وانظر كذلك الجرجانى فى تعريفاته ص٦ .

ويقول الجرجاني في تعريفاته : "الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة ، ولا يكون الا في العدد ، من الاثنين فصاعدا ."(١)

ويقول أيضا : "الاتحاد هو امتزاج الشيئين ، واختلاطهما حتى يصيرا شيئا واحدا ."(٢)

والاتحاد نوعان :

اتحاد عام : وهو اتحاد الذات الالهية مع جميع الكائنات فتصبح عين وجودها . وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أنّ ذات الاله سبحانه هي عين وجود الكائنات .

اتحاد خاص : وهو اتحاد الذات الالهية ببعض الناس المخصوصين ، وامتزاج هذه الذات مع الانسان في شخص واحد ، كما تقول بذلك بعض فرق النصارى ، حيث يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت معا ، وامتزاجهما في شخص المسيح عليه السلام .

وكلا النوعين باطل في حقّ الله عزّ وجلّ ؛ لما يترتّب عليهما من المحالات في حقّه سبحانه وتعالى . (٣)

٣ - العلاقة بين الحلول والاتحاد :

الاتحاد مبني على الحلول ، فالقائلون بالاتحاد قد تدرجوا من القول بالحلول أولا ، ثمّ ارتقوا الى القول بالاتحاد . ففي الحلول بقاء الاثنينية ، بمعنى أن يحلّ أحد الشيئين في الآخر ، مع احتفاظ كل منهما بذاته .

---

(١) صفحة / ٦

(٢) المرجع السابق

(٣) ابن تيمية / مجموع الفتاوى / جـ٢ ص ١٧١ بتصرف .

أمّا في الاتحاد ففناء للاثنينية ، بحيث تصبح الذات الانسانية ، والذات الالهية شيئا واحدا ، فلا اثنينية بين ذات الاله ، وذات الانسان حينئذ .

وعقيدتا الحلول والاتحاد انتهت ببعض الفرق الى القول بوحدة الوجود . حيث يقولون : لاحلول ولا اتحاد ، بل ليس الّا موجود واحد .

وفي الحقيقة " يعتبر القول بالحلول والاتحاد خطوات أولى في طريق القول بالوحدة ، ويعتبر القول بوحدة الوجود ترقيا للقول بالاتحاد ، وامعانا في محو الاثنينية في الوجود . "(١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان معنى وحدة الوجود - عند القائلين بها - :

" انّ الوجود عندهم واحد ، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات ، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات ، منفصل عنها أصلا ، بل عندهم ما ثمّ غير الخالق ، ولا سواه . ولهذا قالوا : انّ آدم من الله بمنزلة انسان العين من العين . "(٢)

و" مؤدى مذهب وحدة الوجود : أن لاموجود غير الله ، وكل ما في الكون مما سواه ليس الّا مظاهر صفاته ، واسمائه . فهو الأول ، والاخر والظاهر ، والباطن . ولا وجود بحقّ الّا له ، فهو قيّوم كل شيء ، منه مادته ، وروحه معا . "(٣)

اذن فالقول بوحدة الوجود يعني : أنّ وجود المخلوقات عين وجود الخالق ، لافرق بينهما من حيث الحقيقة ، أمّا مايظن أنّه فرق بين وجود الخالق ، ووجود المخلوق ، فانما هو - في نظر أصحاب وحدة الوجود - أمر يقضي به الحسّ الظاهر ، والعقل القاصر عن ادراك الحقيقة على ما هي عليه في ذاتها ، من وحدة ذاتية تجتمع فيها الاشياء جميعا .

---

(١) د . حسين جابر موسى / تنزيه الله في الفكر الاسلامي ص٣١٧ ( رسالة دكتوراه )

(٢) مجموع الفتاوى ج٢ ص ١٢ وكذلك الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صفحة ٨٢ ، ٨٣

(٣) محمد فريد وجدى / دائرة معارف القرن العشرين ج ١٠ ص ٧٦٤ .

## ب ـ عقائد فرق النصارى في حلول الاله في المسيح واتحاده به :

### تمهيـــــد :

قبل الكلام عن عقائد الفرق المسـيحية فيما يتعلق بحلول الاله في المسيح ، واتحاده به ـ كما يزعمون ـ نحبّ أن نقرر أنّه كانت بين المسيحيين فرق تقول بتوحيد الله وتنزيهه ، وتنكر القول بألوهية المسيح ، وما بني عليه هذا القول من حلول الله فيه ، واتحاده به ، واذا كانت هذه الفرق قد انقرضت وبادت أمام قوة السلطان ، وارهابه للموحدين ، وأمام تيار الانحراف الديني الذى عمّ الكنائس المسيحية • فقد بقي تيار التوحيد عبر القرون عند قلة من المسيحيين كما سنفصل ذلك فيما بعد (١)

ومن هذه الفرق الموحدة التي انقرضت :

( ١ ) " فرقة أبيون (٢) التي تنكر ألوهية المسيح ، وتعتبره مجرد بشر رسول ، وقد انقرضت في أواخر القرن الرابع الميلادي •

( ٢ ) فرقة بولس الشمشاطي (٣) الذي أنكر هو الآخر ألوهية المسيح ، وقرّر بشريـته • وقد انقرضت هذه الفرقة في القرن السابع الميلادى •

( ٣ ) فرقة الأريوسيين : التي كانت تقاوم كنيسـة الاسكندرية ، فيما تذهب إليه من القول بألوهية المسيح ، وبنوته • فقرر **أريـــــوس** أن المسيح ليس إلهــاً ، ولا ابن إله ، وانما هو بشر مخلوق • وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الخامس الميلادي • (٤)

---

( ١ ) انظر ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ من هذه الرساله

( ٢ ) انظر ص ٢٠ ، ٢٨١ من هذه الرساله

( ٣ ) بعض المراجع تذكر أنه بولس السميساطي • انظر بطرس البستاني في دائرة معارفه / المجلد الخامس ص ٧٠٤

( ٤ ) انظر الدكتور علي عبد الواحد وافي / الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ص ١٠٠ / ١٠٢ بتصرف •

لم يكتب لهذه الفرق البقاء - كما ذكرنا آنفا - ولم يبق الا الفرق القائلة بالحلول والاتحاد ، على اختلاف بينها في التفاصيل ، كما سنرى .

وكبار الفرق المسيحية - التي عنى ابن تيمية بالرد عليها - ثلاث : النسطورية ، واليعقوبية ، والملكانية .

وقبل أن نتكلم بالتفصيل عن هذه الفرق ، وما يتمثل في عقائدها حول المسيح من الحلول والاتحاد ، لابد من الاشارة الى أن ماذهبت اليه من هذا الحلول والاتحاد لم يبدأ بتكوّن هذه الفرق في عصورها المختلفة ، وانما بدأ القول به على يد بولس الذى أشاع بأقواله بين المسيحيين عقيدتا الحلول والاتحاد في المسيح منذ سنوات المسيحية الأولى . لقد كان بولس كما قيل عنه : " ذا لسانين ، وذا وجهين " .

وهكذا انتشرت عقيدتا الحلول والاتحاد بين فئات كثيرة من المسيحيين اعتنقوها وهم الذين تكونت منهم فيما بعد الفرق المسيحية التي تدين بها ، والتي سنشرح عقائدها الآن ، ونرتب الحديث عنها حسب ظهورها الزمني كما قلنا من قبل .

١) عقيدة النسطورية في الحلول والاتحاد :

تنسب النسطورية الى نسطور ، الذى كان بطريركا للقسطنطينية سنة ٤٢٨م(١) والذى ذهب الى القول بأن مريم العذراء لم تلد الاله بل ولدت

---

(١) ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنها تنسب الى نسطور الحكيم الذى ظهر في زمان المأمون ( جـ٢ ص ٦٤ ) وهذا خطأ . والصحيح أنها تنسب الى نسطور الذى كان بطريركا للقسطنطينية ، كما ذكر ذلك ابن حزم في كتابه الفصل (جـ١ ص٤٩ ) ، وسائر كتب الفرق .

الانسان فقط ، لأنّ مايولد من الجسد ليس الاّ جسدا ، ولأنّ المخلوق لا يلـــد الخالق . وعلى هذا ، فمريم لا تسمى والدة الاله ، بل والدة المسيح الانسان ، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته ، أى اتّحد عيسى بعد الولادة بالاقنوم الثانـــي اتحـادا مجازيا ، فمنحه الله المحبة ، ووهبه النعمة ، فصار بمنزلة الابن . "(١)

ومذهب نسطور على هذا محاولة للقرب من التوحيد ، وان كان قد وضــع بقوله : " باتحاد الكلمة بجسد المسيح بعد الولادة" الأساس للقول بطبيعتـــين للمسيح ، وهو القول الذى قال به النساطرة فيما بعد .

ولهذا الاتجاه التوحيدى عند نسطور ، انعقد مجمع أفسس الأول سنــة (٤٣١م) ، وقرر: لعن ، وطرد نسطور ، الذى ينكر ألوهية المسيح .

ويصـــوّر الشهرستاني مذهب النساطرة على النحو الاتي :

" قال ( أى نسطور) : انّ الله ـ تعالى ـ واحد ذو أقانيم ثلاثـــــة : الوجود ، والعلم ، والحياة . وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ، ولا هـي هو ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى ـ عليه السلام ـ لا على طريق الامتزاج ـ كما قالت الملكانية ـ ولا على طريق الظهورية ـ كما قالت اليعقوبية ـ ولكن كاشـــراق الشمس في كوّة ، أو على باور ، أو كظهور النقش في الخاتم ...

ويعني بقوله : هو واحد بالجوهر ، أى ليس مركبا من جنس ، بل هـــو بسيـــط واحـــد .

ويعني بالحياة والعلم ، أقنومين ، جوهرين ، أى أصلين مبدأيــــن للعالم ، ثمّ فسـر العلم بالنطق والكلمــة .

---

(١) انظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص ١٨٩ / ١٩٠

ويرجع منتهى كلامه الى اثبات كونه تعالى موجوداً ، حياً ، ناطقاً ،كما تقوله الفلاسفة في حدّ الانسان . إلاّ أن هذه المعاني تتغاير في الانسان ؛ لكونه مركبا ، وهو ـ أى الله ـ جوهر بسيط غير مركب . . .

وزعمت النساطرة أن الابن ( الكلمة ) لم يزل متولّداً من الأب ، وانما تجسد ، واتحد بجسد المسيح حين ولد . والحدوث راجع الى الجسد والناسوت فهو إله وانسان اتحدا . وهما جوهران ، أقنومان ، طبيعتان : جوهر قديم ، وجوهر محدث ، إله تام وانسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحاً واحداً ، مشيئة واحد .(١)

وأما قولهم في القتل والصلب ، فيخالف قول الملكانية واليعقوبية حيث يذكرون ( أى النساطرة ) : أن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ؛ لأن الاله لا تحله الآلام . . . "(٢)

---

(١) نجد أن الدكتور على عبد الواحد وافى في كتابه الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص١١١ قد ذكر أنه لم يقل بالمشيئة الواحدة إلاّ المارونيون ، وهذا يخالف ما نقلناه هنا عن الشهرستاني . فالمارونيون مسبوقون بالقول بالمشيئة الواحدة على ما نقله الشهرستاني عن النساطرة بأنهم قالوا بالمشيئة الواحدة أيضا .

(٢) الملل والنحل / جـ٢ ص٦٤ ، ٦٥ .

وينقل ابن حزم عن النساطرة تصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح بأنهم يقولون : "ان الاله اتحد مع الانسان ، بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا ، كاتحاد الماء يلقى في الزيت ، فكل واحد منهما باق بحسبه." (١)

ومعنى ذلك أن نسطور يذهب الى القول بطبيعة واحدة للمسيح ، وبالتالي بمشيئة واحدة له ، ولكنه اذ قال باتحاد اللاهوت به بعد ولادته ، وضع الأساس الذي تطور به أتباعه فيما بعد ، حيث قالوا بطبيعتين للمسيح ، وان بقوا على الاحتفاظ بقوله بمشيئة واحدة له .

وسوف نرى أن النساطرة بهذا الرأى قد جمعوا بين قولى زعيمهم نسطور ومخالفيه من الملكانيين ، فتابعوا الملكانيين في القول بالطبيعتين ، وتابعوا نسطور في القول بالمشيئة الواحدة ، وسوف يتضح لنا ذلك عند عرضنا لعقيدة الملكانية . والنساطرة بهذا كما هو واضح قد انفصلوا عن زعيمهم نسطور حيث تطوروا بمذهبه على هذا النحو ، وانفصلوا عن الكنيسة الشرقية ، صاحبة القول بالطبيعة الواحدة - كما سيأتي - وأصبحت لهم كنيستهم الخاصة .

وليس من غرضنا التأريخ لهم ولكنيستهم ولا لوضعهم المعاصر وعلاقتهم بالكنيسة الغربية . وحسبنا ماقدمناه عن مذهبهم الذى يتصل بغرضنا في هذا الفصل .

٢ ) عقيدة اليعقوبية في الحلول والاتحاد :-

تنسب الى يعقوب البرادعي ، لا كمؤسس لمذهبها ، وانما كمجدد له

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ١ ص ٥٣ .

في القرن السادس الميلادى (٥٤٣م) ، حيث" نشأ هذا المذهب قبل ظهور يعقوب البرادعي بأمد طويل ، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأي - وهو أن للمسيح طبيعة واحدة - معظم المجتمعين في مجمع أفسس الثاني الذى انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادى ." [1]

فقد أعلن بطريرك الاسكندرية "البابا كيرلس" بأن للمسيح طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة . وعقد لهذا الغرض مجمع أفسس الثاني [2] بالأناضول سنة ٤٤٩م (عقده بطريرك الاسكندرية آنذاك البابا ديسقورس) واتخذ قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس حول طبيعة المسيح . ثم كان مجمع خلقيدونيه عام ٤٥١ ردا على قرارات هذا المجمع ورفضها .

واليعاقبة إذ يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح الناشئة من اتحاد الأقنوم الثاني به ( أى بالمسيح ) يقررون بذلك أن مريم ولدت الها ، ولم تلد إنساناً عادياً ، بل ابن الله المتجسد ، لذلك هى حقا أم الاله . يقول الشهرستاني في تصوير مذهب اليعاقبة هذا :

" اليعقوبية قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة ( الأقنوم الثاني ) لحماً ودماً فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو، وعنهم اخبرنا القرآن الكريم : "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" [3]

---

(١) د . على عبد الواحد وافى الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام ص١٠٩

(٢) سماه الكاثوليك - تهكماً - مجمع اللصوص ؛ لأنه - فى نظرهم - مجمع غير شرعى .

(٣) سورة المائدة ، آية ٧٢ .

فمنهم من قال المسيح هو الله ، ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح ، مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو . وهذا كما يقال : ظهر الملك بصورة انسان ، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان . وكما أخبر التنزيل عن جبريل - عليه السلام - : ( فتمثل لها بشراً سويا )[1]

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد ، أقنوم واحد ، إلا أنه من جوهرين وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الإله القديم ، وجوهر الانسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً أقنوماً واحداً ، وهو إنسان كله وإله كله ، فيقال الانسان صار إلها ولا ينعكس ، فلا يقال الاله صار إنسانا كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة ناراً ، ولا يقال صارت النار فحمة وهي في الحقيقة لا ناراً مطلقة ، ولا فحمة مطلقة ، بل هي حجرة ، وزعموا ( أي اليعاقبة ) أن الكلمة اتحدت بالانسان الجزئي لا الكلي . وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج ، والادراع ، والحلول ، كحلول صورة الانسان في المرآة المجلوة ...

واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جوهرين وهو إله وهو المولود . قالوا : إن مريم ولدت الها - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - وكذلك قالوا في القتل : وقع على الجوهر ، الذي هو من جوهرين . قالوا : ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد ، وزعم بعضهم : انا نثبت وجهين للجوهر القديم .

---

(١) سورة مريم / آية ١٧ .

فالمسيح قديم من وجه ، محدث من وجه . وزعم قوم من اليعقوبية : أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا ، لكنها مرت بها كالماء في الميزاب ." (١)

وينقل ابن حزم عن اليعاقبة مذهبهم في المسيح -عليه السلام- ، وتصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت به حيث يقولون : "إن الاله اتحد مع الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا كاتحاد الماء يلقى في الخمر ، فيصيران شيئا واحدا ." (٢)

وليس من غرضنا أن نؤرخ لنشأة الكنيسة اليعقوبية ، ولا أن نتتبع الوضع المعاصر لهذه الكنيسة وأتباعها ، وانما الذى نريد أن نقوله : إنها نشأت في أول أمرها في أحضان الكنيسة الشرقية بالقسطنطينية ، وأن زعيمها ( يعقوب ) قام مجدداً لما تقرر في مجمعي تلك الكنيسة ( مجمع أفسس الأول والثاني ) من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح والمشيئة الواحدة له . وقد ظل هذا القول هو عقيدة كنيسة القسطنطينية حتى تسمت باسم الكنيسة الأرثوذكسية ( أي الكنيسة المستقيمة الرأي ) وانفصلت بذلك عن الكنيسة الغربية في روما . وذلك في الربع الأخير من القرن التاسع . فالمذهب الأرثوذكسي المعاصر يقول بالطبيعة الواحدة ، والمشيئة الواحدة للمسيح .

٣) عقيدة الملكانية في الحلول والاتحاد :

أصحاب هذا المذهب يقولون بأن للمسيح طبيعتين :
طبيعة إلهية ، وطبيعة ناسوتية . فهم يتفقون مع النساطرة في القول بأن للمسيح طبيعتين ، لكنهم يختلفون عنهم في أنهم يقولون إن مريم ولدت الاله والانسان معا . فهي قد ولدت يسوع الذى هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ، ومع الناس في الطبيعة

---

(١) الملل والنحل جـ٢ ص٦٦/٦٧ .

(٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل جـ١ ص٥٣ .

الانسانية . بينما قال النساطرة : إن مريم ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد بـه اللاهوت بعد الولادة - كما ذكرنا من قبل - وقد تقرر هذا المذهب بصورة قاطعة في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م الذي عقد للرد على القائلين بالطبيعة الواحدة في مجمع أفسس الثاني ، وتقرر فيه ( أي في مجمع خلقيدونية ) طرد نسطور القائل بولادة مريم لجسد المسيح فقط .

ويلخص ( ابن البطريق ) قرار مجمع خلقيدونية هذا إذ يقول :

" قالوا : إن مريم العذراء ولدت الهنا ربنا يسوع المسيح ، الذي هو مع أبيه في الطبيعة الالهية ، ومع الناس في الطبيعة الانسانية . وشهدوا أن للمسيح طبيعتين ، وأقنوم واحد ، ووجه واحد ... ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس ."[1]

وقد انتصر لهذا المذهب الامبراطور الروماني آنذاك ، وحضر مجمع خلقيدونية هو وزوجته الملكة ؛ لذلك سمي هذا المذهب بالمذهب الملكاني .[2]

ويقول الشهرستاني في بيان آراء هذه الفرقة :

" قالوا ( أي الملكانية ) : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدرعت

---

(١) انظر الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص١١٠ . وراجع أيضا كتاب الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص١٩١ ، ١٩٦ .

(٢) ينسب الشهرستانى في الملل والنحل (جـ٢ ص٦٢ ) هذا المذهب الى شخص اسمه ملكا . وقد اخطأ في ذلك ، وراجعه في هذا الخطأ الدكتور على عبد الواحد وافى في الأسفار المقدسة ص١١٠ .

بناسوته ، ويعنون بالكلمة أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة . ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً ، بل المسيح مع ماتدرع به ابن . فقال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن . وصرحت الملكانية : بأن الجوهر غير الأقانيم ، وذلك كالموصوف والصفة ... وقالت : إن المسيح ناسوت كلي لا جزئي ، وهو قديم أزلي من قديم أزلي ، ولقد ولدت مريم عليها السلام إلهاً أزلياً . والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت ، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل ، وعلى المسيح ... "[1]

ويقول ابن حزم في بيان مقالة الملكانية :

" إنهم قالوا : إن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء : أب ، وابن ، وروح القدس . كلها لم تزل ، وان عيسى - عليه السلام - إله تام كله ، وانسان تام كله ، لم يفله منه شئ من ذلك ، وان مريم ولدت الإله والانسان ، وانهما معا شيئا واحدا . "[2]

وينقل عنهم ابن حزم كذلك قولهم :

" إن الاله اتحد مع الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا ، كاتحاد النار في الصفيحة المحماة . "[3]

---

(١) الملل والنحل جـ٢ ص٦٢ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٤٩ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص٥٣ .

فالمذهب الملكاني إذن يقول بطبيعتين ومشيئتين للمسيح عليه السلام .

إلا أنه - وكعادة المسيحيين في مخالفة بعضهم بعضا ولعن بعضهم البعض - قد ظهر في القرن السابع الميلادي (٦٦٧) شخص يدعى (يوحنا مارون)، فخالف هذا الاتجاه، وذهب إلى أن المسيح مع أنه ذو طبيعتين، إلا أن له مشيئة واحدة، وإرادة واحدة هي المشيئة الالهية، والارادة الالهية؛ لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد. ولكن بطارقة الكنيسة الغربية في روما لم يرق لهم هذا الرأي ولم يقبلوه، وأشاروا على الامبراطور أن يعقد مجمعا ليقرر أن للمسيح طبيعتين، ومشيئتين، بعد أن عرفوا أنه يشاركهم الرأي، فعقد مجمع القسطنطينية السادس سنة (٦٨٠م)، وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، ولعن وطرد (يوحنا مارون)، ومن تبعه، وكفّر من يقول بالمشيئة الواحدة.[1] وجاء في قرار المجمع مايلي :

"إننا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم، المستوي مع الأب الاله في أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تاما بناسوته، تاما بلاهوته في الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين، ومشيئتين في أقنوم واحد ... فهو يعمل مايشبه الانسان أن يعمله في طبيعته، ومايشبه الاله أن يعمله في طبيعته ... وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين."[2]

---

(١) أنظر الدكتور / على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص١١١ .
وانظر كذلك الدكتور احمد شلبى / المسيحية ص١٩٢ طه .

(٢) نقلاً عن كتاب الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص١١١ .

وهكذا نجدهم دائما يجتمعون على الضلال ، ويفترقون على اللعن .

فالقول بالطبيعتين ، والمشيئتين ، هو قول الكنيسة الغربية منذ بداية الأمر ، وحتى بعد أن تميّزت عن غيرها من الكنائس ، في أواخر القرن التاسع باسم الكنيسة الكاثوليكية [1] ( أى العامة أو العالمية ) . وبذلك يكون المذهب الكاثوليكي المعاصر ، هو امتداد للمذهب الملكاني ، على نحو ما يعبّر عنه المؤرخون الاسلاميون .

---

(١) في أواخر القرن التاسع الميلادى ( ٨٧٩ ) حينما حصل انفصال مذهبي بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية ، تسمت الكنيسة الشرقية بالأرثوذكسية التي تقول بالطبيعة الواحدة ، والمشيئة الواحدة للمسيح ، وبانبثاق روح القدس عن الله الأب فقط . وتتبع نظام الاكليروسي ، الذى يبدأ من البطريرك ، ثم المطارنة ، ثم الاساقفة ....الخ

وتسمت الكنيسة الغربية بالكاثوليكية ، وذهبت الى القول بالطبيعتين للمسيح ، وبالمشيئتين ، وبانبثاق روح القدس عن الأب والابن معا ، وبالنظام البابوى الذى يرأسه البابا ، والكرادلة ...انظر الدكتور أحمد شلبي المسيحية ص ٢٣٧ /٢٣٨ ط ٥

جـ - ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد :

تناول ابن تيمية شبهات النصارى التي يستدلون بها على عقيدتهم في الحلول والاتحاد - تناول تلك الشبهات بالردود المطولة عليها بما يبطلها خلال كتابه الجواب الصحيح ، ويمكننا أن نستخلص من تلك الردود الطويلة أن شبهات النصارى في الحلول والاتحاد يمكن وضعها تحت نقاط كلية يحاولون بها تصحيح مايذهبون اليه من الحلول والاتحاد - كما يزعمون - وأن ردود ابن تيمية لا تنحصر في تلك النقاط الكلية ، بل يضيف ابن تيمية الى ابطال شبهاتهم المندرجة تحت هذه النقاط أدلة أخرى يبطل فيها عقيدة الحلول والاتحاد عندهم . وهذه الوجوه يمكن حصرها بالتالي في وجوه كلية تندرج تحتها تلك الأدلة .

وابن تيمية لم يعمد الى هذا التنسيق المنهجي لردوده على النصارى وأدلته على بطلان عقائدهم ، بل كان يسرد هذه الردود والأدلة سرداً دون تبويب . إلا أننا وجدنا أن مثل هذا التنسيق والتبويب لشبهات النصارى وردود ابن تيمية عليها ، وأدلته التي يبطل بها عقائدهم يعين على الاحاطة بالموضوع من جميع وجوهه إحاطة منظمة مع توضيح تلك الوجوه التي تندرج تحتها الشبهات والردود عليها والأدلة المبطلة لتلك العقائد .

ويمكن ذكر مجمل الوجوه التي تندرج تحتها شبهات النصارى على عقائدهم في الحلول والاتحاد وبالتالي تتوجه إليها أجوبة ابن تيمية فيما يأتي :

أولاً : استدلال النصارى على عقائدهم في الحلول والاتحاد بالنصوص المقدسة عندهم . وردود ابن تيمية على ذلك .

ثانياً : استشهاد النصارى بمعجزات المسيح وأعماله وفضائله وما يقتضيه ذلك من فضله على جميع مَنْ سواه من الأنبياء في نظرهم - استشهادهم

بكل ذلك على مايزعمونه من حلول اللاهوت فيه واتحاده به ، وأنه ليس كغيره من البشر . وردود ابن تيمية على ذلك .

ومن جهة ابن تيمية فإنه يضيف إلى ردوده على عقيدة النصارى من الوجهين السابقين - يضيف الى ذلك إبطاله لتلك العقيدة من وجهين آخرين :-

أولاً : مايثبته - ابن تيمية - من تناقض القول بالحلول والاتحاد عند النصارى مع العقيدة الصحيحة في الله .

ثانياً : مايرتبه - ابن تيمية - على القول بالحلول والاتحاد من استلزامه للمحالات العقلية التي لا تجوز في حق الله عز وجل أو التي تتناقض مع البداهة العقلية السليمة .

وسوف نعرض فيما يلي إبطال ابن تيمية لعقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى من جميع هذه الوجوه . وذلك بايراد نصوص كلامه في هذا المقام لما تتميز به تلك النصوص من الوضوح والقوة .

أولا : إبطال ابن تيمية لاستشهادات النصارى بكتبهم المقدسة على الحلول والاتحاد :

لقد كثرت النصوص التي يستشهد بها النصارى في كتبهم المقدسة - في زعمهم - على صحة مايعتقدونه من حلول اللاهوت في الناسوت المسيحي واتحاده به وتجسده فيه . وقد أبطل ابن تيمية استشهاداتهم بتلك النصوص إما بإثبات زيفها وتحريفها ، ومن ثَم لا يصح الاستشهاد بها في باب العقائد ، وإما ببيان عدم دلالتها على مايعتقدونه إذا فهمت على وجهها الصحيح - وذلك على فرض صحتها ولو جدلا - وبيان أنهم يحمّلون ألفاظها من الدلالات مالا تحتمله

وسوف نختار من هذه النصوص الكثيرة أهم مايستشهدون به على عقيدتهم في الحلول والاتحاد . مع عرض ردود ابن تيمية عليها :

١ - يستشهد النصارى بما نقلوه عن أرميا من قوله عن ولادة عيسى :

" يقوم لداود ابن ، وهو ضوء النور يملك الملك ، ويعلّم ويفهم ويقيم الحق والعدل في الأرض ، ويخلّص من آمن به من اليهود ، ومن بني اسرائيل وغيرهم ، ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ، ويسمى الاله ."[1]

ويرد عليهم ابن تيمية بقوله :

" ... أما قول ارمياء : " واسمه الاله " فهذا يدل على أنه ليس هو الله رب العالمين ، وانما لفظ الاله اسم سمي به كما يسمى موسى إلها لفرعون عندهم في التوراة ، إذ لو كان هو الله رب العالمين لكان أجلّ من أن يقال " ويسمى الاله " فإن الله تبارك وتعالى لا يعرّف بمثل هذا ، ولا يقال فيه : إن الله يسمى الاله ...

وقال : " يملك الملك " ورب العالمين مازال ولا يزال مالكا للملك سبحانه .

وأيضا فإنه قال : " يقوم لداود ابن هو ضوء النور " ومعلوم أن الابن الذي من نسل داود الذي اسم أمه مريم هو الناسوت فقط فإن اللاهوت ليس من نسل بشر ، وقد تبيّن أن هذا الناسوت الذي هو ابن داود ، ويسمى الاله ، فعلم أن هذا اسم للناسوت المخلوق لا للاله الخالق .

وأيضا ، فإنه قال : و " هو ضوء النور " فلم يجعله النور نفسه ، بل جعله

---

(١) سفر أرمياء ٣٣ : ١٥-١٦ .

ضوء النور ، والله تعالى منوّر كل نور ، فكيف يكون هو ضوء النور ، والله تعالى قد سمى محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً ، ولم يكن بذلك خالقا ، فكيف اذا سمي ضوء النور؟ وأيضا فإنه لم يجعل القائم إلا ابن داود ، وابن داود مخلوق ، وأضاف الفعل الى هذا المخلوق ، ولو كان هذا هو الله رب العالمين قد اتحد بالناسوت البشرى لبيّن ( أرمياء ) وغيره من الأنبياء ذلك بيانا قاطعا للعذر ، ولم يكتفوا بمثل هذه الألفاظ التى هى إما صريحة أو ظاهرة فى نقيض ذلك ، أو مجملة لا تدل على ذلك ، فانه من المعلوم أن اخبارهم باتيان نبى من الأنبياء أمر معتاد ممكن ، ومع هذا يذكرون فيه من البشارات والدلائل الواضحة مايزيل الشبهة . وأما الاخبار بمجيئ الرب نفسه وحلوله ، أو اتحاده بناسوت بشرى فهو : إما ممتنع غير ممكن كما يقوله أكثر العقلاء من بنى آدم . . . . واما ممكن -كما يقوله بعض الناس- وحينئذ فامكانه خفي على أكثر العقلاء وهو أمر غير معتاد ، واتيان الرب بنفسه أعظم من إتيان كل رسول ونبى ، لاسيما إذا كان اتيانه باتحاده ببشر لم يظهر على يديه من الآيات مايختص بالالهية ، بل لم يظهر على يديه إلا ماظهر على يد غيره من الأنبياء ما هو مثله أو أعظم منه ، والله تعالى لما كان يكلم موسى ، ولم يكن موسى يراه ولا يتحد لا بموسى ولا بغيره ، ومع هذا فقد أظهر من الآيات على ذلك ، وعلى نبوة موسى مالم يظهر مثله ولا قريب منه على يد المسيح .

فلو كان هو بذاته متحداً بناسوت بشرى لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخباراً صريحا بينا لا يحتمل التأويلات ، ولكان الرب يظهر على ذلك

من الآيات مالم يظهر على يد رسول ولا نبي ، فكيف والأنبياء لم ينطقوا في ذلك بلفظ صريح ، بل النصوص الصريحة تدل على أن المسيح مخلوق ، ولم تأت آية على خلاف ذلك ، بل انما تدل الآيات على نبوة المسيح فقط .»(١)

٢ - وينقلون عن أشعياء النبي قوله : «قل لصهيون هنا تفرح وتتهلل فإن الله يأتي ( أى في صورة المسيح ) ويخلص الشعوب ، ويخلص من آمن به وبشعبه ويخلص مدينة بيت المقدس ، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المبددين ويجعلهم أمة واحدة ، ويبصر جميع أقاصي الأرض خلاص الله ، لأنه يمشي معهم وبين يديهم ويجمعهم إله اسرائيل .»(٢)

ومعنى ذلك :

أن الله إنما يتمثل بزعمهم - في صورة المسيح حالاً فيه متحدا ان يمشي أمام شعب اسرائيل ويجمع شتاتهم ، وأن مافعله المسيح من ذلك إنما فعله بهذا الاعتبار .

ويجيب ابن تيمية على ذلك قائلا :-

« هذا - أى قول اشعياء كما يدّعون - يحتاج أولاً أن يعلم أن في هذه النبوة أن هذا الكلام نقل بلا تحريف للفظه ، ولا غلط في الترجمة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١٨٧-١٨٩ .

(٢) سفر أشعياء ، الاصحاح ٢٥ الفقرات من ٧-١١ .

ولم يثبت ذلك ، واذا ثبت ذلك فحينئذ هو نظير مافى التوراة .

من قوله : " جاء الرب من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران "(١)

ومعلوم أنه ليس فى هذا مايدل على أن الله حال فى موسى ابن عمران ، ولا متحد به ، ولا أنه حال فى جبال فاران ، ولا أنه متحد بشئ من طور سينا ولا ساعير .

وكذلك هذا اللفظ لا يدل على أنه حال فى المسيح ومتحد به ، إذ كلاهما سواء . واذا قيل : المراد بذلك : قربه ودنوه كتكليم موسى ، وظهور نوره وهداه وكتابه ودينه ، ونحو ذلك من الأمور التى وقعت ، قيل : وهكذا فى المسيح عليه السلام .

وقوله : " ويظهر الله ذراعه الطاهر لجميع الأمم المهديين " قد قال فى التوراة مثل هذا فى غير موضع ، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى عليه السلام ، كقوله : " شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجارب وآيات عجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة . . . الخ "(٢)

" وهم شعبك وميراثك الذى أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة "(٣)

" فلما صرخنا إلى الرب اله آبائنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا ، فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة

---

(١) سفر التثنية ٣٣ : ٢ .

(٢) سفر التثنية ٤ : ٣٤ .

(٣) سفر التثنية ٩ : ٢٩ .

وآيات وعجائب "(١)

وأما قوله عن الأمم المبددين فيجعلهم أمة واحدة ، فهم الذين اتبعوا المسيح ، فإنهم كانوا متفرقين مبددين فجعلهم أمة واحدة .

وأما قوله : " ويبصّرون جميع أهل الأرض خلاص الله ، لأنه يمشي معهم وبين يديهم ، ويجمعهم إله اسرائيل " فمثل هذا في التوراة في غير موضع ، ولم يدل ذلك على اتحاده بموسى ولا حلوله فيه ، كقوله في السفر الخامس من التوراة يقول موسى لبني اسرائيل : " لا تهابوهم ولا تخافوهم ، لأن الله ربكم سائر بين أيديكم هو محارب معكم ."(٢)

وفي موضع آخر قال موسى : "إن الشعب هو شعبك ، فقال : أنا أمضي أمامك فارتحل فقال : إن لم تمض أنت أمامنا وإلا فلا تصعدنا من ههنا ، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت أمامك نعمة كذا بعلمك لا بسيرك معنا "

وفي السفر الرابع ( العدد ) من الفصل الرابع عشر : " ربي اصعدن هؤلاء من بينهم بقدرتك ، فيقولون لأهل هذه الأرض الذين سمعوا أنك الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينا بعين ، وغمامك يقيم عليهم ، وبعمود غمام يسير بين أيديهم نهارا ، وبعمود نار ليلا ."(٣)

---

(١) سفر التثنية ٢٦ : ٧-٩ .
وانظر كذلك سفر اشعياء ١ : ٢٥-٢٧ .
(٢) سفر التثنية ١ : ٢٩-٣٠ .
(٣) سفر العدد ١٣-١٦ .

وفى التوراة أيضا : يقول الله لموسى : "إني آت اليك فى غلظ الغمام لكى يسمع القوم مخاطبتى لك ."

ثم قوله : "اجمع سبعين رجلا من شيوخ بني اسرائيل ، وخذ هم الى خيمة الاجتماع خباء العرب يقفون معك حتى أخاطبهم"(١)

ويستدل ابن تيمية بذكر هذه النصوص من التوراة من أن ما تتضمنه من القول بمجيئ الرب لموسى وقومه لم يدل على اتحاده بموسى ، ومن ثم فما ينقله النصارى عن اشعياء من أن اله اسرائيل يجمع الأمم ويمشي معهم وبين أيديهم لا يدل على حلول الله عز وجل فى عيسى عليه السلام أو اتحاده به .

٣ - ويستشهد النصارى بما ينقلونه عن النبي زكريا من قوله : "افرحي يابنت صهيون ، لأني آتيك وأحلّ فيك واترايا ، قال الله ، ويؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ، ويكوّنون شعباً واحداً ، ويحل هو وهم فيك ، وتعرفين أنى أنا الله القوى الساكن فيك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهوذا ، ويملك عليهم إلى الأبد ."(٢)

وهم يرون فى هذا نصا صريحا على اتيان الرب لمريم، وحلوله فيها، وتراثيه فى شخص المسيح، وأنه هو الذى سكن فيها . أى أن هذا الكلام نص صريح فى عقيدة حلول الله فى عيسى ، وظهوره فى صورته كما يزعمون .

---

(١) سفر العدد ١١ : ١٦-١٧ .

(٢) سفر زكريا الاصحاح ٢ من ١٠-١٢ .

ويجيبهم ابن تيمية على ذلك بقوله :

" مثل هذا قد ذكر عندهم عن ابراهيم وغيره من الأنبياء أن الله تجلى له ، واستعلن له ، وترياله ، ونحو هذه العبارات ، ولم يدل ذلك على حلوله فيه .

وكذلك اثياثه ، وهو لم يقل : إني أحلّ في المسيح واتحد به ، وانما قال عن بنت صهيون :

" آتيك وأحل فيك " كما قال مثل ذلك عندهم في غير هذا ولم يدل على حلوله في بشر ، وكذلك قوله : " وتعرفين أني أنا الله القوى الساكن فيك " ، لم يرد بهذا اللفظ حلوله في المسيح ، فإن المسيح لم يسكن بيت المقدس وهو قوي ، بل كان يدخله وهو مغلوب مقهور حتى أخذ وصلب - حسبما يعتقدون - أو شبهه ، والله سبحانه إذا حصلت معرفته والايمان به في القلوب اطمأنت وسكنت . وكان بيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح عليه السلام بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته مالم يكن قبل ذلك ..... فكتب الأنبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم يصدّق بعضها بعضا، وسائر ماتستدل به النصارى على إلٰهيته من كلام الأنبياء، قد يوجد مثل تلك الكلمات في حق غير المسيح ، فتخصيص المسيح بالالٰهية دون غيره باطل . وذلك مثل اسم الابن والمسيح ، ومثل حلول روح القدس فيه ، ومثل تسميته الها ، ومثل ظهور الرب أو حلوله فيه أو سكونه فيه ، أو في مكانه .

فهذه الكلمات وما أشبهها موجودة في حق غير المسيح عندهم ، ولم

يكونوا بذلك آلهة . . . . وقد قال الله تعالى : ( وله المثل الأعلى في السموات والأرض )[1]

وقال تعالى : ( وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله )[2]

وقال تعالى : ( وهو الله فى السموات وفى الأرض )[3]

فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه . ويقال : هو فى قلوبهم ، والمراد معرفته ومحبته وعبادته ، وهو المثل العليّ ليس المراد نفس ذاته . . . "[4]

٤ - وقد احتجّ النصارى كذلك على عقيدتهم فى الحلول والاتحاد بما جاء فى سفر الملوك :

" والآن يارب اله اسرائيل ليتحقق كلامك لداود ، لأنه حق أن يكون ، أنه سيسكن الله مع الناس على الأرض ، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم ، ولتنصت الأرض ، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً من بيته القدوس ، ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشاريق الأرض فى شأن خطيئة بني يعقوب . . . "[5]

---

(١) سورة الروم آية ٢٧ .

(٢) سورة الزخرف آية ٨٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ٣ .

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١٩١ ، ١٩٢ بتصرف قليل .

(٥) انظر الاصحاح ٦ : ١١-١٣ ، والاصحاح ٨ : ١٥-٢٧ وهو موجود فى سفر الملوك الأول وليس الثالث كما ذكر ابن تيمية .

واذا كان المسيح هو الذى وطئ أطراف الأرض وساكن الناس فيها ...

فإن هذا النص قد عبّر عن ذلك بأن الله هو الذى فعل ذلك ، فالمسيح إذن - كما يزعمون - انما فعل ذلك باعتباره رباً لحلول الرب فيه واتحاده به .

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بأن هذا السفر يحتاج إلى أن يثبت أن الذى تكلم به نبي ، وأن ألفاظه ضبطت وترجمت الى العربية ترجمة مطابقة ، ثم بعد ذلك يقال فيه مايقال فى أمثاله من الألفاظ الموجودة عندهم ، وليس فيها مايدل على اتحاده بالمسيح، فإن قوله : "إن الله سيسكن مع الناس فى الأرض" لا يدل على المسيح ، إذ كان المسيح لم يسكن مع الناس فى الأرض ، بل لما أظهر الدعوة لم يبق فى الأرض إلا مدة قليلة ، ولم يكن ساكنا فى موضع معين ، وقبل ذلك لم يظهر عنه شيء من دعوى البنوة فضلا عن الالهية ، ثم إنه بعد ذلك رفع الى السماء فلم يسكن مع الناس فى الأرض ، وأيضا ، فإذا قالوا سكونه هو ظهوره فى المسيح عليه السلام ، قيل لهم : أما الظهور الممكن المعقول ، كظهور معرفته ومحبته ونوره ، وذكره ، وعبادته ، فهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره ....

وأما قوله : "فيكون الرب عليها شاهداً" ، فيقال :

شهود الله على عباده لا يستلزم حلوله ، أو اتحاده ببعض مخلوقاته ، بل هو شهيد على العباد بأعمالهم كما قال :

( ... ثم الله شهيد على مايفعلون )[1]

---

(١) سورة يونس / آية ٤٦ .

ولفظ النص : " وتنصت الأرض ، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهداً "

وهذا كما فى التوراة : "إن موسى لما خاطب بني اسرائيل ، أشهد عليهم ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان يقول لأمته لما بلغ الناس يقول : "ألا هل بلغت ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : اللهم أشهد".

وحينئذ فليس فى هذا تعرض لكون المسيح هو الله ، وقد يقال أيضاً : ليس فيه أن المراد بلفظ الرب هنا هو الله ، ولفظ الرب يراد به السيد المطاع ، وقد غاير بين اللفظين ، فقال : هناك إنه سيسكن الله مع الناس ، فقال : فيكون الرب عليها شاهداً ، والأنبياء يشهدون على أممهم ، كما قال المسيح عليه السلام : ( وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم . )(١)

...... وحينئذ فيكون الرب الشهيد هو المسيح الذى هو الناسوت، وهو الذى جاء من بيت المقدس ، وخرج من موضعه ، ونزل ووطئ على الأرض من أجل خطيئة بني يعقوب ، فإنهم لما أخطأوا وبدلوا أرسل الله اليهم المسيح عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده وطاعته ، فمن آمن به كان سعيداً مستحقا للثواب ، ومن كفر به كان شقيا مستحقا للعذاب."(٢)

---

(١) سورة المائدة آية ١١٧ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / ابن تيمية جـ٢ ص١٩٦/١٩٨ .

٥ - واستدل النصارى على الحلول في عيسى بقول ميخا النبي :

" وأنت يا بيت لحم قرية يهودا بيت أقرانا منك ، يخرج لي رئيس الذى يرعى شعبي اسرائيل ، وهو من قبل أن تكون الدنيا ، لكنه لا يظهر إلا في الأيام التي تلده فيها الوالدة وسلطانه من أقاصي الأرض الى أقاصيها " (١)

ومعنى ذلك - عندهم - أنه لا يمكن أن يوصف المسيح بأنه قديم أزلي - كما يزعمون - إلا لأنه إلهي حلّ اللاهوت في ناسوته واتحد به ، فاللاهوت قديم وإن لم يظهر ناسوت المسيح إلا بعد ولادته .

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بأن : " عامة ما يذكرونه عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حجة عليهم لا لهم ، كما ذكروه عن المسيح عليه السلام في أمر التثليث * ، فإنه حجة عليهم لا لهم ، وهكذا إذا تأملنا عامة ما يحتج به أهل البدع والضلالة من كلام الأنبياء فإنه إذا تدبر حق التدبر وجد حجة عليهم لا لهم ، فإن كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هدى وبيان ، وهم معصومون لا يتكلمون بباطل . فمن احتج بكلامهم على باطل ، فلابد أن يكون في كلامهم ما يبيّن أنهم أرادوا الحق لا الباطل ، وهذا مثل قوله في هذه النبوة :

" منك يخرج لي رئيس " فهذا صريح في أن هذا الذى يخرج هو رئيس الله ليس هو الله ، بل هو رئيس له كسائر الرؤساء الذين لله وهم الرسل

---

(١) سفر ميخا ٥ : ٢ : ٤ .

* سيأتي الكلام عن التثليث في الفصل الرابع من هذا الباب .

والأنبياء المطاعون مثل : داود وموسى وغيرهما . ولهذا قال : "الذى يرعى شعبى اسرائيل " ولوكان هو، لكان هو راعى شعب نفسه ، وأما قوله : " وهو من قبل أن تكون الدنيا " فهذا مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ميسرة الفجر* ، وقد قيل له : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : ( وآدم بين الروح والجسد . ) وفى لفظ : متى كتبت نبيا ؟ قال : ( وآدم بين الروح والجسد ) .(١) وفى مسند الامام أحمد عن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( انى عند الله لمكتوب خاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول أمرى دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ، ورؤيا أمى رأت حين ولدتنى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام . )(٢)

فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه كان نبيا ، وكتب نبيا وآدم بين الروح والجسد ، وأنه مكتوب عند الله خاتم النبيين وآدم منجدل فى طينته ومراده صلى الله عليه وسلم ان الله كتب نبوته ، وأظهرها وذكر اسمه ، ولهذا جعل ذلك فى ذلك الوقت بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه ، كما يكتب رزق المولود وأجله وعمله ، وشقى هو أو سعيد بعد خلق جسده ، وقبل نفخ الروح فيه .

---

(١) أنظر مسند الامام أحمد الجزء ٥ ص ٥٩ وكذلك جـ ٥ ص ٣٧٩ ، جـ ٤ ص ٦٦ .

(٢) جـ ٤ ص ١٢٧ .

* اسمه عبد الله بن أبي الجدعاء ، وميسرة لقب له ، وهو من أعراب البصرة . انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة / تأليف ابن الأثير المجلد الرابع صفحة ٤٢٦ .

وكذلك قول القائل فى المسيح عليه السلام: "وهو من قبل أن تكون الدنيا"، فإنه مكتوب مذكور" من قبل أن تكون الدنيا"، فإنه قد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء . )[1]

وفى صحيح البخارى عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

( كان الله، ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شئ ، وخلق السموات والأرض )[2] وهو قد قال : ( قبل أن تكون الدنيا ) أى قبل الخلق مطلقا فلا يصح أن ننسب وجود الله الى الخلق .

ولم يقل : إنه كان قديما أزليا مع أن الله لم يزل كما يقول النصارى : انه صفة الله الأزلية بل وقت ذلك بقوله : " قبل أن تكون الدنيا " ولا يحسن أن يقال فى رب العالمين كان قبل أن تكون الدنيا ، فانه سبحانه قديم أزلي ، ولا ابتداء لوجوده ، فلا يوقت بهذا المبدأ ، ولاسيما إن أريد بكون الدنيا عمارتها بآدم وذريته ، فإن الدنيا قد لا تدخل فيها السموات والأرض ، بل يجعل من الآخرة وأرواح المؤمنين فى الجنة فى السموات ، ويراد بالدنيا : الحياة الدنيا أو الدار الدنيا . ولهذا قال : " لكنه لا يظهر إلا فى الأيام التى تلد فيها الوالدة ، كما يظهر

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٤٤ / كتاب القدر / باب حجاج آدم وموسى صلى الله تعالى عليهما وسلم . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) جـ ٤ ص ١٢٨ / ١٢٩ كتاب بدء الخلق .

غيره من الانبياء بعد أن تلده أمه . "

والوالدة انما ولدت الناسوت ، وأما اللاهوت فهو عندهم مولود من الله ، القديم الأزلي ، واذا قالوا : هي ولدت اللاهوت مع الناسوت ، كان هذا معلوم الفساد من وجوه كثيرة ... " (١)

فالمقصود هنا أنّ الكلام الذى وصف به المسيح ، امّا وصفه به الأنبياء قبله ، أو أخبر به عن نفسه ، موجود مثله في حق غيره ، ولم يكن أحدهم بذلك لاهوتا وناسوتا ، ولا اتحد اللاهوت بالناسوت ، ولا استحقّ أحدهم أن يعبد ، ويصلى له ، ويسجد ، ويدعى كما يدعى الله ، ويضاف اليه ما يضاف الى الله من الخلق ، والبعث والثواب والعقاب . وليس للمسيح صلوات الله عليه آية خارقة الاّ ولغيره مثلها ، وأعظم منها . ولا قيل فيه كلمة الاّ قيل في غيره مثلها ، وأعظم منها ، الاّ ماخصّه فيه القرآن . " (٢)

٦ - واحتجّ النصارى على حلول اللاهوت في المسيح ، بقول النبي في سفر حبقوق :

" انّ الله في الارض يترآى ، ويختلط مع الناس ، ويمشي معهم . " (٣)

كما يحتجّون بقول أرميا ء النبي أيضا في ذلك : " الله بعد هذا في الارض يظهر ويتقلّب مع البشر ، فيقول : أنا الله ربّ الارباب . " (٤)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح / جـ٢ ص ٩٨ : ٢٠٠ بتصرّف قليل .
وسوف نعرض لهذه الوجوه التي يشير اليها ابن تيمية في الفقرات التالية .

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح /جـ٢ ص ٢٠٤ : ٢٠٥

(٣) انظر الاصحاح الأول فقرة ١٢-١٣ ، وكذلك الاصحاح الثاني فقرة ١-٣ .

(٤) الاصحاح الثلاثون فقرة ٢١-٢٢ .

ومعنى هذا أنّ الذى تراّى للناس ، ومشى بينهم ، وتقلّب بين ظهرانيهم باسم المسيح ، ليس جسدا مجردا من اللاهوتية ، بل انما الذى فعل ذلك هو الله ، بعد حلوله - في زعمهم - في شخص المسيح ، ولهذا أسندت اليه كل الأفعال التي قام بها المسيح بهذا الاعتبار .

ويجيب ابن تيمية على ذلك بأنّ " هذا يحتاج الى تثبيت نبوة هذين النبيين ، والى ثبوت النقل عنهما ، وثبوت الترجمة الصحيحة المطابقة ، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره . ففي التوراة ما هو من هذا الجنس ، ولم يدلّ ذلك باتفاق المسلمين ، واليهود والنصارى على أنّ الله حلّ في موسى ، ولا في غيره من أنبياء بني اسرائيل ، بل قوله : " يتراّى " هو بمنزلة يتجلى ، ويظهر . وقد ذكر في التوراة أنّه تجلّى ، وتراّى لابراهيم ، وغيره من الأنبياء -عليهم السلام - من غير أن تكون ذاته حلّت بأحد منهم ...

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول الله : (( عبدى ، مرضت فلم تعدنى ، فيقول العبد : يارب ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول : أما علمت أنّ عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما لو عدته لوجدتني عنده ؟ عبدى ، جعت فلم تطعمني ، فيقول : ياربّ ، كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول : أما علمت أنّ عبدى فلانا جاع ، فلو اطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ عبدى ، عطشت فلم تسقني ، فيقول : ربّ كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين ؟ فيقول : أما علمت أنّ عبدى

استسقاك فلم تسقه أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي )[١]. فجعل جوع عبده جوعه ، ومرضه مرضه ، لأن العبد موافق لله فيما يحبه ويرضاه ويأمر به وينهى عنه ، وقد عرف أن الرب نفسه لا يجوع ولا يمرض .

ومعلوم أن وصفه بالجوع والمرض أبعد من وصفه بالمشي بين النّاس والاختلاط بهم ، ولهذا نظائر كثيرة موجودة في كلام الأنبياء وغير الأنبياء من الخاصة والعامة ، ولا يفهم عاقل من ذلك أن ذات المذكور اتّحدت بالآخر ، أو حلت فيه إلا من هو جاهل كالنصارى . . . فما قيل في المسيح عليه السلام وأمثاله من هذا فهو حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا . . وإذا كان مثل هذا الكلام كثيرا موجودا في كلام الأنبياء وغيرهم ، بل هو المعروف في كلامهم ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء أنه جعل ذات الله في قلب أحد من البشر علم أن النصارى تركوا المحكم من كلام الأنبياء عليهم السلام ، وتمسكوا بالمتشابه . كأمثالهم من الضّلال ، فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب ، المذكور بالألسن ، بالموجود في نفسه ، فظنوا أن نفس المثال العلميّ هو الوجود العيني ، كما يظن ذلك كثير من الغالطين ، وهؤلاء يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى ، ولا يفرقون بين حلول الايمان والمعرفة والمثال العلميّ في القلب وبين حلول الذات المعلومة المحبوبة . . . وهذا الذي ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بأن المراد ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهداه وروحه ، هو ما يفسر به ذلك كثير من علماء

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب / باب فضل عيادة المريض ج ٤ ص ١٩٩٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

النصارى ، فانهم يفسرون اتحاد اللاهوت والناسوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في الشمع والطين .

ومعلوم أن الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن في الشمع والطين شيئا من الخاتم ، بل ظهر فيه نقش الخاتم .

وكذلك يظهر نور الله وروحه في الأنبياء والصالحين ، وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام ، بل يشترك فيه سائر الرسل ، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب ايمانه" [١]

٧ - واحتج النصارى بما نقلوه عن أشعياء النبي من قوله : " ها هي العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعى اسمه عمانويل " [٢]

وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربي "الهنا معنا" .

ومعنى ذلك - عندهم - أن أشعياء قد شهد بهذا الكلام على أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما . [٣]

وأجاب ابن تيمية عن ذلك ، فقال :

" ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، وأنها ولدت خالق السموات والأرض ، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض ، فانه قال : تلد ابنا ، وهذا نكرة

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٠٠ / ٢١١ بتصرف كثير .

(٢) في الاصحاح السابع فقرة ٤ .

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٢١١ .

في الاثبات كما يقال في سائر النساء : إن فلانة ولدت ابنا ، وهـــذا دليل على أنه نبي من النبيين ليس هو خالق السموات والأرضـــين .

ثم قال : ويدعى اسمه "عمانويل" فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ، ويسمى به كما يسمي الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التي يسمونهم بهـــا .

ومن تلك الأسماء مايكون مرتجلا ارتجلوه .

ومنها مايكون جملة يحكونها ، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمي ابنـــه عمانويل ، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ، ويذكـــرون في ذلك قصة جرت .

ومنهم من يقول : بل المراد بها مريم ، وعلى هذا التقدير فيكون المـــراد أحد معنيين :-

إما أنه يريد أن إلهنا معنا بالنصر والاعانة ، فإن بني اسرائيـــل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحـــق كان الله مع من اتبع المسيح ، والمسيح نفسه لم يبق معهم ، بل رفـــع إلى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة .

كما قال تعالى : ( فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين )[1]

وقال تعالى : ( وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة )[2]

وهذا أظهر .

---

(١) سورة الصف / آية ١٤ .

(٢) آل عمران آية ٥٥ .

وأما أن يكون يسمى المسيح إلٰها ، كما يقولون : إنه يسمى موسى اله فرعون ، أى هو الآمر الناهى له المسلط عليه ، وقد حرّف بعضهم معنى هذه الكلمة . فقال : معناها : الله معنا ، فقال من ردّ عليهم من علمائهم : يقال لهم : أهذا هو القائل ؟ : أنا الرب ولا اله غيرى ، وأنا أميت وأنا أحيي ، أم هو القائل لله : إنك أنت الاله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح ؟ وإذا كان الأول باطلا والثانى هو الذى شهد به الانجيل ، وجب تصديق الانجيل ، وتكذيب من كتب فى الانجيل أن "عمانويل" تأويله "الله معنا" بل تأويل عمانويل "معنا اله" وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم ، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى وهذا موجود فى عصرنا هذا فى أهل الكتاب من سماه ، أبوه عمانويل معنى "شريف القدر" ، قال : وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل ، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين ، والمحسنين ، والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ، ويقال للرجل فى الدعاء : الله معك ، فإذا سمى الرجل بقوله : "الله معك" كان هذا تبركاً بمعنى هذا الاسم ، وإذا قيل : ان المسيح سمى "الله معنا" ، أو "الهنا معنا" ونحو ذلك كان ذلك دليلا على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به ، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه ."[1]

٨ - واحتج النصارى كذلك بما قاله أشعيا النبى : "... أيضا يخرج عصاه من بيت يسّى ، وينبت أورستها ، ويحل فيه روح القدس ، وروح الله ،

---

(1) الجواب الصحيح / جـ٢ ص٢١٢-٢١٣ .

روح الحكمة والفهم ، روح الحيل والقوة ، روح العلم وخوف الله . وفي تلك الأيام يكون أصل يسّى آية للأمم ، وبه يؤمنون ، وعليه يتوكلون ، ويكون لهم النتاج والكرامة الى دهر الداهرين "(١)

وفي هذا الكلام تصريح بحلول روح القدس روح الله روح العلم والحكمة ... الخ كما يقولون في المسيح، فعقيدة الحلول في نظرهم قائمة على نصوص صريحة وليس على معان مستنبطة من كتابهم المقدّس .

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك بقوله : "ان هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن النبي ، وصحة الترجمة له باللسان العربي هو حجة على النصارى لا لهم ، فانه لا يدل على أن المسيح هو خالق السموات والأرض ، بل يدل على مثل ما دلّ عليه القرآن ، من أن المسيح عليه السلام أُيّد بروح القدس ، فانه قال :

" ويحل فيه روح القدس ، وروح الله ، روح الحكمة والفهم ، روح الحيل والقوة ، روح العلم وخوف الله ." . ولم يقل تحلّ فيه حياة الله فضلا عن أن يقول حلّ فيه الله أو اتحد به ؛ ... "(٢)

٩ - واحتج النصارى بما نقلوه عن أشعيا أيضا من قوله : " من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر "(٣)

---

(١) الاصحاح ١١ فقرة ١ - ٢

(٢) الجواب الصحيح / ج٢ ص٢١٤ / ٢١٥ .

(٣) بحثت عنه في سفر اشعياء فلم أجده حرفيا وربما يكون ما هو موجود في هذا السفر ٩ : ٦ مما يشير الى نفس المعنى .

وفي هذا تعبير عن المسيح المولود من مريم بأنه رب الملائكة ، وما ذلك إلّا لحلول اللاهوت فيه واتحاده به . أي أن مريم لم تلد جسدا انسانيا فقط ، ولكنها ولدت إلٰها بهذا الحلول والاتحاد ـ كما يزعمون ـ.

ويجيب ابن تيمية عن ذلك بقوله : " مثل هذا الكلام لا بدّ أن يكون قبله كلام وبعده كلام ، وهو منقول من لغة الى لغة ، ونحن نعلم قطعا أنه لم يرد أن رب العالمين يولد من البشر ، ولو أراد ذلك ، لم يقل رب الملائكة فقط ، فإن الله رب كل شئ ، لكن قد يريد : أنه يولد من البشر من يكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه ، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم . والنصارى يسلمون أن اللاهوت ما هو متولد من البشر ، وانما المتولد من البشر هو الناسوت ، وليس هو رب العالمين بالاتفاق ، فعلم أنه لا حجة لهم في ظاهر اللفظ إن قدر سلامته من التغيير .

ونظير هذا ما عندهم في انجيل متى : " أن ابن الانسان يرسل ملائكته ، ويجمعون كل الملوك ربا على الأمم فيلقونهم في أتون النار ." [1].

قال بعض علماء أهل الكتاب : لم يرد بذلك أن المسيح هو رب الأرباب ، ولا أنه خالق الملائكة ، بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل : " إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك " [2]

---

١٣ : ٤١ ، ٤٢ ونصه : " يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر ، وفاعلي الاثم ، ويطرحونهم في أتون النار . "

مزامير داود / مزمور ٩١ : ١١ ، ١٢

ثم شهادة " لوقا " أن الله أرسل له ملكا من السماء ليقويه ، قال :

" وإذا شهد الانجيل باتفاق الأنبياء والرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه ، علم أن الملائكة تطيع المسيح بالأمر ، وهو والملائكة في خدمة رب العالمين . وقال المسيح لتلاميذه :

" من قبلكم فقد قبلني ، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني "(١)

وقال المسيح : " من أنكرني قدام الناس أنكرته قدام ملائكة الله " وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة : " أغمد سيفك ، ولا تظن أني لا أستطيع أن أدعو الله الأب فيقدم لي أكثر من اثني عشر جوقا من الملائكة . "(٢)

هذه هي ردود ابن تيمية على ما ذكره من شبهات النصارى التي نقلوها من أسفار العهد القديم ، زاعمين أنها تدل على عقيدتهم في حلول اللاهوت في ناسوت المسيح . وقد أظهرت ردود ابن تيمية بما لا مجال بعده لبيان كيف أن استشهاداتهم بهذه النصوص استشهادات باطلة ، حمّلوا فيها أسفار العهد القديم ما لا تحتمله من الدلالة على تلك العقيدة الباطلة .

---

(١) انجيل متّى ١٠ : ٤٠ .

(٢) انجيل متى ٢٦ : ٥٢ ، ٥٣ . انظر هذه الردود / الجواب الصحيح ج ٢ ص ٢١٦ / ٢١٧ .

ثانيا : إبطال ابن تيمية لاحتجاج النصارى بمعجزات المسيح،وثناء القرآن عليه على حلول اللاهوت فيه واتحاده به :

ذكر ابن تيمية احتجاج النصارى على حلول اللاهوت في المسيح عليه السلام بما أظهره من المعجزات وتعظيم القرآن له فقال :

احتج النصارى على حلول اللاهوت في ناسوت المسيح عليه السلام بمعجزاته التي أظهرها ، وما وجدوه في القرآن الكريم من تعظيم السيد المسيح وأمه ،حيث يقول القرآن في سورة الأنبياء : ( والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين )[1]

وقال في سورة آل عمران : ( وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين )[2]

مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات ، وأنه حملت به أمه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة الله لأمه ، وأنه تكلم في المهد ، وأحيا الميت، وأبرأ الأكمه ، ونقّى الأبرص ،وأنه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيرا باذن الله أي بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت .[3]

وينقل ابن تيمية كذلك عن النصارى احتجاجهم على ماتقدم بقولهم :

( انا وجدنا أيضا في الكتاب أن الله رفعه اليه . وقال في سورة النساء : " وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه )[4]

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩١ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٢ .

(٣) الجواب الصحيح جـ١ ص٢٢٩ / ٢٣٠ .

(٤) سورة النساء آية ١٥٧ / ١٥٨ .

وفي سورة آل عمران : ( إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة )[1]. وقال في سورة البقرة : ( وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)[2]

وقد أجاب عن ذلك ابن تيمية فبيّن أن تعظيم الله للمسيح إنما كان باعتباره بشراً رسولاً ، وان هذا التعظيم لا يقتضي اتحاد اللاهوت به ولا ألوهيته وبيّن كذلك أن معجزاته ليست صادرة عن لاهوت متحد به كما يقولون . فقد صدر ما هو أكثر منها عن غيره من الأنبياء ولم يقل أحد - لا هم ولا غيرهم - أن اللاهوت قد اتحد بهؤلاء الأنبياء .

يقول ابن تيمية في تفصيل جوابه عن شبهات النصارى في هذا المقام :-

"أما تعظيم المسيح وأمه فهو حق ، وكذلك مدح مَنْ كان على دينه الذي لم يبدل قبل أن انبعث محمد صلى الله عليه وسلم أو بقي على ذلك الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به ، فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون ، وكذلك من كان على دين موسى الذي لم يبدل إلى أن بعث المسيح فآمن به ، فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون ....."[3]

" وأما قولهم : " فكان طيرا بإذن الله أي باذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا إن محمدا أراده ، تكلمنا معهم في ذلك ، وبيّنا فساد ذلك عقلا ونقلا .

وأما قولهم : إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن المراد : إذن اللاهوت

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٨٧ .

(٣) الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٣٠ .

الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت ، فهذا من البهتان الظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو من جنس قولهم: إن قوله : ( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم )[1] أراد به : النصارى ، ومن جنس قولهم : إن قوله : ( ومن يبتغ غير الاسلام دينا )[2] أراد به العرب. ومن جنس قولهم : إن قوله : ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات )[3] أراد بهم : الحواريون . ومن جنس قولهم : إن قوله : ( الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين )[4] أراد به : الانجيل - كما ذكرنا سابقا -[5]

فهذه المواضع التى فسروا بها القرآن وزعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم الذى بيّن للناس ما أنزل إليهم كان يريد بها مايتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها وهي من الكذب الظاهر الذى يدل على غاية جهل قائلها ،أو غاية معاندته ، ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى ، فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والانجيل والزبور والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرفوا فيها الكلام الذى جاء به الأنبياء عن مواضعه تحريفا ظاهرا ، فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله ، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدّلوا وإن اختلفت جهة التحريف والتبديل ،فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والانجيل ، وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ،لكن

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦ ، ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٣) سورة الحديد آية ٢٥ .

(٤) سورة البقرة آية ١ ، ٢ .

(٥) انظر ص ١٤ من هذه الرسالة .

في هذه المواضع حرفوا المحكم الذى معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحداً ، فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه ، وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : "إن المسيح عند الله مخلوق كسائر المرسلين ، وأنه يكفّر النصارى الذين يقولون : هو الله وابن الله .

قال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير )(١)

وقال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، وقال المسيح يابنى اسرائيل ،اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح بن مريم إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفكون . قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل )(٢)

---

(١) سورة المائدة آية ١٧ .

(٢) سورة المائدة آية ٧٢-٧٧ .

فقد ذكر كفر النصارى في قولهم : " هو الله " مرتين ، وذكر أنه ليس المسيح إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل ، فغايته الرسالة ، وغاية أمه أن تكون صديقة ، ودل بهذا أنها ليست نبيّة ، ثم قال : "كانا يأكلان الطعام " وهذا من أظهر الصفات النافية للالهية لحاجة الآكل إلى مايدخل في جوفه ، ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات . والرب تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

والنصارى تقول : إنه يلد ، وانه يولد ، وان له كفواً . . . وقد أخبر القرآن بعبودية المسيح في غير موضع كقوله تعالى : ( ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ، وقالوا ءآلهتنا خير أم هو؟ ماضربوه لك إلّا جدلا بل هم قوم خصمون ، إن هو إلّا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل )[1]

وأخبر تعالى أن أول شئ نطق به المسيح قوله : ( إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا )[2]

وقال تعالى : ( وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟ قال : سبحانك ، مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علّام الغيوب . ماقلت لهم إلّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد )[3]

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٧-٥٩ .

(٢) سورة مريم آية ٣٠ .

(٣) سورة المائدة آية ١١٦/١١٧ .

وقال تعالى : ( ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا )[1]

فإذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم وبالنقل المتواتر عنه ، وبإجماع أمته إجماعا يستندون فيه إلى النقل عنه وبكتابه المنزل عليه ، وسنته المعروفة عنه ، أنه كان يقول : ان المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلا رسول ، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون : هو الله وهو ابن الله ، والذين يقولون ثالث ثلاثة وأمثال ذلك ، كان -بعد- هذا تفسيرهم لقول الله الذي بلّغه نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون طيراً باذن الله أي باذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة بالناسوت ، كذبا ظاهرا على محمد صلى الله عليه وسلم .....

وان قدّر أن ما قالوه يكون ممكناً معقولاً ، فكيف اذا كان ممتنعا في صرائح العقول؟ بل هو قول غير معقول ومتناقض وفاسد وممتنع ثبوته في الخارج ...."[2]

أما ما شاهدوه من معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام فقد شاهدوا من غيره ما هو مثلها وأعظم منها ، وقد أحيا غيره الميت ، وأخبر بالغيوب أكثر منه ، ومعجزات موسى أعظم من معجزاته وأكثر ، وظهور المعجزات على يديه يدل على نبوته ورسالته ، كما دلت المعجزات على نبوة غيره ورسالتهم ، ولا تدل على الالهية .

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١ .

(٢) الجواب الصحيح جـ١ ص٢٤٨ / ٢٥١ بتصرف قليل .

والدجال لما ادعى الالهية لم يكن مايظهر على يديه من الخوارق دليلا عليهـــا ، لأن دعوى الالهية ممتنعة ، فلايكون في ظهور العجائب مايدل على الأمر الممتنع[1].

" ... ومعلوم أن المسيح نفسه لم تكن له آيات مثل آيات موسى ...

فإن أعظم آيات المسيح عليه السلام احياء الموتى ، وهذه الآية قد شاركه فيهـــا غيره من الأنبياء كإلياس وغيره . وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيـــح أحيا الله على يديه الموتى ، وموسى بن عمران،من جملة آياته العصا التي انقلبـــت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة ، وكان غير مـــرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا . ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيـــره وهي أعظم من احياء الموتى ، فإن الانسان إذا كانت فيه الحياة فإذا عـــاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول ، والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهـــم ، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا .

وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي ، فهذا أعجب من حياة الميت .

وأيضا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني اسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح . قال تعالى : ( وإذ قلتم ياموسى لن نؤمـــن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكـــم لعلكم تشكرون . )[2]

وقال تعالى : ( فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى )[3]

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص١٨٦ .

(٢) سورة البقرة /آية ٥٥/٥٦ .

(٣) سورة البقرة آية ٧٣ .

وقال تعالى : ( ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ) (١) .

وأيضا : فموسى عليه الصلاة والسلام كان يخرج يده بيضاء من غير سوء ، وهذا أعظم من ابراء البرص الذى فعله المسيح ، فإن البرص مرض معتاد ، وانما العجب الابراء منه ، وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها الى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير .

وأيضا فموسى فلق الله له البحر ، حتى عبر فيه بنو إسرائيل ، وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ، ومن إهلاك الله لعدو موسى مالم يكن مثله للمسيح . وأيضا : فقوم موسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني اسرائيل ، ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم . وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة ، ومن قلب الماء خمرا ، ونحو ذلك مما يحكي عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وكان لموسى في عدوه من القمل والضفادع والدم وسائر الآيات مالم يكن مثله للمسيح ... ولو كان المسيح هو اللاهوت الذى كلّم موسى لكان يظهر قدرته أعظم مما أظهره على يد موسى ، فإنه لم يحل في بدن موسى ، ولا كان اللاهوت يكلم الخلق من موسى ، كما يزعمه هؤلاء في المسيح . ومع هذا فالآيات التى أيّد بها عبده موسى تلك الآيات العظيمة ، فكيف تكون آياته إذا كان هو نفسه الذى قد حلّ في بدن المسيح ، وهو الذى يخاطب الناس على لسان المسيح .» (٢)

---

(١) سورة البقرة /آية ٢٤٣ .

(٢) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٧٣/٢٧٥ .

ثالثا : إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد لتناقضها مع العقيدة الصحيحة في الله :

يقول النصارى: إن الاله "اتحد بالمسيح ، وأنه صعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وأن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه ، بل لما صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب كان الصاعد هو المسيح الذي هو ناسوت ولاهوت اله تام وانسان تام ، وانهم لا يقولون : إن الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت ."(١)

ويستدل ابن تيمية على بطلان هذه العقيدة بما تستلزمه من التبعيض والتجزؤ ، في حق الله ، بينما ينفون التبعيض والتجزؤ عن الله.فكل صور اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح متناقضة في نفسها ومناقضة للعقيدة الصحيحة في الله عز وجل .

ويقول ابن تيمية بيانا لذلك : "أي تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا ، وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال : إن له معنى لا نفهمه ، بل هو من كلام أكابرهم الذين وضعوه وجعلوه عقيدة ايمانهم ، فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلونه ، فهم جهال لا يجوز أن يتّبعوا ، وان كانوا يعقلون ما قالوه فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت المجرد عن الاتحاد ، إلا أن هذا اللاهوت المجرد، منفصل مباين للاهوت المتحد ، وليس هو متصلا به ، بل غايته أن يكون مماسا له ، بل يجب أن يكون الذي يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به ، فهذا حقيقة التبعيض والتجزئة مع انفصال أحد البعضين عن الآخر.

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية جـ٢ ص١٥٦ .

وأيضا فيقال لهم : المتحد بالمسيح ، أهو ذات ربّ العالمين ، أم صفة من صفاته ؟ فان كان هو ذات الرب ، فهو الأب نفسه ، ويكون المسيح هو الأب نفسه ، وهذا مما اتفق النصارى على بطلانه ، فانهم يقولون : هو الله ، وهو ابن الله ، كما حكى الله عنهم . ولا يقولون هو الأب والابن ، والأب عندهم هو الله . وهذا من عظيم تناقضهم .

وان قالوا المتحد بالمسيح صفة الربّ ، فصفة الربّ لا تفارقه ، ولا يمكن اتحادها ولا حلولها في شيء دون الذات .

وأيضا ، فالصفة نفسها ليست هي الاله الخالق ربّ العالمين ، بل هي صفة ، ولا يقول عاقل انّ كلام الله ، أو علم الله ، أو حياة الله هي ربّ العالمين الذى خلق السموات والارض . فلو قدّر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله ، ولم يكن هو ربّ العالمين ، ولا خالق السموات والأرض ...

وان قالوا: المتحد به بعض ذلك دون بعض ، فقد قالوا بالتبعيض ، والتجزئة . فهم بين أمرين : امّا بطلان مذهبهم ، وامّا اعترافهم بالتبعيض ، والتجزئة مع بطلانه ...

وهم يقولون : انّ المسيح اله خلق السموات والأرض ، لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كل الدهور ، المساوي للأب في الجوهر . وهذا كلّه نعت عين قائمة بنفسها ، كالجواهر القائمة بنفسها ، لا نعت صفات قائمة بغيرها ، واذا كان كذلك ، فالتبعيض والتجزئة لازمة لقولهم . فان القول بالولادة الطبيعية مستلزم لأن يكون خرج منه جزء ....

وأمّا هذا المعنى الذى يثبته مَنْ يثبته من علماء النصارى ، ويسمّونه ولادة وبنوّة ، فيسمون الصفة القديمة الازلية القائمة بالموصوف ابنا ، ويسمّونها تارة النطق بالكلمة ، وتارة : العلم ، وتارة الحكمة . ويقولون : هذا مولود من الله ،

وابن الله . فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم ، ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى ، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى ... فقولهم متناقض في نفسه مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين"(١)

إن القول بحلول الاله في عيسى معناه : أنه قد تنزّل ليخاطب بنفسه عوام اليهود والنصارى بلسان عيسى، ومخاطبة الله بنفسه لأحد خلقه فيها من التكريم لذلك المخلوق ما فيها ، فإذا جاز هذا كان الأنبياء والصالحون أولى بهذا التكريم ، حيث يخاطبهم الله بنفسه بعد أن يحلّ في كبار الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام ، لو جاز هذا الحلول ، لكنه سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك ، لأن الحلول أمر غير جائز ، وعقيدة باطلة .

يقول ابن تيمية : "إنه من المعلوم أن الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح أفضل من عوام النصارى الذين كانوا بعد المسيح ، وأفضل من اليهود الذين كذبوا المسيح . فإذا كان الرب قد يتفضل باتحاده في المسيح حتى كلّم عباده بنفسه فيتحد بالمسيح محتجبا ببدنه الكثيف ، وكلّم بنفسه اليهود المكذبين للمسيح ، وعوام النصارى ، وسائر من كلمه المسيح فكان أن يكلم من هم أفضل من هؤلاء من الأنبياء والصالحين بنفسه أولى وأحرى ، مثل أن يتحد بابراهيم الخليل ، فيكلم اسحاق ويعقوب ولوط محتجبا ببدن الخليل ، أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده ، أو غيرهم محتجبا ببدن يعقوب ، أو يتحد بموسى بن عمران فيكلم هارون ويوشع ابن نون وغيرهما محتجبا ببدن موسى . فإذا كان هو سبحانه لم يفعل ذلك إما لامتناع ذلك ، وإما لأن عزته وحكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة إلى ذلك ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص١٥٦ / ١٦٠ بتصرف .

علم أنه لايفعل ذلك في المسيح بطريق الأولى والأحرى . "(١)

انّ الاحتجاج على عقيدة الحلول بأنها انما صحت لكون الحلول الالهي في أجلّ مخلوقات الله ، وهو المسيح عليه السلام - انّ الاحتجاج بهذه الحجة لا قيمة له ، فمهما بلغ المخلوق من الكمال ، والجلال ، فهو مجرّد مخلوق ، وشتان في النسبة بين الخالق والمخلوق . بحيث لا يمكن أن يحلّ الخالق في المخلوق . فالحلول يتنافى مع العقيدة الصحيحة في كمال الخالق ، وجلاله .

ثمّ انّ دعوى النصارى : أنّ المسيح هو أجلّ المخلوقات ، وأنّ الله حلّ فيه لذلك ، مجرد دعوى بلا دليل . فهناك من الأنبياء من هو أجلّ منه قدرا ، وأقرب منه درجة ، كابراهيم ، ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومع ذلك لا يقول أحد بحلول الله فيهما .

وفي هذا المقام يخاطب ابن تيمية النصارى قائلا :

" ان أردتم بقولكم : " ظهر في عيسى " ، حلول ذاته ، واتحاده بالمسيح ، أو غيره ، فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ، ولا متأخر ، وكون الانسان أجلّ ما خلقه الله لو كان مناسبا لحلوله فيه ، أمر لا يختصّ به المسيح ، بل قد قام الدليل على أنّ غير عيسى - عليه السلام - أفضل منه مثل : محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام . وهذان اتخذهما الله خليلين ، وليس فوق الخلة مرتبة ، فلو كان يحلّ في أجلّ ما خلقه الله من الانسان ، لكونه أجلّ مخلوقاته ، لحلّ في أجلّ هذا النوع ، وهو الخليل ومحمد صلى الله عليهما وسلم . "(٢)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٢) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٨٥ .

رابعـا :ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى في الحلول والاتحاد لما تستلزمه من المحالات العقلية :

يستدل ابن تيمية على بطلان عقيدة المسيحيين في الحلول والاتحاد بما يرتّبه على هذه العقيدة من استلزامها للنقائض والمحالات العقلية ، فالنصارى يبررون ظهور اللاهوت باعتباره موجودا روحانيا لطيفا في الناسوت ، وهو موجود كثيف ـ يبررون ذلك بما يرونه من " أنّه لا يرى شئ من لطيف الخلق الاّ في غليظ الخلق ، ولا يرى ما هو ألطف من اللطيف الاّ مع ما هو أغلظ منه . " (١)
واذا كان ذلك القول يعبر في نظرهم عن حقيقة واقعة في الوجود ، حيث يتمثّل العالم الروحاني في مظاهر مادية ، ويحلّ فيها حتى يرى ، فهم يفسّرون بذلك ظهور اللاهوت في ناسوت المسيح ، ورؤية الناس له في ذلك الناسوت باعتبار اللاهوت موجودا لطيفا ، مجردا ، فلا يمكن أن يرى الاّ في ناسوت كثيف يحلّ هو فيهم .

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك ، فردّ عليهم مبينا أنّ ذلك القول يصبح لغواً لا معنى له ان قالوا بأنّ الناس انما رأوا المسيح دون الاله الذى حلّ فيه . أمّا إن قالوا : بانّ الذى رأى المسيح فقد رأى الله الذى حلّ فيه ، فإنّ هذه الرؤية المزعومة باطلة حسّا وشرعا وعقلا .

يقول ابن تيمية ردّاً على النصارى في قولهم باتحاد اللاهوت بناسوت المسيح باعتباره ظهورا للموجود اللطيف في المخلوق الكثيف ، يقول ردّا عليهم في ذلك :

" امّا أن يكون الله لما اتحد بالمسيح عندكم قد رآه الناس ، وعاينوه أو لم يروه أحد ، فإن قلتم قد رآه الناس وعاينوه فهذا مخالف للحسّ ، والشرع ، والعقل . أمّا الحسّ:

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح /جـ ٣ ص ٦٥ .

فانّ أحدا ممن رأى المسيح لم ير شيئا يتميّز به المسيح عن غيره من البشر، غير العجائب التي ظهر على غيره منها ما هو أعظم مما ظهر عليه ، ولم ير الّا بدن المسيح الظاهر ، لم ير باطنه ، ولا قلبه ، ولا كبده ، ولا طحاله ، فضلا عن أن يرى روحه ، فضلا عن أن يرى الملائكة الذين يوحون اليه ، فضلا عن أن يرى الله ، ان قدّر أنّه كان متحدا به أو حالا فيه .
فدعوى المدعى أنّ من رأى المسيح ، فقد رأى الله عيانا ببصره ، في غاية المباهتة ، والمكابرة ، والكذب . . .

أمّا الشرع : فموسى والمسيح ، وغيرهما من الانبياء ، أخبروا أنّ أحدا لا يرى الله في الدنيا .
وأمّا العقل : فانّ رؤية بعض ملائكة الله أو بعض الجنّ يظهر لرائيهما من الدلائل ، والاحوال ، ما يطول وصفه ، فكيف بمن رأى الله ؟! والذين رأوا المسيح لم يكن حالهم الّا كحال سائر من رأى الرسل ، منهم الكافر به ، والمكذب له ، ومنهم المؤمن به ، المصدّق له ، بل هم يذكرون من اهانة ناسوته مالا يعرف عن نظرائه من الرسل ، مثل ضربه والبصاق في وجهه ، ووضع الشوك على رأسه ، وصلبه ، وغير ذلك .

وأيضا : فمعلوم أن من رأى الله ، امّا أن يعرف أنّه الله ، أو لا يعرف ، فان عرف أنه رأى الله ، كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنّه الله ، ولو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب.
وان كانوا لم يعرفوه ، فهذا في غاية الامتناع ، حيث صار ربّ العالمين لا يميّز بينه وبين غيره من مخلوقاته ، بل يكون كواحد منهم ، ولا يميّز بينه وبينهم ، ولا يعرف الرائي أنّ هذا هو الله .

وإن قالوا : إن الله لم ير لما اتحد بالمسيح ، وإنما رئي جسد المسيح الذى احتجب به الله . فقولهم بعد ذلك : " واعلم أنه لا يرى شئ من لطيف الخلق إلا في غليظ الخلق ، ولا يرى ما هو ألطف من اللطيف إلا مع ما هو أغلظ منه " كلام لا فائدة فيه ، بل كان هذا استدلالا على شئ يعلمون أنه باطل ، إذ كان هذا مثلا ضربوه لله ليبينوا أنه يرى ." (١)

ويفرق ابن تيمية بين تمثل الملائكة الروحانيين في أشخاص بشرية وتلبّس الجن بأجسام بعض الناس - يفرق ابن تيمية بين هذا وبين دعوى النصارى : اتحاد الله بجسد المسيح . فالأول ممكن ، يجوز تصوره ولا استحالة فيه ، أما الثاني فهو مستحيل عقلا لما يترتب عليه من المحال في حق الله عز وجل ، ولأن تصورهم للاتحاد بين اللاهوت والناسوت يختلف عما ذكرناه في حق الملائكة والجن . يقول ابن تيمية :-

" إنا قد عهدنا اللطائف من الملائكة تتصور في صورة بشرية ، ولم نعهد ملكا صار هو والبشر شيئا واحدا .

فإذا لم يجز أن يتحد الملك بالبشر ، فكيف يجوز أن يتحد رب الخلائق كلهم بالبشر؟ قالوا : وقد يحلّ الجنّي في بدن الانسيّ ، ويتكلم على لسانه ، إلا أنهما جوهران ومشيئتان وطبيعتان ، ليس بينهما اتحاد ، لكنه دخل فيه وتكلم على لسانه . والنصارى يقولون : إن رب العالمين اتحد بالبشر . فمنهم من يقول جوهر واحد ، ومنهم من يقول : شخص واحد وأقنوم واحد ، ومنهم من يقول مشيئة واحدة ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ بتصرف .

فلابدّ لكل منهم من نوع واتحاد ، وهذا أبعد من حلول الجنّي في الانسي
فإذا كان مايقولونه ممتنعا في الجن والملائكة ،فكيف برب العالمين ؟ (١)

ومما قاله النصارى تصويرا لاتحاد اللاهوت بناسوت المسيح وبيانا للآثار المختلفة والأفعال المتباينة التي صدرت عن المسيح بناء على مافيه من هاتين الحقيقتين اللاهوتية والناسوتية ـ مما قاله النصارى تصويرا لذلك :

"إن كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شئ تجسمت وتجسدت بإنسان مخلوق ،وهو الذى أخذ من مريم العذراء المصطفاة التي فضلت على نساء العالمين ، واتحدت الكلمة به اتحادا بريا من اختلاط أو تغيّر أو استحالة . . . ففعل المعجز بلاهوته وأظهر العجز بناسوته ، والفعلان هما من المسيح الواحد" (٢)

وابن تيمية بدوره يتناول هذا التصوير لاتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح عليه السلام بالرد والابطال،لما في هذا التصوير من تناقض في نفسه ومناقضة للعقيدة الصحيحة في الله ، ولما يترتب عليه من المحالات الباطلة شرعا وعقلا ، بل يرد عليهم ببيان استحالة مايذهبون اليه من الاتحاد مع عدم التغير ، بل يلزمهم بما ينفونه من تغيّر اللاهوت المتحد بالناسوت .

وبيانا لذلك البطلان يقول ابن تيمية تعقيبا على تصوير النصارى السابق للحلول والاتحاد بالمسيح :" إن في هذا الكلام من أنواع الكذب والكفر والتناقض أمورا كثيرة وذلك يظهر بوجوه :

<u>أولا</u> : إن قولهم كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شئ كلام متناقض،فان الخالق هو الاله الخالق وهو خلق الأشياء بكلامه ، وهو قوله "كن" فالخالق لم تخلق به الأشياء ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص١٢١/١٢٢ .
(٢) " " " " " جـ٢ ص٢٦٦ بتصرف .

بل هو خلقها ، والكلام الذى به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها ، بل به خلق الخالق الأشياء .

والفرق بين الخالق والمخلوق ، وبين ما به خلق الخالق معقول ، وهؤلاء جعلوا الخالق هو الذى به خلقت المخلوقات ، فجعلوا الكلمة هى الخالق ، وجعلوا المخلوقات خلقت بها .

وايضاح هذا : أن الكلمة ان كانت مجرد الصفة ، فان الصفة ليست خالقة ، وان كانت الصفة مع الموصوف فهذا هو الخالق ، ليس هذا هو المخلوق به .

ثانيا : إن قولهم : تجسّمت ، وتجسدت يقتضي أن الكلمة صارت جسدا وجسما فالانسان المخلوق ، وذلك يقتضي انقلابها جسدا وجسما ، وهذا يقتضى استحالتها وتغيّرها ، وهم قالوا :

اتحادا بريئا من تغيّر واستحالة .

ثالثا : قولهم : اتحدت الكلمة به اتحادا بريئا من اختلاط أو تغيّر ، أو استحالة ، كلام متناقض أيضا ، فإن الاتحاد أن يصير الاثنان واحدا ، فيقال : قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرا والناسوت جوهرا آخر ، وإن شئت قلت : كان هذا شيئا وهذا شيئا ، أو هذا عينا قائمة بنفسها ، وهذا عينا قائمة بنفسها ، فبعد الاتحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا ، أو صارا الاثنان واحدا ، فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد ، بل هما متعددان كما كانا متعددين ، وإن كانا قد صارا شيئا واحدا ، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم ، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاد ، وإن كان هذا الذى صار واحدا ليس هو أحدهما ، فلابدّ من تغيّرهما واستحالتهما ،

وإلا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد .
فإذا قيل : اتحد اتحادا بريئا من اختلاط أو تغيّر أو استحالة ، كان هذا
كلاما متناقضا ، ينقض بعضه بعضا ، فإن هذا إنما يكون مع التعدد
والمباينة ، لا مع الاتحاد .

يوضح ذلك : أنه إذا اتحد الماء واللبن ، والماء والخمر ، ونحو ذلك ، كان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثاً ليس ماء محضا ولا لبنا محضا ، بل هو نوع ثالث ، وكل من الماء واللبن قد استحال وتغيّر واختلط ، وأما اتحاد بدون ذلك فغير معقول ... "[1]

ويعلق ابن تيمية على ما نسب إلى اليعاقبة من تصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح عليه السلام وأنهما فيه قد صارا بعد الاتحاد جوهراً واحداً وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وقولهم : "إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا ، كما يختلط الماء واللبن والماء والخمر "[2] - يعلّق ابن تيمية على ما يقوله اليعقوبية من ذلك بقوله :-

"إن هذا القول هو حقيقة الاتحاد ولا يعقل الاتحاد إلا هكذا"[3]
ثم يبطل ابن تيمية هذا التصور للاتحاد بين اللاهوت والناسوت بما يلزمه من النتائج الفاسدة ، فإنه يترتب على هذا القول "ان الذى كان يأكل ويشرب ، ويبول ويتغوط ، والذى ضرب وبصق فى وجهه ووضع الشوك على رأسه هو

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح / جـ٢ ص٢٦٦/٢٦٧ .
(2) المرجع السابق ص٢٦٨ .
(3) المرجع السابق .

رب العالمين "[1] تنزه الله عن ذلك .

واذا كان الاتحاد يؤدي الي هذه النتيجة الباطلة كان باطلا ؛ لأن ما يؤدي الى الباطل فهو باطل .

ويرى ابن تيمية إبطالاً لحلول اللاهوت في ناسوت المسيح عليه السلام ، أن ناسوت المسيح هو من جنس سائر النواسيت والانسان لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا ، كما أخبر بذلك موسى وعيسى ومحمد[2] فإذا لم يستطع أن يراه ، كان أن لا يستطيع الاتصال به ومماسته فضلا عن أن يتحد به أولى وأحرى ."[3]

وكيف يقال : إن اللاهوت حلّ في المسيح ، وخاطب الناس بلسانه مع أن "المسيح عليه السلام كان كل أحد يسمع صوته كصوت سائر الناس لم يتميز عنهم بما يوجب أن يكونوا سمعوا كلام الله ، كما سمعه موسى بن عمران ."[4]

ومما يدل على بطلان القول : بأن اللاهوت تكلم على لسان المسيح :

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٢ ص٢٦٨ .

(٢) من ذلك ما جاء في سفر الخروج ( ٣٣ : ٣٠ ) أن موسى -عليه السلام- طلب أن يرى وجه الله . فأجابه سبحانه : "لا تقدر أن ترى وجهي ؛ لأن الانسان لا يراني ويعيش".
وتؤكد أسفار العهد الجديد هذه الحقيقة ، حيث جاء في انجيل (يوحنا ) ( ١٨:٦ ) : "الله لم يره أحد" وجاء في رسالة بولس الى صديقه تيموثاوس ( ١٦:٦ ) : "الله لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه ...".
وسئل محمد صلى الله عليه وسلم يوما : كيف رأيت ربك ؟ فأجاب : ( نور أنّى أراه ..... )

الأنعام آية ١٠٣ .

(٣) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٦٩ .

(٤) المرجع السابق جـ٢ ص٢٧٠ .

"أن المخاطب للناس إن كان هو مجموع اللاهوت والناسوت فكلامه ( أى المسيح ) صريح فى أنه مخلوق مربوب يدعو ويسأل ، والمجموع ليس بمخلوق يسأل الله ويعبده ، وإن كان هو اللاهوت وحده كما يقتضيه كلامهم هذا فهو أبعد وأبعد ، وإن كان الناسوت وحده فلم يكن اللاهوت مخاطبا للناس من الناسوت كما كلم الله موسى من الشجرة "[1] بزعمهم .

ويقول ابن تيمية :

"إن الرب عز وجل إذا تكلم تكلم بكلام الربوبية فلو كان فى المسيح اللاهوت الذى أرسل موسى وغيره لم يخضع لموسى ولتوراته ويذكر أنه إنما جاء ليكملها ولا لينقضها ، ولا كان يقوم بشرائعها فإن رب العالمين أعظم وأجل من ذلك ، بل لو كان ملكا من الملائكة لم يفعل مثل ذلك ، فكيف برب العالمين ؟

وإذا قالت النصارى : فعل ذلك خوفا من بني اسرائيل ، أو خوفا أن يكذبوه كان عذرهم أقبح من ذنوبهم ، فرب العالمين ممن يخاف سبحانه وتعالى ؟ وموسى لما كان فرعون يكذبه كان يظهر من الآيات مايذل بها فرعون وقومه مع عتوه ، وعتو قومه ، ولم تكن بنو اسرائيل أعتى من فرعون وقومه ، فلو كان هو رب العالمين كان مايؤيد به نفسه من الآيات أعظم مما يؤيد به عبده موسى ."[2]

وأما قول النصارى بأن المسيح عليه السلام - بناء على اتحاد اللاهوت به - فعل المعجز بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته .

فيرد عليهم ابن تيمية بأن " الله فعل من المعجزات ما هو أعظم من المعجزات التى ظهرت على يد المسيح عليه السلام ، ولم يكن متحداً بشئ من البشر ،

---

(١) ابن تيمية الجواب الصحيح / جـ ٢ ص ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) " " " " جـ ٢ ص ٢٧٦-٢٧٧ .

فأي ضرورة به الى أن يتحد بالبشر اذا فعل معجزات دون ذلك ؟ ». (١)

ولا وجه لتفرقة النصارى بين فعل اللاهوت وفعل الناسوت بعدما أصبح في نظرهم شيئاً واحداً ، فالشيء الواحد يصدر عنه أثر واحد لا أثران مختلفان .

وعلى أي نحو كان الاتحاد بين اللاهوت والناسوت ـ كما يزعم النصارى ـ فإنه يترتب على تصوره المحال في حق الله عز وجل ، وكما يقول ابن تيمية : « إن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبل الاتحاد ـ فذلك تعدد وليس باتحاد ، وإن كانا استحالا إلى شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يشبه النصارى بقولهم في الاتحاد ، لزم من ذلك أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ، فإنه لابدّ أن يستحيل وهذا ممتنع على الله يتنزه الله عن ذلك ، لأن الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجوداً ، والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ... » (٢)

فظهر لنا مما سبق أن ما يقتضيه الاتحاد من تركيب البارى مع غيره أو استحالته إلى غيره ، باطل ، ومن ثم يبطل هذا الاتحاد المزعوم .

ثم إنه يبطل كذلك لما يترتب عليه من لزوم الاحتياج في حق الله ـ تعالى عن ذلك ـ وكون قوامه بغيره ، وهو الصمد الذى يصمد إليه كل شيء في حاجته ، ولا يحتاج هو الى غيره ، يقول ابن تيمية : « والرب تعالى غني عن كل ماسواه من كل وجه ، وكل ماسواه فقير اليه من كل وجه ، وهذا من معنى اسمه « الصمد » فإن الصمد الذى يصمد اليه كل شيء ، لافتقاره اليه ، وهو غني عن كل شيء لا يصمد

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٧٧ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص ١٠١ / ١٠٢ ط ١ .

الى شئ ، ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى ، فكيف يكون قوامه بشئ من المخلوقات؟! (١)

والنصارى يرون أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت حقيقة دينية عليهم أن يؤمنوا بها وان كانت فوق إدراك العقول ولكن ابن تيمية يرى أن " مالا يدرك ، وأن ما هو فوق العقل، ليس لأحد أن يعتقده، ولا يقوله برأيه . لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما يعجز عقل الانسان عنه صدقهم ، وان نقل عنهم ناقل مايعلم بصريح العقل بطلانه ، علم أنه يكذب عليهم ، إما في اللفظ والمعنى واما في أحدهما ." (٢)

ويرى ابن تيمية أننا يجب أن نفرق بين مايكون فوق العقل ، ومايحكم العقل باستحالته.فالأول يمكن الايمان به . أما الثاني فلا يجوز فيه ذلك . واذا جاز على الأنبياء أن يأتوا بما يجوز أن يكون فوق العقل إدراك حقيقته،فإنهم لا يمكن أن يأتوا بما يحكم العقل باستحالته . ومايعتقد النصارى من الحلول والاتحاد من النوع الثاني لا من النوع الأول . ومن ثم لا يجوز الاعتقاد به ، يقول ابن تيمية :

" إن الأنبياء صلوات الله عليهم أكمل الناس كشفا ، وهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما تعرف عقولهم أنه باطل ،فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول ." (٣)

قد توجد هناك نصوص دينية تخبر عن نوع من الاتحاد بين الله وبين عبده المؤمن ، ولكنه إذا فهم على حقيقته يحكم العقل أنه ليس اتحادا بالمعنى الحسيّ

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص٧٣
وانظر كذلك : مجموعة الرسائل والمسائل جـ ١ ص٧٩ / ٨٠ ط ١ .

(٢) الجواب الصحيح جـ ٣ ص٦٩ .

(٣) الجواب الصحيح جـ ٣ ص٧٩
وكذلك مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية جـ ١ ط ١ ص٨١ ، ٨٢ .

تتركب فيه الحقائق معا أو تتمازج ، ولكنه اتحاد معنوي أو على حد تعبير ابن تيمية "اتحاد وصفي " " وهو أن يحب العبد ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ، ويرضى بما يرضى الله ، ويغضب لما يغضب الله ويأمر بما يأمر الله ، وينهى عما ينهى الله عنه ، ويوالي من يواليه الله . ويعادي من يعاديه الله ، ويحب لله ، ويعطي لله ، ويمنع لله ، بحيث يكون موافقا لربه تعالى ."[1]

ويرى ابن تيمية أن " هذا المعنى للاتحاد حق وهو حقيقة الايمان وكماله "[2]

ويسوق ابن تيمية في هذا المقام حديثا رواه البخاري يتضمن التعبير عن هذه الصلة القوية التي تكون بين العبد المؤمن وربه بحيث يصبح المولى عز وجل سمعه وبصره . . . الخ تعبيراً عن المدد الالهي الذي يخص به المولى عبده المؤمن وذلك الحديث هو ما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة من قوله : ( إن الله قال : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدّ له منه . )[3]

" وكل من قال بحلول الله في شيء من المخلوقات ، من النصارى ، وغيرهم ، يلزمهم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل / ابن تيمية جـ ١ ص ٢٠ ط ١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) صحيح البخاري / كتاب الدعوات / باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة جـ ٨ ص ١٣١ .

أن يكون مفتقراً إلى ما حـل فيـه ، فإنّـه لاحقيقة للحلول إلّا هذا ، ولهـذا كـان ما حـل بقلوب المؤمنين من الايمان ، والهدى ، والنور ، والمعرفـة ، مفتقراً إلى قلوب المؤمنين ، لا يقوم الّا بها . "(1)

ولو أنّ النصارى قد اعتقدوا هذا النوع من الاتحاد الوصفي بين اللـه سبحانـه وتعالى ، وبين عيسى - عليه السلام - لما كان في اعتقادهم هذا بـأس ، فعيسى - عليه السلام - كان موضع تـأييد الله وعونـه ، ولكنهم اعتقدوا أنّ بينهما اتحاداً تركيبياً ، أو اتحاداً مزجيـاً ، على نحـو مـا ذكرنـا آراء الفرق المسيحية في هذا الاتحاد المحـال فـي حـق الله عـزّ وجـل .

---

(1) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ١٢١ .

ب - تعقيب :

هذه هي عقيدة النصارى في الحلول والاتحاد ، وهذه هي إبطالات ابن تيمية لتلك العقيدة . والواقع أنها - كما رأيناها - إبطالات تتناول تلك العقيدة من جوانبها المختلفة ، ومع ذلك فلايزال جانب التعقيب عليها قابلا للمزيد ، بيانا لجذورها التاريخية في الوثنيات والفلسفات السابقة على المسيحية ، واستزادة من الأدلة العقلية التي تثبت بطلان تلك العقيدة ، ومخالفتها للبداهة العقلية الصحيحة ، بل واستلزامها لمحالات العقول ، وكذلك بيانا للمعاني الصحيحة التي يمكن أن تؤول بها أقوال المسيح - على فرض صحة نقلها عنه - بما لا يشهد لعقيدتهم في الحلول والاتحاد وهي أقوال لم يذكرها ابن تيمية مما يستشهد بها النصارى على صحة عقيدتهم .

١ - جذور عقيدة الحلول والاتحاد في الوثنيات والفلسفات القديمة :

الواقع أن النصارى كانوا مسبوقين فيما ذهبوا اليه من حلول اللاهوت في الناسوت المسيحي ، واتحاده به ، ببعض المذاهب والأديان الوضعية القائلة بالحلول والاتحاد في أشياء ، وأشخاص آخرين لها قداستها في تلك الأديان والمذاهب .

وسوف نعرض فيما يلي عقيدة الحلول والاتحاد في تلك الأديان والمذاهب مبيّنين كيف تأثرت الفرق النصرانية بها ، وأوجه التشابه بين ما في تلك الأديان والمذاهب ، وبين ما عتقد هذه الفرق في شأن المسيح عليه السلام .

فإذا جئنا للديانة البرهمية القديمة ، فإننا نجدها في أصلها ديانة توحيد ، حيث تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لاشريك له ( وهو الاله براهما ) ، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات وسرت منه روح في الجماد والنبات

والحيوان ، وحلت في تلك الكائنات .[1]

وقد انتهت هذه الفكرة في الديانة البرهمية إلى القول بوحدة الوجود التي انتقلت الى بعض صوفية المسلمين فيما بعد .

وتقرر العقيدة البرهمية "أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها الى مصدرها الأول ، الذى نشأت منه ، وهو الله . والانسان أحد هذه الكائنات ، فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله ، انفصلت عن الله الى أجل محدود ، واتصلت به ( أى بالانسان ) ، ثم تتصل بعده بكائن آخر ، وآخر . . . وهكذا على طريق التناسخ ، وتجوال الروح بين الأجساد ، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء الأجل ، كالقطرة من الماء العذب ، تصعد بخارا من البحر ، وترقى في السماء ، وتنتقل من جهة إلى جهة ، وقد تتحول الى قطع من الثلج أو البَرَد ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجري في الأنهار ، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذى انفصلت عنه في أول الأمر ، أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب - حسب تشبيه أسفارهم نفسها - يظل منفصلا عن الهواء الخارجي وإن كان منه ، حتى يتحطم القدح ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان ."[2]

فالروح الالهية التي حلت في الكائنات ، واتحدت بها ، تعود بعد انحلال هذه الكائنات الى مصدرها الأول الذى فاضت عنه ، وهو الله . وقد قال ( كرشنا )* عن نفسه : "أنا علة وجود الكائنات فيّ كانت وفيّ تحل ، وعليّ

---

(١) انظر الدكتور على عبد الواحد وافى / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام ص١٦٣ بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص١٦٥ ، ١٦٦ .

* كرشنا أحد أبطال الهندوس المقدسين ، ينسب اليه كتاب ( كيتا ) الذى يعتبر من الروافد التي قدمت للهند أروع التعاليم ، وأرق الثقافات . أنظر الدكتور أحمد شلبى الهند وكية ص١٨ ، وكذلك منجد الأعلام ص٥٨٦ .

جميع ما في الكون يتكل ، وفيّ يتعلق ، كاللؤلؤ المنظوم في خيط ."(١)

وهكذا آل أمر البرهمية الى كونها ديانة حلولية تقول بوحدة الوجود . واذا علمنا أن الديانة البرهمية " ربما ترجع الى ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد"(٢) تبين لنا أن الهنود سابقون على غيرهم في القول بمبدأ الحلول والاتحاد .

أما عقيدة الحلول والاتحاد في البوذية ، فمن المعروف أن بوذا كان صاحب مذهب أخلاقي ، وأنه كان يدعو الى التقشف والزهد ، والعمل على التخلص من الألم ولم يكن يُعن بالحديث عن الاله ، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه اثباتا أو انكارا ، بل تحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية ، وما وراء الطبيعة . وان كان يتجه أحيانا الى جانب الانكار أكثر من اتجاهه الى جانب الاثبات ، حيث سخر في بعض خطبه من الذين يقولون بوجود إله لا يرونه .(٣)

" والايمان بإله اتجاه نفسي قوى لا يقل عن قوة الغرائز في البشر ، واهمال هذا الاتجاه يحدث اضطرابا نفسيا عند صاحبه ، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الاله ، ويعملون على الوصول إليه ، أو التعرف عليه . ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا ، فقد لعبت بهم الأهواء ، فاتجه بعضهم الى الاعتقاد أن بوذا ليس انسانا محضا ، بل إن روح الله قد حلت به ، وأن شخصيته ثنائية:لاهوتية ، وناسوتية ، وأن الشخصية اللاهوتية حلت بالناسوت ."(٤) وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها المسيحيون

---

(١) موريس وليمز / ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢ نقلا عن كتاب الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ٣ ص ٣٠١

(٢) انظر الشهرستاني في الملل والنحل جـ٢ ص ١٠

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص ١٠٩ وانظر كذلك الدكتور أحمد شلبي أديان الهند الكبرى ص ١٦٨

(٤) الدكتور أحمد شلبي / أديان الهند الكبرى ص ١٦٨ بتصرف .

في السيد المسيح ،كما شرحناها من قبل . فهم يعتقدون في بوذا "أنه ولد من العذراء مايا بدون مضاجعة رجل ، وكان تجسده -كما يقولون- بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا ، ولما نزل بوذا من معقد الأرواح ، ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي ، وظهر بوذا منه كزهرة جميلة .

وقد ولد بوذا -كما يقولون- من العذراء مايا التي حلّ فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد ... وقد عرف الحكماء بوذا ، وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته حتى جاء الناس ، ودعوه إله الآلهة ."[1]

" "بل ذهب بعض البوذيين إلى القول بأن بوذا كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور ."[2]

ولا يخفى مدى التشابه بين هذه العقيدة ، وبين عقائد الفرق المسيحية في المسيح -عليه السلام- وحلول اللاهوت في ناسوته كما يزعمون . يقول الأستاذ ( أنور الجندي ) :

"إن الديانة المسيحية ، والديانة البوذية ، متشابهة في بعض الوجوه ، وخاصة الحلول والتجسد ..."[3]

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص٩٦ / ٩٧ بتصرف
وانظر أيضا الأستاذ احمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ٣ص٣٠٤/٣٠٥ .

(٢) الدكتور أحمد شلبي / أديان الهند الكبرى ص١٦٨ .

(٣) المؤامرة على الاسلام ص٥٣ .

وفيما يتعلق بالزرادشتية *، فاننا نجد أن الفرس كانوا يعتقدون بأن اللـــه قد نفخ في رحم أم زرادشت من روحه ، فتقمصت روح الله جسد زرادشت ، فنشـــأ جامعا بين اللاهوت والناسوت على نحو ما يعتقده المسيحيون في المسيح .(١)

وغاية القول فيما يتعلق بالتشابه بين المسيحية والديانات السابقــــة أن في الديانات الوثنية كثيرا من طقوس المسيحية ، وعباداتها ، ... وأن للمسيح نفسه أشباها ونظائر كما تصوره النصرانية ، بل الشبه ينتهي الى أن يكون المسيح ، وبعض من في تلك الديانات الوثنية توائم ، بل نجد أكثر من ذلك ، نجد مسيـــح النصرانية كرشنا أو بوذا ، وكأنه أحدهما ، أو هما في جميع الصفات ، والمزايـــا ، وجوهر الشخصية ، وسماتها ، وكل خصائصها .

---

* الزرادشتية هم أتباع الحكيم زرادشت زعيم ديني ، فارسي ولد في منتصف القرن السابع قبل الميلاد بأذربيجان ، وهاجر منها الى بختره شرق ايران فـــي مرحلة شبابه ، دعا الناس الى عبادة النار ، مات قتيلا في بيت من بيـــوت النار في بلخ حوالي سنة ٥٨٣ قبل الميلاد . انظر بطرس البستانـــي دائرة المعارف جـ٩ ص١٩٨ / ١٩٩ وانظر كذلك محمد شفيق غربـــال وانظر كذلك محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص٩٢٢ .

(١) أنظر الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة في الأديـــان السابقة للاسلام ص١٤٣ / ١٤٦ . وكذلك ص ١٢٩ / ١٣١ .
وكذلك ص١٢٩ / ١٣١ .

انّ في هذه الديانات الوثنية أقانيم ثلاثة ، وفيها المولود من عذراء الذى هو كلمة الله المتجسّدة ، وهو ابن الله ، وهو الربّ والله . فاذا جاز أن يكون المسيح كذلك ، فيجوز أن يكون من في تلك الديانات مسحاء ، وابناء لله ، وآلهة ، بل لاجواز في الأمر ، بل هم كذلك على التحقيق في تلك الديانات . والمسيح متأخر ، وأولئك متقدّمون عنه ، فالشخصية التي ابتدعها المسيحيون ، واطلقوا على صاحبها اسم يسوع المسيح ، بعد أن أخذوه من اسم الرسول الكريم عيسى ـ عليه السلام ـ ليست الآ شخصية كرشنا أو بوذا . "(١)

ولسنا نحن الذين ندعي هذا الادعاء ، بل مفكرو المسيحية الكبار يقررون بالبراهين ، والشواهد ، والوقائع ، أن المسيحية دين جمع ما تفرق في الديانات الوثنية ، واختفى منها التوحيد الحقّ . يقول ج . بيورى في كتابه ( حريّة الفكر ) مانصه :

" وجاء الباحثون في علم الانسان ، وفي الدين المقارن ، من أمثال ( تيلور ) و ( روبر تسوث ) و ( فريزر ) ، فأثبتوا أنّ الأفكار المبهمة الصوفية والمعتقدات ، والطقوس التي كان يظن أنها من خصوصيات المسيحية التي جاء بها الوحي ـ أثبتوا أنّ كل أولئك له مثيل من الأفكار البدائية الفجة ، في الأديان الفطرية الهمجية . . . "(٢)

واذا جئنا الى الفلسفة الافريقية ، واستعرضنا أوجه التأثير الفلسفي في العقيدة المسيحية ، ومظاهر هذا التأثير ، ولاسيما فيما نحن بسبيله من بيان

---

(١) الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد في مختلف العصور جـ٣ ص ٢٨٧ : ٢٨٨ .

(٢) ص ١٣٣ ، ١٣٤ نقلا من كتاب الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ ٣ ص ٢٨٨ .

الأصول التاريخية لتلك العقيدة عند النصارى - إذا جئنا نستعرض هذا التأثير الفلسفي ، ومظاهره ، فإننا نجده واضحا الى الحد الذى تعتبر معه العقيدة المسيحية المحرفة عند النصارى أحد منتجات التلاقي الفكرى بين المسيحية ، والفلسفة الاغريقية . يقول الأستاذ الدكتور ( محمد يوسف موسى ) - فيما ترجمه عن بعض المستشرقين ، حول تأثر المسيحية بالفلسفة الاغريقية في عقائدها :-

"إن التزاوج بين العقيدة اليهودية ، والفلسفة الاغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل انتج معها دينا أيضا ، أعني المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان . ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذى صبّت فيه الأفلاطونية الحديثة ( يريد فلسفة أفلاطون التى كانت المعين الأصلي للفلسفة الأفلاطونية الحديثة ) ، ولذا نجد بينهما ( أى اللاهوت المسيحي والأفلاطونية الحديثة ) مشابهات كثيرة ...."(1)

" ولقد اصطدم المسيحيون بالفلسفة اليونانية من أول أمرهم ، فلما انطلق الحواريون يبشرون العالم بالوحي الجديد ، اصطنعوا ، واصطنع تلاميذهم اللغة اليونانية فى الخطابة والكتابة .

وباليونانية كتب بولس رسالته إلى الرومانيين ، ثم كتب بها فى روما رسائل عدة إلى الكنائس الشرقية ، وبها كتب مرقس انجيله .

كذلك كانت اليونانية لغة المسيحيين فى الغرب ، وفي شمال افريقيا . فقد كانت غالبيتهم من المهاجرين الشرقيين ، واستمر الحال على ذلك زمنا

(1) نقلا عن كتاب الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص٣٧ ط٣ .
وانظر كذلك الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٣٣ / ١٣٤ ط٥ .

طويلاً ، فكانوا يعرفون اليونانية ، فاستخدمتها الكنائس ، ومنها كنيسة روما ."[1]

" كانت المذاهب الفلسفية الكبرى أربعة : الأفلاطونية ، والرواقية ، والأرسطوطالية ، والأبيقورية ، مرتبة بحسب حظوتها لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد .

أما الأفلاطونية ، فكانت المذهب المفضل عندهم ، عرفوها بوقوفهم على بعض محاورات أفلاطون ، وعن طريق مختلف الكتّاب ، وبخاصة ( فيلون الاسكندرى ) . كان يعجبهم قول أفلاطون بعالم معقول فوق العالم المحسوس ، وبالله هو الخير بالذات ، وشمس العالم المعقول ، وصانع العالم المحسوس بما فيه من خير وجمال ، وبنفس إنسانية روحية هابطة من العالم المعقول تائقة العودة إليه ، وبتحقير الجسم ، والحياة العاجلة ، والاشادة بالزهد ، والتطهير ، والخلود ، والاتحاد بالله . ومازالوا يعتبرون الأفلاطونية أسمى المذاهب اليونانية ، وأقربها إلى المسيحية ، حتى إذا ماجددتها مدرسة الاسكندرية فى القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية ، استغلوا الأفلاطونية الجديدة أيضا .

وأما الرواقية : فكانت المذهب السائد فى روما أوائل المسيحية ... وقد اقتبس المفكرون المسيحيون من الرواقية ، وخصوصا فى الخلقيات ، وكان معظمهم قد تنصر بعد رواقية ، أو رواقية أفلاطونية ، وكانوا يعدون هاتين المدرستين لنزعتهما الروحية بمثابة المدخل إلى المسيحية .

وكان الحال على العكس بالنسبة للمدرستين الأخريين ، فقد نفروا

---

(١) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٥٣ .

من الأرسطوطالية ، وشاع عن أرسطو أنه ملحد . وكذلك أجمعوا على نبـــــذ الابيقورية ، وازدرائها ، حيث كان لفظ ( أبيقوري ) عنوانا على الالحاد ، والاستهتار"(١)

" وقد كان أثر أفلوطين* متصلا عميقا ، ترجمت بعض رسائله إلى اللاتينيـــة في القرن الرابع ، فوجد فيها القديس ( أوغسطين** ) عونا كبيرا ، ووضع الأفلاطونيـة المسيحية ."(٢)

---

(١) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٥٤ / ٢٥٥ باختصار .

* أفلوطين (٢٠٥-٢٧٠م) مؤسس الأفلاطونية الجديدة ، ألم بفلسفـــة الهند وفارس ، تأثرت فلسفته بالأفلاطونية ، لكنها تميزت بنظرية الفيـــض التي تفسر الخلق بأن الواحد ( الله ) فاضت عنه المخلوقات وأن كمـــال الانسان يتحقق بتجرده من الجسد ، واندماجه مع الواحد ... أنظـــر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص١٨٢ .

** (٣٥٣-٤٣٠) كان وثنياً ، ثم اعتنق المسيحية ، أشهر آباء الكنيســة الغربية ، خطيب ولاهوتي ، وفيلسوف ، وكاتب . ويرى أن السبيل إلـــى الخير الأسمى هو الاتحاد بالله بواسطة التأمل .
مؤلفاته عديدة أهمها : "الاعترافات" . وهو شبيه بالمنقذ من الضـــلال للغزالي . و"الثالوث" ويضم فيه خمس عشرة مقالة ، يشرح فيها العقيدة المسيحية ، ويفند ما أثير حولها من أباطيل بين الثقافة اليونانيـــة ، والعقيدة المسيحية . وكان لأوغسطين تأثير كبير في اتجاه التربية والتعليم في العالم المسيحي خلال العصور التالية . أنظر / محمد شفيق غربـــال/ الموسوعة العربية الميسرة ص٢٦٦ ، وانظر كذلك منجد الاعلام ص٩٦ .

(٢) يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٩٧ .

" وكان قبل أفلوطين أستاذ ، أفلاطون ، الذى كملت على يديه جوانب الفلسفة اليونانية ، وبلغ فى آرائه اللاهوتية مبلغا . ومن عقيدته : تناسخ الأرواح . فالروح موجودة قبل خلق البدن ، وبعد خلقه تحل فيه الروح ، فإذا كان صاحب البدن الذى تحل فيه الروح صالحا خيّرا ، صعدت إلى الكوكب الذى هبطت منه ، لتحيا به حياة سعيدة هانئة ، مثل إله الكوكب . أما إذا غلبت عليه الشقوة ، بأن تغلبت عليه المادة ، وعجز عن مجاهدتها ، فإن عقوبته أن تحل روحه فى جسد أحقر من جسد الانساني ، كأن تحلّ فى جسد امرأة . وهكذا تنتقل كلما فسد الجسد ، من جسد حقير الى أحقر تعاني الآلام ، ولا ترجع الى سيرتها الأولى ، إلاّ بعد أن ينتصر العقل على الشهوة ، فتعود الى رجل صالح ؛ لتصعد الى الكوكب . . .

والتناسخ فى رأي أفلاطون عقوبة ، جزاء ما اقترف صاحبها من آثام ، وإلاّ لصعدت الى الملأ الأعلى . "(١)

وقد أكد السيد محمود أبو الفضل أن القول بألوهية المسيح اكتسبه المسيحيون من فلسفة مدرسة الاسكندرية ، وفلسفة الاغريق فقال :

" إن الاضطهاد الذى لاقاه المسيحيون فى عهدهم الأول ، دفعهم إلى الهجرة فرحل بعضهم إلى الاسكندرية فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة . "(٢)

---

(١) الأستاذ / أحمد عبد الغفور عطار / الديانات والعقائد جـ ١ ص ٤٠٦ .

(٢) ص ١٣١ نقلا عن كتاب الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص ١٥٠ ط ٥ .

ومن المسلّم به أن المسيحية أحدث عهداً من الوثنية ، فإذا كان ثمة انتحال ، فالمتأخر زمنا هو المنتحل .[1]

٢ - البطلان العقلي للقول بالحلول :

والواقع أننا إذا عرضنا عقيدة الحلول والاتحاد على نحو ما ذكرناها عن فرق النصارى - إذا عرضناها على العقل المجرد ، فإنه يتضح له بطلانها ، واستلزامها للمحالات العقلية من جميع الوجوه . فالقول بحلول اللاهوت في الناسوت على سبيل الامتزاج ، أو على سبيل المجاورة ، أو على سبيل اتخاذه هيكلا ومحلاً له - هذا القول - بمختلف هذه التصورات باطل بداهة ؛ لأن هذه التصورات لا تعقل إلّا بين الجواهر والأجسام ، والله سبحانه وتعالى منزه عن التجوهر والتجسد ، وذلك أنه لو كان جوهراً أو جسداً للزم حدوثه ، ونفي القدم عنه ، ومن ثم لا يكون إلٰهاً خالقاً للأجسام .

وبناء على استحالة الجسمية في حق الله تعالى، نحكم باستحالة حلوله في غيره ، على سبيل المجاورة ، أو الامتزاج ؛ إذ لا يتصور ذلك إلّا بين الأجسام.[2]

إن العقيدة الصحيحة في الله ، تتمثل في تنزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة خلقه ( ليس كمثله شئ وهو السميع البصير )[3] . والقول بالحلول يؤدي الى تشبيه الخالق بالمخلوق في الجسمية ، والامتزاج ، والتركيب ، والاقتران

---

(١) عصام الدين حفني ناصف / المسيح في مفهوم معاصر ص٨٦ .

(٢) انظر القاضي عبد الجبار / المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ٥ ص١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) سورة الشورى / آية ١١ .

بالغير ، والتحيز فيه إلى غير ذلك من خصائص الأجسام . وكل ذلك باطل في حق الله تعالى عقلا ؛ لمخالفته للتنزيه .

والعقيدة الصحيحة في الله أيضا تقوم على أساس استغناء الله تعالى عما سواه . قال تعالى : ( قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد )[1] فإليه تصمد المخلوقات في حوائجها ، أما هو فهو غني عما سواه ، لا يحتاج إليهم ، لكن القول بالحلول يبطل هذه الصمدية ، حيث يلزم منه احتياج الذات الالهية إلى ما تحل فيه ، بل وتحديدها به ، وتبعيتها له في جميع خصائصه وأحواله ، وذلك باطل في حق الله تعالى . ومن ثَمّ كان ما يؤدي إليه من القول بالحلول باطلا كذلك .

ويذكر لنا ( سعد الدين التفتازاني ) في مقاصده وجوها ستة ، يبيّن فيها بطلان القول بالحلول في حق الله تعالى ؛ لما يترتب عليه من المحالات الباطلة - وهي محالات ذكرنا بعضها آنفا - ، ويبيّن لنا كيفية ترتّب هذه المحالات على القول بالحلول ، فيقول :

يمكن إبطال الحلول في حق الله تعالى لوجوه :

"الأول :

إن الحالّ في الشئ يفتقر إليه في الجملة ، سواء كان حلول جسم في مكان ، أو عرض في جوهر ، أو صورة في مادة ، كما رأى الحكماء ، أو صفة في موصوف كصفات المجردات . والافتقار إلى الغير ينافي الوجوب .

فإن قيل : قد يكون حلول امتزاج ، كالماء في الورد ، قلنا : ذلك من خواص الأجسام ، ويفضي إلى الانقسام ، وعائد إلى حلول الجسم في المكان .

---

(١) سورة الاخلاص .

الثاني :

إنه لو حلّ في محل ، فإمّا مع وجوب ذلك ، وحينئذ يفتقر الى المحل ، فيلزم إمكانه ، وقدم المحل ، بل وجوبه ؛ لأن ما يفتقر إليه الواجب أولى بأن يكون واجبا . وامّا مع جوازه ، وحينئذ يكون غنيا عن المحل ، والحالّ يجب افتقاره إلى المحل ، فيلزم انقلاب الغني عن الشيء محتاجا اليه .

الثالث :

إن الحلول في الغير ، إن لم يكن صفة كمال ، وجب نفيه عن الواجب ، وإن كان ( أي صفة كمال ) لزم كون الواجب مستكملا بالغير ، وهو باطل وفاقا .

الرابع :

إنه لو حلّ في شيء ، لزم تحيزه ؛ لأن المعقول من الحلول باتفاق العقلاء هو حصول العرض في الحيز ، تبعا لحصول الجوهر . أما صفات الباري عز وجل ، فالفلاسفة لا يقولون بها ، والمتكلمون لا يقولون بكونها أعراضا ، ولا بكونها حالّة في الذات ، بل قائمة بها ، بمعنى الاختصاص الناعت .

الخامس :

إنه لو حلّ في جسم - على مايزعم الخصم - فإمّا في جميع أجزائه ، فيلزم الانقسام ، أو في جزء منه فيكون أصغر الأشياء . وكلاهما باطل بالضرورة والاعتراف .

السادس :

لو حلّ في جسم - والأجسام متماثلة ؛ لتركّبها من الجواهر الفردة المتفقة الحقيقة على ماتبيّن - لجاز حلوله في أحقر الأجسام وأرذلها ، فلا يحصل

الجزم لعدم حلوله في مثل البعوضة . وهو باطل بلا نزاع .(1)

وقد ساق الآمدي في رده على الحلولية ثلاثة مسالك،كشف فيها عن تلك اللوازم الباطلة التي تلزم على مذهبهم .

<u>أما المسلك الأول :</u>

فيلزم فيه على القول بحلول الخالق في المخلوق كونه سبحانه وتعالى غير واجب الوجود،لاحتياجه -على ذلك القول -إلى محله وتقومه به ، وكون المحل الحادث قديما ،أو كون الاله القديم حادثا ، وكذلك يلزم الدور من القول بحلول الله في محل ،لتوقف كل منهما على الآخر ، وكل ذلك باطل ،فما أدى إليه القول بالحلول باطل .

<u>يقول الآمدي في المسلك الأول :</u>

"إنه لو حلت ذاته تعالى في محل ، فذلك المحل :

إما أن يكون قديما أو حادثا . لاجائز أن يكون قديما،لحدوث كل موجود سوى الله ،وإن كان حادثا فقبل حدوثه إما أن يكون الرب تعالى محتاجا في وجوده إلى حلوله في ذلك المحل ،أو لا يكون محتاجا إليه . فإن كان الأول : فهو محال لثلاثة أوجه :-

<u>الأول :</u>

إنه يلزم منه خروج الرب تعالى عن كونه واجب الوجود وهو محال .

<u>الثاني :</u>

إنه يلزم منه إما قدم المحل ضرورة احتياج القديم إليه ، أو حدوث القديم ، وكل واحد من الأمرين محال .

---

(1) شرح المقاصد جـ٢ ص٥٠/٥١ .

الثالث :

إنه يلزم منه الدور ضرورة توقف وجود المحل على وجود الباري تعالى ، لكونه مصدر الكائنات ، وتوقف وجود الرب تعالى على حلوله في ذلك المحل ، وهو ممتنع.

فإما أن يكون الرب تعالى قبل حلوله في ذلك المحل محتاجا إليه أو لا يكون محتاجا إليه - فإن كان محتاجا اليه خرج عن كونه واجب الوجود ، وهو محال وإن لم يكن محتاجا إليه ففي حالة حلوله فيه : إما أن يكون قائما بنفسه أو بذلك المحل ، فإن كان قائما بنفسه والمحل قائم بنفسه، فليس القول بحلول أحدهما في الآخر بأولى من العكس ، بل الواجب أن كل واحد قائم بنفسه وليس محلاً للآخر ، ولا حالاً فيه . وإن كان قائما بذلك المحل لا بنفسه ، فليس واجب الوجود لذاته ضرورة تقوّمه بغيره وهو محال .[1]

وأما المسلك الثاني :

فيلزم منه على القول بحلول الله في محل : إما قبول الذات الالهية للانقسام على سبيل التبعية - إذا كان المحل قابلا له ، واحتياجها إلى ما تتركب إليه من أجزاء ، وذلك من لوازم الجسمية ، ويترتب على ذلك كون الله تعالى غير واجب الوجود ، لجسميته وتبعيته لمحله واحتياجه إلى أجزائه . أما إذا لم يقبل المحل الانقسام فكان دقيقا كالجوهر الفرد ، فإن ما حلّ فيه يكون كذلك ، وكل ذلك باطل في حق الله تعالى . يقول الآمدي في المسلك الثاني :

" إنه لو حلّت ذاته تعالى في محل فذلك المحل : إما أن يكون قابلا للانقسام أو لا يكون قابلا للانقسام ، فإن كان قابلا للانقسام : فما حلّ فيه وطابقه

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص٥٣٩ . نقلا عن د . حسن جابر موسى / تنزيه الله في الفكر الاسلامي ص٢٩٨/٢٩٩ ( رسالة دكتوراه ) .

يجب أن يكون أيضا قابلا للانقسام ، فتكون ذات الربّ تعالى قابلة للانقسام ، ومركبة من أجزاء ، وكل واحد من أجزائها غيرها ، اذ المفهوم من الجملة يزيد على المفهوم من كل واحد من الأفراد ، فيكون غير كلّ واحد من الأفراد وهو مفتقر الى كلّ واحد من الأفراد ، وما كان مفتقرا في وجوده الى غيره فلا يكون واجب الوجود لذاته ، وان لم يكن المحل قابلا للانقسام ، فيكون من الصغر والحقارة ، بمنزلة الجوهر الفرد ، فما حلّ فيه يكون مثله ، والربّ يتعالى ، ويتقدّس عن ذلك . " (١)

<u>وأمّا المسلك الثالث :</u>

فيردّ به الآمدى على القائلين بحلول الله تعالى في بعض الأجسام الخاصة دون البعض الآخر ، ففي هذا المسلك يرى الآمدى أنّ قابلية المحل لحلول الذات الالهية فيه ، ان كان مرجعها الى الجسمية ، فالجسمية أمر مشترك بين جميع الأجسام ، ومن ثمّ يلزم القول بالحلول العام لقابلية جميع الأجسام لذلك ، أمّا ان كان مرجع القابلية الى الخصائص التي يتميّز بها المحل القابل ، فان رجعت تلك الخصائص الى ذات الجسم عاد الأمر الى الجسمية ، وهو أمر مشترك بين جميع الأجسام ، أمّا ان رجعت الى مخصص خارجي وكان فاعلا لها بالطبع ، فالأمر فيه كسابقه ، وان كان فاعلا باختيار ، جاز في حقّه أن يخصص الأجسام الأخرى ، بخصائص تجعلها قابلة للحلول فيها ، فيعود الأمر الى قابلية جميع الأجسام للحلول ، وهو خلاف مذهب هؤلاء . يقول الآمدى في المسلك الثالث :

" وهو خصيص بامتناع حلول ذات البارى تعالى عز وجل في بعض الأجسام ، فلا بدّ وأن تكون ذات ذلك الجسم قابلة لحلول ذات البارى تعالى فيها وأن تكون

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص ٥٣٩ . نقلا عن الدكتور حسين جابر موسى / تنزيه الله في الفكر الاسلامي ص ٢٩٩ : ٣٠٠ ( رسالة دكتوراه ) .

ذات البارى تعالى قابلة للحلول في ذلك الجسم ، والاّ لكان القول بجواز الحلول مع امتناع القبول من الطرفين ، أو من أحدهما ممتنعا ، وعند ذلك فامّا أن يكون قبول ذلك الجسم لحلول ذات الله تعالى فيه ، وقبول ذات الله تعالى لحلولهما فيه ، لعموم كونه جسما ، أو لما به تعيّنه وتخصّصه من الصفات الموجبة لتميّزه عن غيره من الاجسام . فان كان الأول ، فيلزم منه جواز حلول الربّ تعالى بكل جسم من الأجسام ، حتى أجسام الجمادات والحشرات والمستقذرات من النجاسات . والربّ تعالى يتقدّس عن ذلك .

وان كان الثاني ، فما اختصّ به ذلك الجسم من الصفات امّا أن يكون ذلك لذاته ، أو لمخصص خارج ، فان كان لذاته ، فالأجسام مشتركة في معنى الجسمية ، فما اختصّ به جاز أن يختصّ به غيره ، فيكون أيضا قابلا لحلول ذات البارى تعالى فيه . وان كان لمخصص من خارج ، فامّا أن يكون مخصصا بالطبع أو بالاختيار .

فان كان مخصصا بالطبع فهو محال ؛ لتساوى الاجسام بالنسبة اليه ، وان كان مخصصا بالاختيار ، فما جاز على الفاعل المختار تخصيص ذلك الجسم بما تخصص به ، جاز أن يخصص به ما هو مماثل له في الجسمية ، وعند ذلك : فيجوز على ذات الرب تعالى الحلول بالنسبة الى كل جسم من الأجسام ، ويمتنع الاختصاص بالبعض دون البعض . وعلى هذا فلا يمتنع أن يكون الرب تعالى في بدن كل ما تراه من الناس ، بل فيما نشاهده من أبدان الحيوانات ، والجمادات ؛ لجواز أن يكون متصفا بما به القبولية ، وعدم المعرفة بذلك غير مانع من الجواز . وأن يكون في نفس الأمر كذلك ، فانّه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول في نفسه . "(١)

---

(١) أبكار الأفكار جـ٢ ص ٤٢ ه نقلا عن الدكتور حسين جابر موسى / تنزيه الله في الفكر الاسلامي ص ٣٠٠ / ٣٠٢ ( رسالة دكتوراه ) .

إن هذه الوجوه ، التي يبطل بها المتكلمون القول بالحلول مطلقا ، هي في نفس الوقت إبطال لعقيدة كل قائل بها ، سواء من النصارى أو من غيرهم ، وهي وجوه عقلية صالحة للرد بها علي كل معتقد لهذه العقيدة الباطلة .

والى جانب هذه الوجوه العقلية العامة ، توجد وجوه خاصة ، تتناول بالابطال تصور النصارى لحلول اللاهوت في الناسوت . يقول الامام القرافي :

"إن القول بحلول الكلمة - التي هي المسيح - في مريم ، وتجسد المسيح عليه السلام من الروح ، يقتضي انتقال المعاني من محالّها الى محالّ آخر ، وانتقالها محال ؛ لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات ، فيلزم أن تكون المعاني أجساما ، والصفات موصوفات ، وذلك قلب للحقائق . وهو محال عند جميع العقلاء ."(1)

ويقول الامام الرازي : "إن النصارى وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم تحل في ناسوت عيسى - عليه السلام - ، بل قالوا : الكلمة حلت فيه ، والمراد من الكلمة : العلم . فنقول :

العلم لما حلّ في عيسى - عليه السلام - ففي تلك الحالة : إما أن يقال : انه بقي في ذات الله تعالى ، أو ما بقي فيها ، فإن كان الأول ، لزم حصول الصفة الواحدة في محلين ، وذلك غير معقول . ولأنه لو جاز أن يقال : العلم الحاصل في ذات عيسى - عليه السلام - هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى بعينه ، فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك ، حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد ،

---

(1) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة بهامش كتاب / عبد الرحمن بك باجه جي زاده الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٦ .

هو العلم الحاصل لذات الله تعالى . وإن كان الثاني ، لزم أن يقال : إن الله تعالى لم يبق عالما بعد حلول علمه في عيسى -عليه السلام - وذلك مما لا يقوله عاقل .»[1]

وهكذا تتضح بجلاء تلك المحالات التي تترتب على تصور النصارى لكيفية حلول اللاهوت في الناسوت ، أو حتى مجرد حلول الكلمة أو العلم في ناسوت المسيح ، وهي محالات عقلية ودينية على سواء .

٣ - البطلان العقلي للقول بالاتحاد :

وكما كان القول بالحلول باطلا ، فكذلك القول بالاتحاد ، وقد سبق أن بينّا في أول هذا الفصل أن الاتحاد عقيدة ينتهي إليها بعض القائلين بالحلول ، فإذا بطل القول بالحلول ، فإن ذلك يؤدي إلى بطلان القول بالاتحاد من باب أولى ، لما في هذا القول من انقلاب للحقائق ، حيث يصبح الواجب ممكنا ، والممكن واجبا ، إذا اتحدا وصارا شيئا واحداً . يقول سعد الدين التفتازاني في المقاصد :

"إن القول بالاتحاد باطل ، لأنه يلزم منه أن يكون الواجب ممكنا والممكن واجبا ، وذلك محال على الله تعالى بالضرورة .»[2]

وفي الواقع : أن تصور الاتحاد بين ذاتين أيا كانتا ، تصور محال في حقيقة الأمر فليس هناك اتحاد حقيقي بين اثنين ، فضلا عما يترتب على القول بالاتحاد من محالات على أي صورة تصورنا هذا الاتحاد .

---

(١) التفسير الكبير المجلد ١١ ج ٢١ ص ٢١٣ .

(٢) شرح المقاصد : الجزء الثاني ص ٥٢ .

يقول أستاذنا الشيخ الجليل / الدكتور محمد يوسف الشيخ - رحمه الله تعالى - في بيان هذه الحقيقة والاستدلال عليها :

" لو اتحد شيء بآخر فإن الاحتمالات العقلية التي لا مفر من وجودها بعد الاتحاد كما يلي :-

أولا : أن يفنى الشيئان المتحدان ، ويزولا ، فلا اتحاد حينئذ .

ثانيا : أن يبقى الشيئان المتحدان بعد الاتحاد موجودين بذاتيهما ، فلا اتحاد أيضا .

ثالثا : أن يزول واحد من الشيئين ويبقى واحد ، وهذا لا يقال عنه اتحاد .

رابعا : أن يزول كل واحد منهما ، ويظهر شيء جديد ، فإن كان هذا الشيء الجديد غير الشيئين السابقين فلا اتحاد ، بل زال شيئان من الوجود ، ووجد شيء جديد واحد ، وإن كان هو عين الشيئين السابقين فلا اتحاد أيضا لبقاء الشيئين بعينهما ، وإن اجتمعا في شيء واحد، فيقال اجتمعا ولا يقال اتحدا .

فاتحاد الشيء بشيء مطلقا باطل ، سواء كان الشيئان ممكنين أو واجبين أو ممكنا وواجبا ." (1)

بل يمتاز بطلان اتحاد الممكن بالواجب بدليل آخر أقوى ، هو أنه "إذا اتحد الواجب بالممكن وقد بقي الواجب على وجوبه والممكن على إمكانه ، اجتمع الوجوب والامكان في شيء واحد ، وهو محال عقلا ، وإن زال وجوب الواجب

---

(1) نقلا عن د . حسين جابر موسى ، تنزيه الله تعالى في الفكر الاسلامي ص ٣١١ ( رسالة دكتوراه ) .

وامكان الممكن،صار الواجب ممكنا بالاتحاد، والممكن واجبا ، وهو محال أيضا ."[1]

وكما قلنا سابقا : إن القول بالحلول يتنافى مع العقيدة الصحيحة في الله، وما يجب له من التنزيه عن مشابهة المخلوقين واستغنائه عنهم ،فإن القول بالاتحاد هو الآخر يتنافى مع تلك العقيدة لما فيه من مخالفة لتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، واستغنائه عنهم .

ذلك أن الاتحاد بين شيئين ،بحيث يكونان شيئا واحدا يقتضي الامتزاج والتحول في كل منهما ويقتضي أيضا استكمال كل منهما بالآخر بدليل ضرورة الاتحاد بينهما . وهذه اللوازم -كما قلنا -باطلة في حق الله ؛ لمنافاتها للتنزيه، والكمال الالهي .

ويورد ابن كمونة اعتراضا -على لسان مخالفي النصارى -في بيان عدم معقولية الاتحاد ، ومايترتب على تصور النصارى للاتحاد بين اللاهوت والناسوت من محالات عقلية . فيقول :

"لمخالفي النصارى أن يقولوا : أما الاتحاد فهو غير معقول ،لأن الشيئين إذا اتحدا فإما أن يكونا موجودين أو معدومين ، أو أحدهما موجودا والآخر معدوما . فإن كانا موجودين فلم يتحدا ، لأنهما اثنان لا واحد ،وإن كانا معدومين فلا يصيران واحداً ، بل عدما ، وحدث ثالث ، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فظاهر أن ذلك ليس باتحاد ، فإن فسّر الاتحاد بمعنى الممازجة والمخالطة والتركيب ، فإن كان الأب والابن ذاتين غيرين،بحيث يتحد الابن وحده بالمسيح

---

(١) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية / أحمد محمد بناني (رسالة ماجستير) سنة ١٣٩٨هـ . ص ١١٥ .

دون الأب بالمعنى المذكور ، فهو يخالف اعتقاد التوحيد ، وإن كان الابن صفة ، فلا يعقل في الذات العالمة أن يصير كونها عالمة ممازجة لجسم من الأجسام دون الذات كما لا يعقل أن يكون زيد ببغداد وكونه عالما بخراسان . ثم علم كل شيء هو قائم به ، فيلزم أن يكون علم الله تعالى موجوداً فيه وفي المسيح دفعة واحدة ، فللصفة الواحدة في الحالة الواحدة موصوفان وهو محال . فإن لم يكن ( الله ) تعالى عالما حال الاتحاد، كان كونه عالما حكما جائزا فيفتقر إلى مخصص يخصصه ، وذلك يخرجه عن الالهية .

فالقول بالامتزاج باطل ، لأنه لا يعقل إلا في الأجسام ، والكلمة عندهم ليست بجسم ، فإن قالوا الممازجة بالتركيب الارتباطي، كالانسان الواحد من نفس وبدن ، فارتباط أحد الشيئين بالآخر لا يعقل، إلا باحتياج أحدهما الى صاحبه ، إما مع العكس، كاحتياج النفس الى البدن باعتبار ، واحتياج البدن إليها باعتبار آخر ، وأما من غير عكس كاحتياج صورة السرير إلى الخشب ، وعدم احتياج الخشب إليها ، لكن فيما نحن فيه يمتنع احتياج الجزء اللاهوتي إلى غيره بوجه من الوجوه . ولو كان الاتحاد لاحتياج الجزء الناسوتي الى اللاهوتي من غير انعكاس لكان مثل هذا الاتحاد حاصلا مع كل المخلوقات ، لأنها كلها محتاجة في وجودها وسائر كمالاتها إلى الله تعالى .

وكون الاتحاد كاتحاد نقش الفص بالشمع ، إن عُني به أن ذات المسيح صارت مثلا للبارئ فهو محال ، لاستحالة أن يصير الجسم المحدَث منزها قديما . وإن عُني به أنه حصلت له خاصية لأجلها قدر على مالم يقدر عليه غيره ، فليس يقتضي ذلك كونه إلها ، وإلا لكان كل من ظهر على يده معجزات من الأنبياء إلها ، لاسيما مثل

معجزات موسى ، فإنها أعظم بكثير مما يحكى عن معجزات المسيح ...»[1]

وغاية ماننتهي إليه في هذا المقام بطلان عقيدة الحلول والاتحاد عند النصارى -كما هي باطلة عند غيرهم - سواء في ميزان العقل أو في ميزان الدين ، وأن موقف ابن تيمية من النصارى في هذه العقيدة ، وهو موقف الرد والابطال موقف صحيح .

٤ - التأويل الصحيح لأقوال المسيح في علاقته بالله :

لقد أورد ابن تيمية ما استشهد به النصارى من نصوص الكتاب المقدس على عقيدتهم في الحلول والاتحاد ، وأبطل استشهاداتهم بهذه النصوص -كما رأينا - . ونلاحظ أن معظم ما أورده كان من أسفار التوراة .

والواقع أن للنصارى على عقيدتهم في الحلول والاتحاد استشهادات أخرى من الأناجيل ، لابدّ من بيان المعنى المراد منها ،على فرض صحة ورودها على لسان المسيح -عليه السلام - . وسوف يتبيّن لنا -إذا فهمناها على وجهها الصحيح -أنه لا دلالة فيها على مايزعمونه من حلول اللاهوت في ناسوت المسيح ، واتحاده به . وأن قصارى ماتدل عليه انما هو تلك العلاقة الخاصة التي تكون بين الله عز وجل ، وبين أحد أنبيائه ، من اختصاصه إياه بمحبته ، وتأييده ، واعتبار طاعته من طاعته ، وامداده اياه بروح منه ... إلى غير ذلك من المعاني اللازمة لانتساب المسيح الى الله ،باعتباره كلمته التي ألقاها الى مريم ، وروح منه .

---

(١) تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث .ص٥٤/٥٥ .

فمن هذه الشواهد التي تدل على اتحاد المسيح بالله - في زعمهم - ماجاء في انجيل يوحنا : "أنا والأب واحد"[1]

ويبيّن صاحب ( إظهار الحق ) التأويل الصحيح لهذه العبارة ، بما يبطل دلالتها على الاتحاد بين الله والمسيح ، وإلا للزم القول بالاتحاد بين الله والحواريين ، وهو أمر باطل - يبيّن ذلك فيقول :

"إن مثل هذا وقع في حق الحواريين ، كما جاء في انجيل ( يوحنا ): "ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الأب فيّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضا واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد ، أنا فيهم ، وأنت فيّ ليكونوا مكملين الى واحد ."[2]

فقوله : "ليكون الجميع واحداً" ، وقوله : "ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد" ، وقوله : "ليكونوا مكملين الى واحد" تدل على اتحادهم بالله .

وسوّى في القول الثاني "ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد" بين اتحاده بالله ، وبين اتحاده فيما بينهم . وظاهر أن اتحاده فيما بينهم ليس حقيقياً ، فكذا اتحاده بالله ، بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه ، والعمل بالأعمال الصالحة ، وفي نفس هذا الاتحاد : المسيح ، والحواريون ، وجميع أهل الإيمان متساوية الأقدام ، وانما الفرق باعتبار القوة والضعف . فاتحاد المسيح بهذا المعنى أشد وأقوى من اتحاد غيره .

---

(١) ١٠ : ٣٠ .

(٢) ١٧ : ٢١-٢٣ .

والدليل على كون الاتحاد عبارة عن هذا المعنى قول ( يوحنا ) في الباب الأول من رسالته الأولى ، وهو هكذا : " وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ، ونخبركم به أن الله نور ، وليس فيه ظلمة ألبتة . إن قلنا إن لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة نكذب ، ولسنا نعمل الحق ، ولكن إن سلكنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض ."(١)

ويستشهد النصارى على الوحدة - المزعومة - بين الله والمسيح ، بما جاء في انجيل ( يوحنا ) كذلك من قول المسيح : " الذى رآني فقد رأى الأب ، فكيف تقول أنت أرنا الأب ؟ ألست تؤمن أني أنا في الأب والأب فيّ ، الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي ، لكن الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال ."(٢) فيرون أن هذه النصوص دالة على اتحاد المسيح بالله .

ويبطل ( صاحب اظهار الحق ) أيضا دلالة هذا الكلام على ما يزعمه النصارى من حلول الله في المسيح ، واتحاده به ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول :

إن رؤية الله في الدنيا ممتنعة عندهم ، فيؤولونها بالمعرفة . ومعرفة المسيح باعتبار أن الجسمية أيضا لا تفيد الاتحاد . فيقولون : إن المراد بالمعرفة باعتبار الألوهية . . .

فبعد هذه التأويلات يقولون : إنه لما كان انسانا كاملا ، وإلها كاملاً ،

---

(١) ١ : ٥-٧ انظر الشيخ رحمة الله الهندى جـ٢ ص٤٩/ ٥٠ .

(٢) ١٤ : ٩-١٠ .

صحت أقواله الثلاثة بالاعتبار الثانى ( الألوهية ) وهو باطل ؛ لأن التأويـــــل يجب ألّا يخالف البراهين والنصوص .

<u>الوجه الثانى :</u>

إن الآية العشرين من الباب الرابع عشر من انجيل ( يوحنـــا ) هكذا : " فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فيّ وأنا فيكم . ". وقـــد عرفت أن المسيح قال فى حق الحواريين : "أنا فيهم وأنت فيّ" . وبديهـــــي أن حالّ الحالّ ، حالّ فى محل الحالّ .

والآية التاسعة عشرة من الباب السادس من الرسالة الأولى الى أهل كورنثـــوس هكذا : "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الـذي لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم . "

والآية السادسة عشرة من الباب السادس من الرسالة الثانية الى أهل كورنثـــوس هكذا : " وأيّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان ، فانكم أنتم هيكل الله الحى . . . "

والآية السادسة من الباب الرابع من الرسالة الى أهل أفسس هكذا :

"اله وأب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم . "

فلو كان الحلول مشعرا بالاتحاد ، ومثبتا للألوهية لزم أن يكون الحواريون ، بل جميع أهل كورنثوس ، وكذا جميع أهل أفسس آلهة . بل الحق أن الأدنـــى إذا كان من أتباع الأعلى ، كأن يكون رسوله ، أو عبده ، أو تلميذه ، أو قريبـــا من أقربائه . فالأمر المنسوب إلى الأدنى من التعظيم والتحقير ، والمحبة ، وغيرها ينسب إلى الأعلى مجازاً ؛ ولذلك قال المسيح -عليه السلام - فى حق الحواريين : " من يقبلكم يقبلني ، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني . "[1] ومثل هذا وقع فى القرآن

---

(١) انجيل متى ١٠ : ٤٠ .

المجيد أيضا : ( إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ... ")[1] الآية .

فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله . وأما حلول الغير في الله ، أو حلول الله فيه ، وكذا حلول الغير في المسيح ، أو حلول المسيح فيه ،فعبارة عن إطاعة أمرهما . وقد جاء في الباب الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا هكذا : " من يحفظ وصاياه يثبت فيه ، وهو فيه . وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا ." [2]

لقد كان على النصارى إذا كانوا حقا يأخذون عقيدتهم من نصوص كتابهم المقدس ألا يأخذوا ببعض هذه النصوص ، ويهملوا البعض الآخر ، فالكتاب المقدس يتضمن نصوصا تنزيهية ،تنزه الله عن مشابهة المخلوقين ، فكان ينبغي أن تجعل هذه النصوص هي الأساس الذى تفهم على ضوئه النصوص الأخرى ، الموهمة للحلول والاتحاد ، وذلك على نحو ما جعلنا قوله تعالى : ( ليس كمثله شيء ) أساسا ترد إليه جميع الآيات التي قد يفهم البعض منها مخالفتها للتنزيه .

ومن النصوص التنزيهية الواردة في الكتاب المقدس ،ما جاء في سفر التثنية من أسفار التوراة : " فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ، ولم تروا الشبه ألبتة ، ... فاحفظوا أنفسكم بحرص ،فإنكم لم تروا شبها يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار ." [3]

---

(١) سورة الفتح / آية ١٠ .

(٢) فقرة / ٢٤ انظر الشيخ رحمة الله الهندى جـ٢ ص٥١ / ٥٣ .

(٣) ٤ : ١٢، ١٥ .

وجاء في انجيل ( يوحنا ) أيضا مايدل على التنزيه :"الله لم يـــــــره أحد قط، الابن الوحيد الذى في حضن الأب هو الذى خبر"[١] ،بل قال مثـل ذلك أستاذه بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ،فإنه وصاه بحفظ الوصيـــــة إلى ظهور المسيح ، وقال عن هذا الظهور:"الذى سيبينه في أوقاته ،المبـــارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ،ورب الأرباب ، الذى له وحده عدم المـــــــوت، ساكنا في نور ،لا يدنى منه ،الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يـــــراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية ."[٢]

على هدى هذه النصوص التي تتضمن المخالفة بين الله ، وبين غيره ،وعدم رؤيته بناء على ذلك كان ينبغي أن تفهم النصوص الأخرى ،التي تتضمن ذكـــر الوحدة بين الله والمسيح ، على نحو ماشرحها صاحب إظهار الحق ،وعلى نحـــو مانقلنا عن ابن تيمية ،بحيث يظهر المعنى المراد من هذه النصوص ،بما يتفــق مع المعاني التنزيهية التي تدل عليها النصوص التنزيهية في الكتاب المقدس.

وبهذا يتضح بطلان استشهادات النصارى على عقيدة الحلول والاتحاد ، سواء من أسفار التوراة ،أو الأناجيل ،أو الرسائل . كما اتضح من قبل بطلانهـــا بالأدلة العقلية الصحيحة .

---

(١) ١: ١٨ .

(٢) ٦: ١٥، ١٦ .

# الفصل الثاني

## في

# عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته وإبطال ابن تيمية لها

## أ- اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى - وألوهيته، وأدلتهم على ذلك:

١- حقيقة المسيح في النصرانية الصحيحة.
٢- بدء انحراف المسيحية في حقيقة المسيح.
٣- عيسى - عليه السلام بين القائلين ببشريته، والقائلين ببنوته لله - تعالى وألوهيته: أولاً: القائلون ببشرية عيسى عليه السلام.
ثانياً: القائلون ببنوة عيسى - عليه السلام لله تعالى وألوهيته.
٤- أدلة القائلين ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى وألوهيته من الكتاب المقدس وبطلانها.

## ب- إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى وألوهيته:

١- إبطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح - عليه السلام - لله تعالى وألوهيته من الكتاب المقدس:
أولاً: إبطال أدلتهم من التوراة.
ثانياً: إبطال أدلتهم من الإنجيل.

٢- إبطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح - عليه السلام - لله تعالى وألوهيته بالقرآن الكريم.
٣- إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى وألوهيته لمخالفتها للعقيدة الصحيحة في الله.
٤- إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح عليه السلام - لله تعالى وألوهيته، لاستلزامها المحالات العقلية.
٥- إبطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على بنوة المسيح - عليه السلام - لله تعالى وألوهيته، بما يزعمونه من تميزه على غيره في كيفية وجوده ومعجزاته.

## جـ- التعقيب:

١- الجذور التاريخية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح عليه السلام لله تعالى وألوهيته.
٢- بشرية المسيح عليه السلام في الإنجيل، ودلالتها على بطلان بنوته لله تعالى وألوهيته.
٣- بطلان تأويل النصارى للخصائص البشرية عند المسيح عليه السلام.
٤- التأويل الصحيح لما وصف به المسيح - عليه السلام - في الأناجيل من صفات الألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى.
٥- دلالة القرآن الكريم على بشرية المسيح عليه السلام - وإبطاله لبنوته لله تعالى وألوهيته.

(( الفصل الثاني ))

## العقيدة النصرانية ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته وإبطال ابن تيمية لها

### أ - اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته وأدلتهم على ذلك :

#### ١ - حقيقة المسيح في النصرانية الصحيحة :

" المسيحية في حقيقتها الأصيلة - كما ينبئنا القرآن - ديانة توحيد ، تدعو الى عبادة الله الواحد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، وتقرر أن المسيح انسان من البشر ، أرسله الله تعالى كما أرسل الرسل من قبله ، وأن الارهاصات التي سبقت بعثته ، والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد رسالته ، هي من نوع الارهاصات والمعجزات التي يؤيّد الله تعالى بها رسله ، وأن خلقه بدون أب ليس إلا إرهاصا من هذه الارهاصات ( وليس في شيء من ذلك ما يرفعه عن مقام البشرية ) ، وأن أمه صديقة من البشر ، قد كرّمها الله ، فنفخ فيها من روحه ، فحملت بالمسيح ." (١)

قال تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه ، أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . } (٢)

والمسيح طوال سني دعوته لم يدّعِ يوماً ما أنه اله ، أو ابن اله .

وقد سجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى - حكاية لما سيقوله عيسى عن ذلك يوم القيامة - :

{ وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة ص٩٦ ، ٩٧ .
(٢) سورة الأنبياء / آية ٢٥ .

مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علّام الغيوب ماقلت لهم الاّ ما أمرتني بـــه أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفّيتني كنت أنـــت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . ) [1]

وقد حرص عيسى -عليه السلام- في أحاديثه مع الناس أن يدعو نفسه بلقـــب ( ابن الانسان ) ويتكرر هذا الوصف لنفسه على لسانه في كافة الأناجيل ، فهـــو أحد أبناء آدم ، وله نفس طبيعتهم ولد كما يولدون ، وعاش كما يعيشون . [2]

يقول الكاتب ( أميل لودفيج )- مؤكدا ذلك - في كتابه ( ابن الانسان ) :

" لم يفكر يسوع في أنه أكثر من نبي ، وليس بقليل أن يرى نفسه في بعـــض الأحيان دون النبي ، ولم يحدث أبدا من يسوع مايخيّل به الى السامع أن له خواطر وآمالاً فوق خواطر البشر وآمالهم . وماكان يسوع ليذهب الى أبعد من ذلك . . . . فإذا ماقال الناس عنه : إنه أحد الأنبياء راقه ذلك ، موجها أفكارهم الى ملكـــوت السموات . . .

والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه ، بقوله عن نفســـه إنه ( ابن الانسان ) . . . " [3]

ويتكرر لفظ ( ابن الانسان ) في الأناجيل في مواضع كثيرة ، منها :

ماجاء في انجيل (متّى ) :

" وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء ، وحينئذ تنوح جميع قبـــائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير . " [4]

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) انظر محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم إله ص ص ٢٢ / ٢٢٦ .

(٣) ترجمة عادل زعيتر ص ٩ نقلاً عن / محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص ٢٢٦ .

(٤) ٢٤ : ٣٠ .

وجاء فيه أيضا على لسان المسيح :

" ان ابن الانسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى بـه يسلّم ابن الانسان ، كان خيرا لذلك لو لم يولد ." (١)

ويروى فيه كذلك :

" ثم جاء الى تلاميذه ، وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا ، هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدى الخطاة ." (٢)

. . . . . وغيرها كثير (٣)

ومنها ماجاء فى انجيل ( مرقس) :

" ان ابن الانسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم ." (٤)

وماجاء فى انجيل (لوقا ) :

" ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم ان ابن الانسان سوف يسلّم الى أيدي الناس." (٥)

وجاء فيه كذلك على لسان المسيح :

" . . . لأن ابن الانسان لم يأتِ ليهلك أنفس الناس، بل ليخلص . . ." (٦)

ويروي (لوقا ) أيضا على لسان المسيح قوله :

" للثعالب أوجرة * ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الانسان فليس له أيـن

---

(١) ٢٠ : ٢٤ .

(٢) ٢٠ : ٤٥ .

(٣) انجيل (متّى ) نفسه ٨ : ٢٠ ، ١٨ : ١١ ، ١٩ : ١٢ ، ٨ : ٢٠ ، ٢٨ : ٢٦ ، ٤٥ : ٢٦ .

(٤) ١٠ : ٤٥ . وانظر كذلك فى الانجيل نفسه ٢ : ٢٨ ، ٩ : ٩ ، ١٤ : ٤١ .

(٥) ٩ : ٤٤ .

(٦) ٩ : ٥٦ .

* جمع أوجار . وهو ماكان كالكهف فى الجبل . انظر المنجد فى اللغة والأعلام ص ٨٨٨ .

يسند رأسه." (١)

ومنها ماجاء في انجيل ( يوحنا ) على لسان المسيح -عليه السلام- :

"الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون ، وينزلون على ابن الانسان ." (٢)

وجاء فيه أيضا :

" وكما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان" (٣)

ويوجد في الأناجيل الأربعة ثمانية وسبعون موضعا يستخدم فيها يسوع المسيح عبارة "ابن الانسان" تعبيرا عن نفسه ، وهي تدل على الانسانية الخالصة. (٤)

بل انه -عليه السلام- لم يصف نفسه بأنه صالح فضلا عن أن يكون إلهاً ، وأنكر على من وصفه بذلك قائلا له :

"لا تدعوني صالحا ، فليس أحد صالحا الا واحد ، وهو الله" (٥)

فبشرية المسيح حقيقة ثابتة بالقرآن ، شأنه في ذلك شأن بقية المرسلين ، بل وثابتة فيما روته الأناجيل الأربعة على لسان المسيح من كلمات رغم ماسنراه من انحراف تلك الأناجيل في حقيقته ، وتقريرها لبنوته لله تعالى وألوهيته.

---

(١) ٩ : ٥٨ . وانظر كذلك في الموضوع نفسه الاصحاحات التالية من انجيل (لوقا) أيضا : ٧ : ٣٤ ، ٩ : ٢٢-٢٦ ، ١٢ : ١٠ ، ١٧ : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١٨ : ٨ ، ١٩ : ١٠ ، ٢١ : ٢٧ ، ٢٢ : ٢٢ .

(٢) ١ : ٥١ .

(٣) ٣ : ١٤ . وانظر كذلك الاصحاحات الآتية من الانجيل نفسه : ٣ : ١٣ ، ٣١ ، ٥ : ٢٧ ، ٦ : ٢٧ ، ١٢ : ٢٣ ، ٣٤ .

(٤) انظر / قاموس الكتاب المقدس ص١٢٤ ( لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ) .

(٥) انجيل مرقس ١٠ : ١٧ ، ١٨ .

٢ - انحراف المسيحيين في حقيقة المسيح :

هذه هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسى -عليه السلام - ، ولكن مظاهر الشرك والانحراف أخذت تتسرب الى معتقدات بعض المسيحيين ، ولم يكن الانحراف عن مسار التوحيد الصحيح بعد المسيح ، وانما بدأ الانحراف عن التوحيد عند بعض الناس حتى في حياة المسيح نفسه ، ثم استمرّ هذا الانحراف فيما بعد ، في معتقدات الفرق المسيحية ، متأثراً أحيانا بالفلسفات القديمة ، وأحياناً برواسب ديانات ، ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية ، والتى احتك بأهلها المسيحيون ، ثم ببولس اليهودى ، وتأثيره الواضح في الديانة المسيحية عقيدة وشريعة ،كما سنشرح ذلك فيما بعد .

وبهذا انقسم المسيحيون الى طائفتين :

" طائفة جنحت عقائدها الى الشرك بالله ،بإثبات بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته .

وطائفة بقيت محافظة على التوحيد في عقيدتها ، بتقرير بشرية المسيح ،وعدم القول لا ببنوته ولا بألوهيته .

وضمّت كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة ." [(١)]

واستمر الوضع على ذلك سنين عديدة ، حتى تغلب الظلام على النور، والباطل على الحق ،وأصبحت المسيحية -كما نراها - اليوم تختلف اختلافا كليا عن مسيحية عيسى الصحيحة المنزلة من عند الله .

ولكن رغم ذلك " لم تَعدِم الأجيال المسيحية مصلحين ، حاولوا اصلاح المسيحية، وارجاعها الى طبيعتها النقية ، وأعلنوها على الملأ في صراحة ووضوح ،دون خوف

---

(١) الدكتور علي عبد الواحد وافي / الأسفار المقدسة ص٩٧ .

أو وجل ، ولاقوا في سبيلها الأهوال ، وذاقوا المقت والعذاب وان فشلت مساعيهم فيما كانوا يهدفون اليه من اصلاح . والأمثلة على ذلك كثيرة ."[1]

وسنعرض هنا لعقيدة كل فريق من هذين الفريقين بما فيها من تصورات مختلفة قبل أن نورد ردود ابن تيمية على القائلين ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته.

٣ - عيسى بين القائلين ببشريته والقائلين ببنوته وألوهيته :

أولا : القائلون ببشرية عيسى -عليه السلام- :

ليس من قصدنا في هذه العجالة الاحاطة بجميع الطوائف المسيحية الموحدة ، فهذا يحتاج الى مجلدات ، وانما نعرض لذكر بعضهم عبر العصور المسيحية ، حتى عصرنا الحاضر.

فمن هؤلاء الموحدين القائلين ببشرية المسيح :

(القديس برنابا الحواري) الذى شاهد ورافق المسيح الانسان ، فقد رفض القول بتأليهه ، وكتب انجيله الذى يشرح فيه الحقيقة للناس ، محذراً إياهم من قبول التعاليم المخالفة للتوحيد .

يقول برنابا في مقدمة انجيله :

"أيها الأعزاء ، ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة ، بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة ، للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ...."[2]

---

(١) محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص٥٤ .

(٢) ترجمة د . خليل سعادة ص٣ .

كما يورد لنا أيضا في انجيله اعلان عيسى -عليه السلام- للناس مؤكدا لهم عبوديته لرب العالمين ، مبرئا نفسه من ترهات المشركين والكافرين . يقول عيسى -عليه السلام-: "اني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني برئ من كل ما قال الناس عنّي ، من أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام "(١)

وذكر أيضا في موضع آخر من انجيله انه -عندما قال له بطرس : "إنك المسيح ابن الله " -غضب منه ، وانتهره قائلا له :

" اذهب وانصرف عني . . . "(٢)

وجاء في الفصل الثاني والخمسين من انجيله قول يسوع :

" إني أقشعرّ ، لأن العالم سيدعونني إلها ، وعليّ أن أقدّم لأجل هذا حسابا ، لعمر الله الذى نفسي واقفة في حضرته اني رجل فانٍ كسائر الناس. "(٣)

وجاء أيضا في انجيله على لسان المسيح قوله :

" وليكن ملعونا كل من يدرج في أقوالي إني ابن الله "(٤)

وقد كانت فرقة ( أبيون )* -من فرق اليهود المتنصرين -تعتبر المسيح مجرد

---

(١) الفصل الرابع والتسعون . الفقرات ( ٤ ، ٢ ، ٣ ) .

(٢) الفصل السبعون . الفقرات ٥ ، ٦ .

(٣) الفقرات من ( ١-٢ ) .

(٤) الفصل الثالث والخمسون فقرة ( ٣٥ ) .

* ذهب الأكثرون الى أنه لم يوجد شخص بهذا الاسم . وأصل هذا الاسم من أبيونيم بالعبرانية . ومعناه : الفقراء الى الله . أنظر بطرس البستاني / دائرة المعارف جـ ٢ ص ٦ ٤ ٣ . وقد سبق التعريف عنه في صفحة ٢٠ من هذه الرسالة .

بشر رسول ، وتنكر القول بألوهيته ، ولها انجيل مدوّن باللغة الآرامية يقرّ جميع شرائع موسى ، ويستغنون به عن كافة أسفار العهد الجديد . وهو من الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين .

وقد ظل لهذه الفرقة أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادى ثم انقرضت بعد ذلك .[1]

وجاء آريوس ـ قسيس الاسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادى ـ وأعلن أن الله وحده هو الاله الواجب الوجود . أما المسيح فهو غير مساوٍ للأب في الجوهر والعظمة ، وهو مخلوق بارادة الله حادث غير أزلي ، فحكم عليه ـ وأتباعه ـ مجمع نيقية ـ بتدخل من الامبراطور قسطنطين في ذلك الوقت ـ بالكفر والهرطقة والحرمان .

الآ أن ذلك لم يفتّ في عضد الآريوسية ، التى بقيت تقاوم وتقاوم ، وتعرضت بعد ذلك لانتصارات وانتكاسات . . . ولم يزالوا يقاومون حتى وجدوا ثقة قسطنطين وعطفه عليهم وذلك سنة ( ٣٢٨م ) ، حيث أمر بعودة آريوس وأشياعه من المنفى الى كنائسهم* وكان في ذلك الوقت ( اثناسيوس)[2] ( القائل بألوهية المسيح )

---

(١) أنظر : د . عبد المنعم الحفنى / الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٤٣ .
وأيضا : بطرس البستاني / دائرة المعارف جـ٢ ص٤٢٦ .

* لم يكن هذا من قسطنطين الآ رغبة منه في توطيد سلطانه السياسي في الشرق الذى كان يدين معظمه بالمذهب الآريوسي . فقد دافع قسطنطين عن مذهب التثليث الاثناسيوسي وأيّده طالما كانت عاصمته في روما ، حيث تدين الغالبية بالمذهب الاثناسيوسي . فلما احتاج الى نقل عاصمته الى القسم الشرقي الذى توجد به أكثرية مسيحية تعتنق مذهب آريوس ، أحضره ، وعفا عنه ، وألغى قرار طرده هو وأتباعه .
فهو على استعداد تام لتغيير ميوله الدينية وفق ماتتطلبه مصالحه السياسية .
أنظر : الدكتور رؤوف شلبى : يا أهل الكتاب ص٢١١/٢/١ ، ط٢ .

(٢) اثناسيوس ( ٢٩٥م-٣٧٣م ) من آباء الكنيسة ، حارب الآريوسية بعد المجمع =

بطريركا على الاسكندرية ، ـ وهو لا يقل شأنا عن بولس في تحريفه للمسيحية ـ فاشتد النزاع بينه وبين الآريوسيين حول ألوهية المسيح وبنوته ، حتى عقد مجمع صور سنة (٣٣٥م) فخلع ( اثناسيوس ) ، وقرر نفيه الى تريفس في جنوب غرب فرنسا .

وبقي ( اثناسيوس) في منفاه حتى موت ( قسطنطين ) ، الذى قسّم البلاد على أولاده الثلاثة : ( قسطنس ، وقسطنطنيوس، قسطنطين الصغير ) ، حيث قرر قسطنطنيوس تحت تأثير شقيقه قسطنطس اعادة اثناسيوس الى كرسي الاسكندرية .(١)

ومنذ ذلك التاريخ توالى أباطرة مناوئون للآريوسيين ، ولكن ذلك لم يقضِ على الحق ، ولم يزل بصيص النور موجودا حتى يومنا هذا .

ويعتبر الاعلان الذى صدر عام ١٦٠٥م واحدا من أهم المطبوعات التي انتجتها جماعة الليبراليين القائلة بأن :

الله واحد في ذاته ، وأن المسيح انسان حقيقي . . .(٢)

والأسقف نسطور كان هو الآخر ينكر ألوهية المسيح ، ويقرر أنه انسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ـ وان انحرف أتباعه من بعده ـ . ويشايعه في رأيه فلاسفة متأخرون مثل تولستوي ، ورينان . فضلا عن أساقفة متقدمين يشايعونه مثل : سابليوس ، وبولس السُمَيساطي .

---

= النيقاوى ، نفي خمس مرات . له مؤلفات لاهوتية عديدة . انظر منجد الأعلام ص٢٢ .

(١) أنظر المهندس أحمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص٢٤-٢٦ بتصرف .
وانظر كذلك ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٣ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص٤١ وارجع لأول مذكور .

وهذا هو أوريجانوس* يعلن - في وجه المؤلهين للمسيح - أن الله لا يدركه الفهم ، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالانسان ، وان الله لا يجزأ ولا يجسد، ولا يحصر. فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه.(١)

ويقول بولس السميساطي - بطريرك أنطاكية من عام ٢٦٠-٢٧٢م - :

"ان الله جوهر واحد وأقنوم . وان المسيح انسان محض".(٢)

وفي بولونيا نادى ( سرسينس) بوحدانية الله ، وبشرية المسيح ، مقررا أن الإله لا يحل في البشر.

وقد استمرت عقيدته هذه في طائفة الموحدين في بولونيا الذين قاموا يدعون الى تطهير المسيحية من أدران الوثنية ، وجهالة التجسيد . ولاقى أفراد هذه الطائفة من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم الى هجر وطنهم الى مختلف البلاد ، فلاحقهم العذاب أينما حلوا ."(٣)

---

* أوريجانوس : عالم من علماء الكنيسة (١٨٥-٢٥٤م) كان أبوه ( ليونيدس) من معلمي الفصاحة فاعتنى به وقرأ عليه تآليف أفلاطون والرواقيين والكتاب المقدس. تعاطى تفسير الدين المسيحي ، وأسفار الكتاب المقدس.
وأشهر تآليفه في دفاعه عن النصرانية وقد اعتبرها العلماء أكمل دفاع عن النصرانية قبل العصر النيقاوي . أنظر بطرس البستاني / دائرة المعارف جـ ٤ ص٦٣٧ ، ٦٣٩ .

(١) أنظر/المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص١٣٨ .

(٢) محمد مجدي مرجان / الله واحد أم ثالوث ص٥٤ .
وانظر كذلك : بطرس البستاني / دائرة المعارف جـ٥ ص٧٠٤ .

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص١٣٩ .

وفى أسبانيا يجهر المصلح الأسبانى - ( سرفتيوس ) برأيه فى وحدانية الله ، وانكار ألوهية المسيح ، فيتقرر احراقه حيّاً سنة ١٥٥٣م .[١]

ويقول الفيلسوف ( تولستوي ) - ردّاً على القول بألوهية المسيح - :

"إنه ينبغى لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقية - كما كان يفهمها هو - أن نبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة ، التى شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى أخفته عن الأبصار ، تحت طبقة كثيفة من الظلام .

إن أولئك الشرّاح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون على أقوال لاتدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله".[٢]

ولا يزال فى وقتنا الحاضر كنائس تؤمن بعقيدة التوحيد . فى هولندا وانجلترا ، وألمانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية .[٣]

**ثانياً : القائلون ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته :**

كان بجوار هؤلاء الموحدين ، آخرون كثيرون ممن دخلوا المسيحية وفيهم رواسب الوثنية ، ففهموا المسيحية على حسب ماعرفوه أولاً ، وتمثلوها حسبما استكنّ فى نفوسهم من آراء ومعتقدات سابقة ....

" وكانت العامة بين حبلين قويين ، وكل حبل فى يد عصبة من أولي القوة . فحبل التوحيد ، ومعه العقل ، ومعه الأصل ، ومعه السيادة للتوحيد . وحبل تأليه المسيح ، ومعه القوة ، حيث أخذ يجتذب اليه العامة ، وعمل على أخذهم

---

(١) انظر : محمد الغزالي / التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام / ص ١٠٢

(٢) محمد مجدى مرجان / الله واحد أم ثالوث ص١١٠ .

(٣) أنظر المهندس احمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص٦٢ .

بعاملين :

عامل الاستهواء : جاءهم من الناحية التي يحبونها ، وأرضى شهوتهم فيها ، وهي ناحية تقديس المسيح -عليه السلام -.

وعامل السلطان : وتمكينه من الرقاب ، وتغريب من لا يقول هذه المقالة واضطهاده ، وإبعاده عن حظيرة المسيحية ، ولعنه ، وطرده ، وتصويره للناس بصورة من لا يقدس المسيح ، ولا يرجوله وقارا وإجلالا .

كانت العامة بين هذين الحبلين ، وهذين العاملين مع فقْد الكتب المسيحية القاطعة في الاستدلال ، والتي توقف المغالين عند حدّ الاعتدال ، وقد كانت كفة التوحيد هي الراجحة حتى بعد مجمع نيقية ، لكن جاءوا بعد ذلك وأخفتوا صوت المنادين بالتوحيد ، وحيل بينهم وبين مايدعون اليه ، ولم يمكنوهم من أن تصل دعوتهم الى العامة ، فصار العامة لا يسمعون بعد ذلك الاّ جانبا واحدا ، وخاضعين لعامل واحد ، وهو الخروج عن نطاق التوحيد ، فتم للحكام والقسيسين ما أرادوا ، واختفى دين المسيح -عليه السلام - وقام دين البطارقة والقسيسين ."(1)

وقد تنبأ القديس ( بطرس) بوجود كثرة من المعلمين والمفسرين أمثال برنابا ممن ينكرون ألوهية المسيح .

ويصف بطرس هؤلاء المعلمين الموحدين بالكذب والضلال ، لإتيانهم بالبدع المهلكة ، ولكنه يقرر أن كثيرين من أفراد الشعب سيتبعون دعوتهم الكاذبة -على حد تعبيره - الى الوحدانية .

---

(1) الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات في النصرانية ص١٥٢ / ١٥٣ ط٣ .

يقول بطرس فى رسالته الثانية :

"كان أيضا فى الشعب أنبياء كذبة ، كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة ، الذين يدسون بدع هلاك ، وإذ هم ينكرون الرب ( يسوع ) الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا ، وسيتبع كثيرون تهلكاتهم . . ." (١)

ويعترف ( يوحنا ) بكثرة الذين خرجوا من صفوفهم ، معارضين تأليه الأقنوم الثانى ( المسيح ) ، ولكنه يقرر أن ذلك الإنكار ، وتلك المعارضة من علامات قيام الساعة ، وأن يوم القيامة قد أتى .

يقول يوحنا فى رسالته الأولى :

" قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون ، ومن هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة ، منّا خرجوا ، لكنهم لم يكونوا منّا ، لأنهم لو كانوا منّا لبقوا معنا . . . من هو الكذاب الذى ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح ، الذى ينكر الأب والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضا ، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضا ." (٢)

ويعلق الأستاذ / محمد مجدى مرجان - متهكما - على قول يوحنا هذا ، ويقول :

" وتمرّ تسعة عشر قرنا من الزمن لا تقوم فيها الساعة ، مخيبة نبوءة القديس يوحنا ، ويكثر عدد المنكرين لألوهية الابن ." (٣)

ويبدو أن هذه العقيدة ( عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته ) بدأت بدايتها الأولى فى حياة المسيح - عليه السلام - ، فقد نقلنا سابقا عن انجيل ( برنابا ) أن المسيح - عليه السلام - غضب من بطرس وانتهره قائلا له :

" اذهب وانصرف عنى " عند قول بطرس له : " انك المسيح ابن الله " .

---

(١) ٢ : ١ ، ٢ .
(٢) ٢ : ١٨-٢٤ .
(٣) الله واحد أم ثالوث ص٥٢ .

وكذلك تدل كلمات المسيح التي رواها عنه برنابا والتي قرّر فيها بشريته وعبوديته لله ، ولعن وتبرأ من كل مَنْ زعم أنه ابن الله ،أو أنه اله ـ تدل هذه الكلمات على أنه كان هناك من يقدسه على هذا النحو ،ويرفعه فوق مرتبة البشرية الى مرتبة البنوة والألوهية ،وأن المسيح ـ عليه السلام ـ قد توجّه الى هؤلاء باللعن والبراءة منهم ، مشهدا كل من في الأرض على اقراره ببشريته ، وخضوعه لكل أحكام البشرية كما نقلنا سابقا قوله من انجيل برنابا .

ولولا أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان يقابل من بعض الناس بمثل هذا التقديس لما قال هذه الكلمات منكرا عليهم غلوهم في حقه ، وتقديسهم له .

ثم كانت هناك تلكم الشخصية التي قامت بانماء هذه العقيدة ( عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته ) في عقول المسيحيين ،وقد أجادت دورها في ذلك أيما اجادة لتصل الى مبتغاها ، وهو هدم المسيحية معنويا من الداخل ، وتخريب عقيدتها ، والانحراف بها عن جادة التوحيد .

تلك الشخصية هي شخصية بولس اليهودي العدو اللدود للمسيحية وللمسيحيين ، والذي تنسب اليه المسيحية الحالية أكثر مما تنسب الى سواه حتى ان كلمة " الرسول " اذا أطلقت انصرفت ـ عندهم ـ اليه وحده ، ومع ذلك فقد بقي الى آخر أيامه يهوديا في عقله وخلقه كما يؤكد ذلك ( ول ديورانت )(١)

فلننظر في كيفية تقريره لعقيدة بنوة المسيح لله ـ تعالى ـ وألوهيته ، وبالتالي شيوعها بين الناس ، واعتقادهم بها ، حيث إن رسائله الأربع عشرة ـ والتي بدء في كتابتها منذ عام ٥٠م حتى نهاية عام ٦٥م ـ تعرض في صورة مفصلة الكثير من عقائد الديانة المسيحية ، وشرائعها ، وعباداتها ، وأخلاقها وتوجّه قسطا كبيرا من عنايتها

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم ١١ ص ٢٥٠ .

الى توضيح عقيدة ألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث ،بولس هذا - كما ذكرنا - قد كان له دور واضح في التحريف في الديانة المسيحية عقيدة وشريعة ،منـــذ أن دخلها بعد اختلاقه قصة دخوله فيها .[1]

فهو واضع أركان علم اللاهوت المسيحي ،وهو الذى ادّعى أن المسيح ابن الله، وأخذ يبشر بذلك .

" . . . وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله ."[2]

وأن له طبيعتين : الهية وانسانية ، تجسّد " واتخذ صورة عبد . . ."[3]

" لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه . . ."[4]

ويجاهر المؤرخ المسيحي ( هـ.ج .ولز ) معترفا أن بولس قد نقل الى الديانـة المسيحية الكثير من أفكار زمانه ومصطلحاته ، فهو الذى قال عن المسيح أنه ابن الله، وأنه نزل ليقدم نفسه قربانا ويصلب عن خطيئة البشر . يقول ولز :

" . . . بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة ، وهو لم ير عيســـــى ،

---

(١) لقصة دخول بولس في المسيحية تراجع الكتب الآتية :
أ - سفر الأعمال : ٩ : ٣-٦ .
ب - قصة الحضارة/ ول ديورانت جـ ٣ ص٢٥٢ / ٢٥٣ .
جـ - دائرة المعارف/ بطرس البستاني جـ٥ ص٦٩٩-٧٠٢ .
د - محاضرات في النصرانية /الشيخ محمد أبو زهرة ص٨٧ ط٣ .
هـ - النصرانية والاسلام / محمد عزت الطهطاوى ص٦٤ ٢ .

(٢) سفر أعمال الرسل ٩ : ٢٠ .

(٣) فيلبى ٢ : ٦، ٧ .

(٤) غلاطية ٤ : ٤ .

ولا سمعه ، وكان اسمه في الأصل شاول ، وكان من مضطهدي المسيحيين ، ثم اعتنق المسيحية فجأة ، وغيّر اسمه الى بولس ، وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه ، فنقل الى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومن ذلك قوله : أن المسيح ابن الله نزل ليصلب ، ويفدي البشرية ،[1] وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية .

وقد صادفت فكرة ألوهية المسيح أرضا خصبة في عقول الذين لهم معرفة بالفلسفات التي سبقت المسيحية ، وساعد على هذا ماصادفه المسيحيون من الاضطهادات المدمرة والتي استمرت أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣م ."[2]

"ان الأفكار التي بشّر بها بولس لم تكن غريبة عن دنيا الرومان وقتئذ ، فقد كانت عبادة الاله مشرا من الديانات المنتشرة ، والمسيح الاله هو صورة طبق الأصل من خصائص الاله مشرا . . ."[3]

وقد استطاع بولس بنشاطه ، وذكائه ، وحيلته البارعة ، وقوة تأثيره في نفوس الجماهير ، وسيطرته على مشاعرهم أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وأن يفرض ماارتآه على المسيحيين فيعتنقوه دينا ، ويتخذون قوله حجة واهمين أنه وحي أرسل به ، ورسالة قام بتبليغها ، فخدع التلاميذ المخلصين للمسيح ، وحملهم على نسيان ماضيه ، وأضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية التي كان تأثيرها شديدا على

---

(١) أنظر رسالة بولس الى أهل رومية ٨ : ٣ ، وغلاطية ٦ : ١٤ .

(٢) نقلا عن المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص(٢٦١/ ٢٦٢ دون أن يذكر المصدر الذى أخذ عنه النص.

(٣) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٢٥٠ .

الجماهير . . . "[1]

" أعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذى بشرت به ، أنه ليس بحسب انسان ، لأنى لم أقبله من عند انسان ، ولا علّمته ، بل باعلان يسوع المسيح . "[2]

وأشاع القول بألوهية المسيح ، وبنوته متأثرا - كما ذكرنا - بالمثراثية ، وغيرها من الديانات الوثنية السابقة التى كانت منتشرة ومعروفة عند اليهود والرومان .

" ومن الطريف المعجب أن الآباء المسيحيين عندما جبهوا بكثرة أوجه الشبه بين المسيحية والمثروية كان أقصى ما تفتقت عنه أذ هانهم الخصبة فى تعليل ذلك هو أن الشيطان بدأ محاربة الايمان الصحيح من قديم ، بأن جعل المثروية تحاكى سلفا الغوامض المسيحية المستقبلة . "[3]

وما إن ألقى بولس هذه البذرة " بذرة عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته " على الملأ حتى لقيت أرضا خصبة فترعرعت ونمت ، واعتنقها الجميع متأثرين بما سبقهم من ثقافات وفلسفات . وقد شاعت وذاعت هذه العقيدة التى أشاعها بولس حول ألوهية المسيح وبنوته حتى تسربت الى الأناجيل فقررتها وأصبحت بفعل تقريرها لها عقيدة عامة ، ليس فقط بمجرد اشاعتها بين الناس ، ولكن بتسجيلها فى الأناجيل التى كتبت خلال هذه الفترة ومن بينها الأناجيل الأربعة التى انتهى اليها

---

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / النصرانية والاسلام ص٩٤ .

(٢) غلاطيه ١ : ١١،١٢ .

(٣) عصام الدين حفنى ناصف / المسيح فى مفهوم معاصر ص٨٨ .

الاختيار في مجمع نيقية - كما ذكرنا من قبل - وإذا لم يكن لدينا شيء من الأناجيل التي أهدرت قيمتها في مجمع نيقية ، وحرّمت قراءتها ، ومن ثم لا نستطيع أن نذكر ماكان منها متضمنا لعقيدة التوحيد ، بريئا من القول ببنوة المسيح لله وألوهيته - على نحو ما رأيناه في انجيل برنابا - ، وماكان منها متضمنا النص على عقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته . فإننا يكفينا من هذا النوع الأخير ما ذكرته الأناجيل الأربعة من تلك العقيدة حتى أصبحت بذلك عقيدة مقررة بين المسيحيين - كما ذكرنا آنفا - وإن كنا نلاحظ أن هذه الأناجيل الأربعة تتفاوت في تقرير هذه العقيدة فبينما تقتصر الأناجيل الثلاثة ( متّى ومرقس ولوقا ) على تقرير عقيدة البنوة نجد انجيل يوحنا قد زاد عليها تقريره لعقيدة ألوهية المسيح أيضا منفردا وحده بتقرير هذه العقيدة .

وسوف نرجئ ذكر ما ورد في هذه الأناجيل من النصوص التي يستشهد بها المسيحيون القائلون ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته على عقيدتهم هذه إلى مكانها من الفقرة التالية التي سنتحدث فيها عن أدلة النصارى على عقيدتهم في البنوة والألوهية التي يأخذونها من كتابهم المقدس - في زعمهم - وذلك بعد أن ننتهي من هذا التأريخ ، لظهور تلك العقيدة واعتمادها في المجامع المقدسة ، ولدى الفرق المسيحية .

وأيّا كان الأمر فقد أصبح القول ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته - كما ذكرنا - عقيدة شائعة بين الناس ومقررة فيما بين أيديهم من الأناجيل التي يتعبدون بقراءتها ويأخذون عقيدتهم منها ، والتي بفضلها أخذت تلك العقيدة حظّها من الثبات والاستقرار في الأوساط المسيحية .

ورغم كل هذا فلم تخل تلك الحقبة من الموحدين الذين يقولون ببشرية المسيح ، وينفون عنه القول ببنوته لله - تعالى - وألوهيته على نحو ما رأيناه في عقيدة برنابا

الحوارى ، متمثلة فى انجيله ، وعلى نحو ماذكرناه عن أريوس قسيس الاسكندرية ، وفرقة أبيون فى اعتقادهم بوحدانية الله عز وجل وبشرية المسيح ، وأنه هو والروح القدس مخلوقان لا إلهان . وعلى نحو مارويناه عن نسطور وعن بولس السميساطى فى انكارهم ألوهية المسيح واقرارهم بانسانيته المحضة . . . وغيرهم كثير.[1]

وقد ظل الخلاف محتدما خلال هذه الفترة بين الموحدين وبين القائلين ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته ، حتى كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وفيه تقررت بصفة رسمية تلك العقيدة الأخيرة ووقفت الدولة فى صفها ضد القائلين ببشرية المسيح - عليه السلام - .

وفيما يتعلق بهذا المجمع وما اتخذ فيه من قرارات عقدية فقد سبق أن أرجأنا الحديث عن العقيدة التى قررها هذا المجمع الى موضعها هنا .

ويرجع انعقاد هذا المجمع - كما ذكرنا من قبل - الى سببين :

أولهما : عام ،

وهو اختلاف الطوائف المسيحية الأولى حول شخصية المسيح ، أهو رسول من عند الله كسائر الرسل ، أم له صلة خاصة بالله ، أكبر من مجرد كونه رسولا ، وهى صلة البنوة لله عز وجل .

ثانيهما : خاص ومباشر:

وهو مادار من خلاف بين داعية مصر آنذاك ( آريوس) المنكر لألوهية المسيح وبنوته لله تعالى ، والمقر بوحدانية الله ، وبين الكسندر بطريرك الاسكندرية الذى يتزعم القول بألوهية المسيح .

---

(١) انظر ص ٢٨٠ - ٢٨٥ من هذا الفصل .

وقد كان على مذهب آريوس خلق كثير ، وقد أخذ على عاتقه مقاومة كنيسة الاسكندرية ، فيما تبثّه بين الناس ، وتدعو اليه من ألوهية المسيح . فقام (آريوس ) محاربا ذلك ، مقرا بوحدانية المعبود ، منكرا ماجاء فى الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية .

ولم تألُ جهدا كنيسة الاسكندرية وبطاركتها فى محاربة ( آريوس) فى آرائه ، وحكمها عليه بالابعاد والطرد من الكنيسة .

وقد " شجر نزاع عنيف بين الآريوسيين ، وبين بقية رجال كنيسة الاسكندرية ، وانتقل النزاع الى بقية المدن ، وبلغ نبأ هذا النزاع أسماع الامبراطور قسطنطين ، وكان قد وطّد العزم على أن يحتفظ بوحدة الكنيسة صيانة لوحدة الامبراطورية ، فبعث ( هوسيوس) ، أسقف قرطبة فى أسبانيا برسالة الى الاسكندرية يرجو فيها زعماء الكنيسة فضّ هذا الاشكال ، إبقاء على وحدة المسيحية .

ولما عاد الأسقف الى الامبراطور أبلغه أن المسألة جد خطيرة ، وأقنعه بعقد مجمع الأساقفة لفضّ هذا النزاع وغيره من أسباب الخلاف الأخرى ." (١)

" فاجتمع فى مدينة نيقية عام ( ٣٢٥م ) ثمانية وأربعون وألفان أسقفا ، وكانوا مختلفي العقائد والآراء . فمنهم من يقول :

ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منّا فى جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسي صحبته النعمة ، فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، فلذلك سمي "ابن الله" .

ومنهم من يقول : ان المسيح وأمه الهان من دون الله .

---

(١) حبيب سعيد / فجر المسيحية ص١٤٩ .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ... الى آخر ما هنالك من تلك الآراء ."[1]

وافتتح المجمع تحت رئاسة ( قسطنطين ) الذى سمع مقالة كل فرقة وكان يهدئ من عنف الجماعات المتنازعة ، وأمرهم أن يتناظروا لينظروا الدين الصحيح ، لكنه جنح الى رأى القائلين بألوهية المسيح ، وأصدر الوثيقة الايمانية التى تنص على ما يأتى :

" نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شئ ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبيه ، قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شئ من أجلنا ، ومن أجل معشر البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسّد من روح القدس ، وصار انسانا ، وحبل به ، ولد من مريم البتول ، وقتل وصلب أيام بيلاطس ، ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجئ تارة أخرى بين الأموات والأحياء ...."[2]

وقد أصدر المجمع مرسوما امبراطوريا ، يحذّر كل من يخالف ذلك الميثاق وتلك العقيدة . هذا نصه :

" والجامعة المقدسة ، والكنيسة الرسولية ، تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وانه لم يوجد قبل ان يولد ، وانه وجد من لا شئ ، أو من يقول : ان الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول : انه قابل للتغيير ."[3]

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٣ ص٢٢، ٢٣ .

(٢) انظر : الشهرستانى / الملل والنحل جـ٢ ص٦٣ .

(٣) الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص٥ ١٤ ط٥ .

وهكذا تقررت عقيدة ألوهية المسيح ، وبنوته لله تعالى ، وأخذت طابعا رسميا ، تؤيده قوة السلطان التي أيّدت كنيسة الاسكندرية ، الممثلة للفلسفة الأفلاطونية . لكن ...

ما هو موقف الموحدين من قرارات مجمع نيقية ؟

وهل استسلموا لقرارات هذا المجمع ولم يقاوموها ؟

ان هذه القرارات ، وهذا الحرمان والطرد ، لم يفتّ في عضد الآريوسيين ، بل أخذوا يقاومون ويقاومون ، وتعرضوا نتيجة لذلك لانتصارات وهزائم ، بين مدّ وجزر ، حتى وجدوا ثقة قسطنطين ، وعطفه عليهم - كما ذكرنا من قبل - وذلك سنة (٣٢٨م) ، حيث أمر بعودة (آريوس) وأشياعه من المنفى الى كنائسهم ، وعقدوا مجمعا اقليميا في صور سنة (٣٣٥م) - لدفن قرارات مجمع نيقية - وقد حضره بطريرك الاسكندرية - آنذاك - (اثناسيوس) ، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذى يعتقد بألوهية المسيح ويدافع عنها .

وقد اشتد الخلاف بينه وبين الآريوسيين ، فوثبوا عليه ، وأوسعوه ضربا حتى كادوا أن يقتلوه .(١)

وانتهى الأمر بخلع (أثناسيوس) من كرسي كنيسة الاسكندرية ، ونفيه . وبقي في منفاه حتى موت قسطنطين الذى قسّم البلاد على أولاده الثلاثة - كما قلنا من قبل -(٢)

" وقد اشتدّ نفوذ الآريوسيين في عهد (قسطنطيوس) الذى وافق على طلبهم بتعيين (جريجوريوس) أسقفا على الكرسي الاسكندرى "(٣)

---

(١) انظر : ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٢٨ .
وكذلك : الدكتور احمد شلبي / المسيحية ص ١٤٠ .

(٢) انظر ص ٢٨٣ من هذا الفصل .

(٣) المهندس احمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص ٢٥ .

وأخيرا قرر ( قسطنطيوس) تحت تأثير شقيقه ( قسطنس) اعادة ( أثناسيوس) الى كرسى الاسكندرية الذى جعل العقيدة تقوم على الثالوث ، وحارب بعنف مخالفيه في الرأى والمعتقد ، واشتهر بقسوته على الآريوسيين ." [1]

و " ترجع كل المصائب التى لحقت بالعقيدة المسيحية ، وحولتها من التوحيد الى الشرك والتثليث الى تدخل الأباطرة الرومان ، الذين كان همهم الأول والأخير تثبيت حكمهم ، وفرض السلام على الامبراطورية بمختلف الوسائل ، ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة .

فهذا قسطنطين الوثني - كما رأينا - الذى اتخذ صفة عالم اللاهوت المسيحى ، وفرض على مجمع نيقية تلك الصيغة التى قررت ألوهية المسيح وأزليته ، وأنه من جوهر الله ." [2]

قسطنطين هذا الذى "كان يأمل أن يكون ملكا مطلق السلطان ... قد بدا له أن النظام الكهنوتى ، وسلطان الكنيسة الدنيوى يقيمان نظاما روحيا يناسب نظام الملكية ، وهيكل هذا النظام العجيب بما فيه من أساقفة ، وقساوسة ، يصبح أداة لتهدئة البلاد ، وتوحيدها ، وحكمها ...

لذا اضطر أن يتحسس كل خطوة يخطوها بحذر ؛ لأن الوثنية كانت هى الغالبة على العالم الذى يعيش فيه ، ولذلك ظل يستخدم ألفاظا توحيدية* يستطيع

---

(١) المهندس أحمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين ص٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص٣١ .

* يبدو أن ( ول ديورانت) لا يقصد بهذا الكلام الصيغ التى تدعو الى توحيد الله ، وإلا فإن ذلك لا يرضي الوثنيين بحال ، وانما يقصد صيغا توحّد بين المسيحية والوثنية ، بحيث لا ينفر منها الوثنيون ، وبحيث تتوحّد الامبراطورية المكونة من وثنيين ومسيحيين .

أن يقبلها كل وثني . فقام خلال السنين الأولى من سلطانه بتجديد بناء الهياكل الوثنية ، واستخدم في تدشين[1] القسطنطينية شعائر وثنية ومسيحية معا . . ." [2]

وقد تلا هذا المجمع مجامع مسكونية عديدة كلها قامت وأقرت القول بألوهية المسيح وبنوته ، وألوهية روح القدس .

ففي هذا المجمع ( مجمع نيقية ) -كما رأينا- تقررت عقيدة ألوهية المسيح وبنوته ، وفي مجمع القسطنطينية الأول المنعقد سنة ( ٣٨١م ) تقررت عقيدة ألوهية روح القدس كما سنفصل القول في ذلك في الفصل التالي .

أما مجمع أفسس الأول المنعقد سنة ( ٤٣١م ) فقد تقررت فيه عقيدة أن مريم العذراء القديسة ولدت "إلهنا ربنا يسوع ، الذي هو مع أبيه في الطبيعة الالهية ، ومع الناس في الطبيعة الناسوتية " .

وفي مجمع خلقيدونية المنعقد سنة ( ٤٥١م ) تقررت عقيدة أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين غير متحدة ، وخالفته في ذلك الكنيسة المصرية كعادتها ، حيث ذهبت الى أن المسيح ذو طبيعة واحدة . ومن هذا المجمع بدأ الانشقاق وتشعّب ، ولا زال حتى الآن ، ولن يلتئم أبدا .

وان هذه المجامع لم تقتصر على تقرير عقائدها تلك ، واقرارها على الناس ، وارغامهم على قبولها ، بل انها لجأت الى الجبروت فنفت ، وطردت ، وعذبت كل من خرج ويخرج عن قراراتها .[3]

---

(١) في افتتاح القسطنطينية ودخولها .

(٢) ول ديورانت / قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص٣٨٨-٣٨٩ بتصرف .

(٣) ابن تيمية / الجواب الصحيح ج٣ ص٣٧ بتصرف .

وقد تبنت الطوائف المسيحية القديمة - من ملكانية ونساطرة ويعاقبة - عقيدة بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته ، واستمرت الطوائف الحديثة ( الأرثوذكس والكاثوليك ... ) على نفس هذه العقيدة ، وليس لديهم من دليل عقلي يستندون اليه ، وكل ما يستندون اليه في تقريرها هو الكتاب المقدس.

فنجد فرقة الملكانية تذهب الى أن عيسى - عليه السلام - اله تام كله ، وانسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر ... وأن مريم ولدت الاله والانسان ، وأنهما معا شئ واحد ابن الله . - تعالى الله عن كفرهم -.

وهذا هو مذهب الكاثوليك في الابن ، حيث يقولون :

ان مريم ولدت يسوع المسيح الذى هو مع أبيه في الطبيعة الالهية ، ومع الناس في الطبيعة الانسانية . فهو طبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد.[1]

وأطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله - عز وجل - وعلى المسيح عليه السلام.[2]

وفرقة النساطرة مثل الملكانية في ذلك سواء بسواء الا أنهم قالوا : ان مريم لم تلد الاله وانما ولدت الانسان ، وان الله - تعالى - لم يلد الانسان ، وانما ولد الاله . وان اللاهوت قد غمر المسيح بعد ولادته . - تعالى الله عن كفرهم -.[3]

وان الابن والأب هما جوهران ، أقنومان ، طبيعتان . جوهر قديم ، وجوهر محدث ، اله تام ، وانسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحا واحدا ، مشيئة واحدة.[4]

---

(١) الشهرستاني / الملل والنحل جـ٢ ص٦٢ .

(٢) ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٤٩ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص٤٩ .

(٤) الشهرستاني / الملل والنحل جـ٢ ص٦٥ .

أما فرقة اليعاقبة ، ويمثلهم في الوقت الحاضر : الأرثوذكس . فيقولون :

"ان المسيح هو الله تعالى ، وان الله - تعالى عن عظيم كفرهم - مات وصلب، وقتل . وان العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان ، وان الله تعالى عاد محدثا ، وان المحدث عاد قديما وانه - تعالى - كان في بطن مريم محمولا به ." (١)

فمريم لم تلد انسانا عاديا - حسب اعتقادهم - بل ولدت ابن الله المتجسد ، لذلك هي حقا أم الاله .

وكان هذا الاتجاه حول طبيعة المسيح من الأسباب التي فصلت الكنيسة الشرقية ( الأرثوذكس) عن الكنيسة الغربية ( الكاثوليك ) .

وأيا كان اختلاف الطوائف المسيحية في تصورهم لبنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته - كما يزعمون - فانهم جميعا يستندون في عقيدتهم هذه - كما قلنا - الى ماورد تقريرا لها في الكتاب المقدس ، سواء في الأسفار القديمة ، أو الأناجيل الأربعة . وهي الأدلة التي سنعرضها في الفقرة التالية ، ونعقبها بابطال ابن تيمية لها فيما بعد .

٤ - أدلة القائلين ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته من الكتاب المقدس وبطلانها :

هذا هو تاريخ انحراف المسيحية عن خط التوحيد ، حتى أصبح المتدينون بها يدينون بالقول ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته .

وهم يستندون في تقرير عقيدتهم هذه الى مايزعمونه من أنهم لم يبتدعوها من تلقاء أنفسهم ، ولكنهم يقررون في شأنها ماقرره كتابهم المقدس ، فهي في

---

(١) ابن حزم / الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ١ ص٤٩ .

نظرهم عقيدة دينية أصيلة طبقا لما جاء في هذا الكتاب.

ويستشهد القائلون بذلك بنصوص من الكتاب المقدس سواء في عهديه القديم والجديد ، أو فيما يتضمنه هذا الكتاب من الرسائل والأسفار.

وسنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد في الأناجيل والرسائل ؛ لأننا وجدنا ابن تيمية قد أكثر من ذكر النصوص الواردة في التوراة التي استدل بها النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته ، وذلك في ردّه عليهم ، وابطاله لعقيدتهم كما سترى فيما بعد.

ومما جاء في تلك الأناجيل متضمنا القول ببنوة المسيح لله تعالى ، ما أورده ( متّى ) في انجيله :

" فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ." (١)

وقد جاء الصوت بنفس هذه الكلمات عند تجلي المسيح :

" وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيّرة ظللتهم ، وصوت من السماء قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا ." (٢)

---

(١) ٣ : ١٦ ، ١٧ .

(٢) انجيل متّى ١٧ : ٥ . وكذلك انجيل لوقا ٣ : ٢١ ، ٢٢ .
وانظر كذلك متّى ( ٢٦ : ٦٣-٦٦ ) حيث تحكي هذه الفقرات كيف أن كهنة اليهود قد حاكموا المسيح ؛ لأنه قال : انه ابن الله .

وحكى ( مرقس) في انجيله قصة الرجل الهارب الذي به روح نجسة ، فقال عنه : انه حين "رأى يسوع من بعيد ركض ، وسجد له ، وصرخ بصوت عظيم ، وقال : مالي ومالك يا يسوع ابن الله العلي . . ." (١)

واذا أتينا الى انجيل ( لوقا ) فإننا نجد فيه ما يستشهدون به على عقيدتهم هذه . من ذلك :

قول الملاك جبرائيل لمريم : " وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما ، وابن العلي يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ." (٢)

وقوله لها كذلك : " الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله ." (٣)

ويزيد ( يوحنا ) على ماتضمنته الأناجيل الثلاثة من تقرير بنوة المسيح لله تعالى - يزيد على ذلك تقريره لألوهيته أيضا كما ذكرنا من قبل .

ومما جاء في ذلك قوله : " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله . كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس ، والنور يضئ في الظلمة والظلمة لم تدركه .

كان انسان مرسل من الله اسمه ( يوحنا ) هذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته . لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور . كان النور الحقيقي

---

(١) ٥ : ٦ ، ٧ وكذلك ٣ : ١١ ، ٩ : ٧ ، ١٥ : ٣٩ .

(٢) ١ : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) انجيل لوقا ١ : ٣٥ . وانظر كذلك ٤ : ٤١ ، ٨ : ٢٨ ، ١٠ : ٢٢ .

الذى ينير كل انسان آتيا الى العالم ،كان فى العالم ، وكوّن العالم به ، ولم يعرفه العالم ،الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله . وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ،أى المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ، ولا من مشيئة جسد ،ولا من مشيئة رجل ،بل من الله .

والكلمة صار جسدا ،وحلّ بيننا ، ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الأب مملوءً نعمة وحقا .»[1]

وروى ( يوحنا ) على لسان المسيح ذكره لأبوة الله له، حيث قال مجيبا اليهود : «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل ،فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ؛ لأنه لم ينقض السبت فقط ، بل قال أيضا : ان الله أبوه معادلا نفسه بالله .

فأجابهم يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ،الا ما ينظر الأب يعمل ؛ لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك ،لأن الأب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ، وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم ،لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيى ، كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء . لأن الأب لا يدين أحدا ،بل قد أعطى كل الدينونة للابن ؛ لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب من لا يكرم الابن لا يكرم الأب الذى أرسله .

الحق الحق أقول لكم : ان من يسمع كلامى ،ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ،ولا يأتي الى دينونة ،بل قد انتقل من الموت الى الحياة . الحق الحق أقول لكم : إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون .»[2]

---

(١) ١ : ١٤ .

(٢) ٥ : ١٧-٢٥ . وانظر كذلك ١٠ : ٣٠-٣٨ ، ١١ : ٤ .

ولا يقتصر النصارى في الاستشهاد على عقيدتهم ببنوة المسيح لله تعالى من الأناجيل فقط ، بل يستشهدون على ذلك بما جاء في الرسائل أيضا . من ذلك ما جاء في رسالة بولس الى العبرانيين من قوله :

" فإذ لنا رئيس كهنة عظيم ، قد اجتاز السموات ، يسوع ابن الله فلنتمسك بالاقرار ." (١)

وجاء على لسان ( بولس) أيضا قوله : " مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا بل المسيح يحيا فيّ ، فما أحياه الآن في الجسد فانما أحياه في الايمان ايمان ابن الله الذي أحبني ، وأسلم نفسه لأجلي ." (٢)

وفي تعقيبنا على هذه النصوص نقرر هنا ما يأتي تفصيله في نهاية هذا الفصل من أن ألفاظ الأبوة والبنوة في الكتاب المقدس لم تكن معبّرة عن العلاقة بين الله والمسيح فقط ، بل بينه وبين غيره من الأنبياء ، بل وبقية المؤمنين . ومن ثم فليس أبوّة حقيقية أو بنوة حقيقية ، وانما هي تعبّر - لو صحت نسبتها الى الله والمسيح - عن علاقة القرب بين المسيح وبين الله ، واختصاص الله له بمحبته وتقريبه ، ولا شئ غير ذلك .

ومما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح ما وصف به المسيح نفسه - كما يزعمون - بالأزلية ، حيث روى عنه يوحنا من قوله لليهود :

" الحق أقول لكم : قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن ." (٣)

---

(١) ٤ : ١٤ وانظر كذلك الرسالة نفسها ١ : ١-٣ ، ١٠ : ١-١٢ ، ١٣ : ٨ .

(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطية ٢ : ٢٠ . وانظر كذلك ٤ : ٤ .

(٣) ٨ : ٥٧ .

وقوله أيضا : " والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذى كان لي عندك قبل كون العالم ." (١)

كما وصف المسيح نفسه بالوجود في كل مكان . من ذلك ماحكاه ( متّى ) في انجيله على لسان المسيح من قوله : " وأقول لكم أيضا : ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أى شئ يطلبانه ، فإنه يكون لهما من قِبل أبي الذى في السموات ؛ لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون في وسطهم ." (٢)

وكذلك وصف المسيح في الأناجيل بأنه ديّان الخلق أجمعين يوم الحساب . من ذلك : ماجاء من قوله لليهود :

" لأن الأب لا يدين أحداً ، بل قد أعطى الدينونة للابن " (٣)

ووصف المسيح نفسه بالعلم بكل شئ فقال :

" كل شئ قد دفع اليّ من أبي ، وليس أحد يعرف الابن الا الأب ، ولا أحد يعرف الأب الا الابن . ومن أراد الابن أن يعلن له ." (٤)

وأسند الى المسيح في أسفار النصارى قدرته على احياء الموتى . من ذلك : ماجاء في يوحنا (٥) حول قصة لعازر ، وكيفية احيائه ، واخراجه من القبر حيا ، حيث ذهب يسوع ومعه جماعة من اليهود الى القبر، وقد وضعت عليه الحجارة . فقال لهم يسوع :

" ارفعوا الحجر ، قالت له مرثا أخت الميت : ياسيد قد أنتن ؛ لأن له أربعة

---

(١) ١٧ : ٥ وانظر كذلك الانجيل نفسه ١٧ : ٢٤ .

(٢) انجيل متّى ١٨ : ١٩-٢٠ وانظر كذلك انجيل يوحنا ٣ : ١٣ .

(٣) انجيل يوحنا ٢٢ : ٢٣ .

(٤) انجيل متّى ١١ : ٢٧ .

(٥) ١١ : ٣٩-٤٤ .

أيام . قال لها يسوع : ألم أقل لك : ان آمنتِ ترين مجد الله، فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال : أيها الأب ، أشكرك لأنك سمعت لي ، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتني . ولما قال هذا ، صرخ بصوت عظيم : لعازر ، هلمّ خارجا فخرج الميت ، ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ، ودعوه يذهب ."

وطلب الى النصارى أن يتعبدوا باسمه كما يتعبدون باسم الله عز وجل ، ويقولون :

"عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس"[1]

ومن هنا قَبِل المسيح تأليهه من توما حين وصفه بالربوبية والألوهية ، وقال له :

"ربي والهي ، فقال له يسوع : لأنك رأيتني ياتوما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا ."[2]

وجاء في الرسالة الى العبرانيين مايستدل به المسيحيون على وصف المسيح بالقدرة على كل شئ . جاء في ذلك :

"الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذى جعله وارثا لكل شئ ، الذى به أيضا عمل العالمين الذى هو بهاء مجده ، ورسم جوهره ، وكل الأشياء بكلمة قدرته ، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الأعالي ."[3]

كما جاء في أسفار المسيحيين مايستدلون به على وصف المسيح بعدم الفناء

---

(١) انجيل متّى ٢٨ : ١٩ .

(٢) انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٦-٢٩ .

(٣) ١ : ١-٣ .

والتغيّر . من ذلك قولهم في شأن المسيح :

"أنت يارب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك ، هي تبيد ، ولكن أنت تبقى ، وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها فتتغير ، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى ."[(١)]

وجاء أيضا : "يسوع المسيح هو أمس واليوم والى الأبد "[(٢)]

هذا بعض ما تضمنه العهد الجديد من النصوص التي تقرر بنوة المسيح لله -تعالى- وألوهيته ، فاذا كان ماقررته من ذلك وارداً على ألسنة بعض المؤمنين بالمسيح سواء كانوا في عهده ، أو في عهد كتابة هذه الأناجيل والرسائل من بعده ، فانه يكون تصديقا لما قلناه من قبل من بدء هذه العقيدة في حياة المسيح عليه السلام .

أما ما أوردته تلك الأناجيل على لسان المسيح -عليه السلام- من ذلك ، فهو مما ألصق به وهو منه برئ ؛ لمنافاته لعقيدة التوحيد التي جاء بها كغيره من الرسل ، اذ يستحيل أن يصف المسيح نفسه بأوصاف الله عز وجل من الأزلية والأبدية ، والعلم المطلق بكل شئ ، والوجود في كل مكان . . . الى غير ذلك من الصفات والأفعال الخاصة بالله عز وجل .

واذا كنّا قد أقمنا الأدلة القاطعة على تحريف الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى ، فمن البديهي جدا أن تتضمن هذه الأسفار مايدل على العقائد المنحرفة التي انحرف اليها النصارى ، لكن وجودها في أسفارهم ليس دليلا على صحة تلك

---

(١) رسالة بولس الى العبرانيين ١ : ١٠-١٢ .

(٢) المرجع السابق ١٣ : ٨ .

العقائد ، فاذا دلت على أن عقائدهم الباطلة عقائد دينية مستقاة من أسفارهم ، فانها لا تدل على أن تلك العقائد صحيحة ، بل هي ونصوص الأسفار الدالة عليها من الأمور الباطلة في ميزان الدين والعقل الصحيح .

ولو فرض - جدلا - أن شيئا من هذه الأقوال قد جاء على لسان المسيح - عليه السلام - مما يتضمن وصفه لنفسه بالبنوة والألوهية ، فإنه بالضرورة ليس بالمعنى الذي يقصده المسيحيون من هذه الألفاظ ، فإن هذه الألفاظ قد وردت في الأسفار الكتابية بمعان أخرى ذكرها ابن تيمية في معرض ردّه على المسيحيين الذين يحتجون على قولهم ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بما ورد في أناجيلهم من النص على ذلك .

وكذلك فعل غيره من العلماء في إبطالهم لاستشهادات النصارى على عقيدتهم الباطلة هذه من الكتاب المقدس .

- لو فرض ذلك لابدّ وأن يؤول لفظ البنوة والألوهية في حق المسيح بما لا يتنافى مع العقيدة الصحيحة في الله والمسيح ، ككونه دالا على تكريمه وقربه من الله أو دالا على رئاسته الدينية وشرفه وكونه متكلما باسمه ، حاكما بحكمه ، عاملا بوصاياه ... الخ لاسيما اذا علمنا أن أسفار العهد القديم كانت تطلق لفظ البنوة على اسرائيل وعلى داود وغيرهما كما كانت تطلق لفظ الألوهية على موسى - عليه السلام - وعلى غيره من قضاة بني اسرائيل بهذه المعاني ، كما سيأتي تفصيل القول فيه عند تعقيبنا على هذا الفصل ، بذكر التأويلات الصحيحة لما ورد في الأناجيل من ألفاظ الأبوة والبنوة والألوهية ... الخ . ليست اذن بنوة المسيح وألوهيته - حتى ولو فرضت صحة هذه النصوص - بنوة وألوهية حقيقية ، بل مجازية يجب أن تؤوّل نصوصهما

بما لا يتضمن فسادا في العقيدة ، ولا مخالفة للتوحيد ، ولتتفق مع النصوص المحكمة في العقيدة .

زد على ذلك أن ما أوردناه هنا من نصوص - على فرض صحة نقله - لا بدّ وأن يفهم على ضوء بقية ما تضمنه الكتاب المقدس من خصائص البشرية للمسيح - عليه السلام - وسوف نتناول هذه الخصائص بالعرض والتحليل في تعقيبنا على هذا الفصل ، حيث يتبيّن لنا دلالة الكتاب المقدس على بشرية عيسى - عليه السلام - المنافية لألوهيته المزعومة .

أمّا ما أسند الى المسيح من أفعال الله - عز وجل - فهو نوع من التحريف الذى ألحقه المسيحيون بعقيدتهم التوحيدية الصحيحة . وما داموا قد انحرفوا فألّهوا المسيح فمن الطبيعي أن يضيفوا اليه أفعال الألوهية . واذا كان تأليههم المسيح اعتقادا باطلاً - كما سيأتي بيانه - ، فان اضافتهم اليه أعمال الألوهية يعدّ أمرا باطلا هو الآخر ، فإن مقتضى استحالة الألوهية في حق المسيح هو استحالة أفعالها في حقه كذلك .

والذى يتمعّن فيما يستدلون به هنا من نصوص ، يجد أنها لا تتضمن في الحقيقة وصف المسيح لنفسه بالأزلية - كما يزعمون - ، بل أقصى ما فيها تقدير الله لنبوته ، وتمجيده له في قدره السابق ، قبل أن يخلق الخلايق . وهذا أمر وارد في حق كل نبى من الأنبياء .

أما المعجزات كمعجزة إحياء الموتى ، فلم يفعلها المسيح باعتباره الهاً قادرا على كل شئ ، وانما فعلها بالقدرة التى منحها الله له ، وبعد أن تضرع الى الله الذى أرسله طالبا تأييده ، كما يبدو من النص السابق . وليس في هذا مايدل على ألوهيته ، ولكنه يدل على نبوته ، وتأييد الله له بهذه المعجزات .

أما مايزعمونه من جلوس المسيح على يمين الرب ، لديونة الخلائق ، فذلك أمر باطل . دفعهم اليه غلوهم في حق المسيح . فالله هو مالك يوم الدين ، وهو المتفرد بحساب الخلائق في ذلك اليوم .

ولو فرض وأن تعميد الناس انما يكون باسمه مع اسم الله والروح القدس - مما تضمنه انجيل متّى - فهذا ليس على سبيل المشاركة في الألوهية ، وانما على سبيل البركة باعتباره نبيًا لله .

وبديهي أن عيسى - عليه السلام - لا يمكن أن يرد على لسانه اقراره لـ ( توما ) في وصفه له بالألوهية ، وهو النبي الداعي الى التوحيد ، وسوف يجيب ربه يوم القيامة - اذا سأله عن تأليه الناس له - قائلا : ( ماقلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم )[١]

وغاية القول : إن مايستشهد به النصارى على عقيدتهم في المسيح - عليه السلام - إما أن تكون شواهد مكذوبة النسبة الى المسيح - عليه السلام - أو محرّفة في نقلها وترجمتها ، أو تكون متضمنة لألفاظ مؤولة لا ينبغي فهمها الا في ضوء استعمال الكتب المقدسة لها ، وعلى ضوء بقية النصوص الأخرى التي تتضمن النص على بشرية المسيح - عليه السلام - وغيره من الأنبياء .

وسوف يتضح بجلاء بطلان ما يستشهد به النصارى على عقيدتهم في المسيح ، بعد أن نعرض فيما يأتي ابطال ابن تيمية ، وغيره من العلماء لما يستدل به النصارى من أدلة أخرى غير تلك التي أوردناها وأبطلناها في هذا المقام .

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٧ .

ب - إبطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوّة المسيح لله - تعالى - وألوهيته :

يذكر ابن تيمية أن عقيدة اليهود والنصارى في شأن المسيح - عليه السلام - على طرفي نقيض .

فاليهود لم يعطوا المسيح حقه الذى منحه الله اياه ، فزعموا أنه ولد زنا ، وأنه كذاب وساحر ، ولم يؤمنوا به .

أما النصارى ، فقد غالوا في تعظيمه لدرجة تأليهه ، فقالوا عنه: إنه الله وابن الله ، بل صار من يقول فيه القول الحق من علمائهم ، وعبّادهم يجمعون لهم مجمعا ، ويلعنونهم فيه على وجه التعصب ، واتباع الهوى ، والغلو فيمن يعظمونه .(1)

ويبطل ابن تيمية عقيدة النصارى هذه في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته ، وأدلتهم عليها من جهات متعددة .

فهو يبطلها بإبطال أدلتهم عليها من الكتاب المقدس - عندهم - . وكذلك بابطال استدلالهم عليها - في زعمهم - بالقرآن الكريم .

وهو يبطلها كذلك بما يكشف عنه من تناقضها مع عقيدتهم هم في الله فضلا عن تناقضها مع العقائد الصحيحة في النبوات الصادقة ، سواء قبل المسيح وبعده .

وهو يبطلها كذلك ببيانه لما تستلزمه تلك العقيدة من تناقضات ومحالات عقلية .

ثم يبطلها أخيرا ببطلان استناد النصارى في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته الى مايصدر عنه من معجزات ، يفضل بها غيره من الأنبياء ، وتدل على ألوهيته كما يزعمون .

وهكذا يتعقّب ابن تيمية هذه العقيدة فيبطلها من مختلف الجهات .

---

(1) انظر / الجواب الصحيح جـ٢ ص٨٨ .

وفيما يلي تفصيل هذا الاجمال :

١ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم بالكتاب المقدس :

المقصود هنا - كما يقول ابن تيمية : بيان بطلان احتجاج النصارى على أن المسيح هو الله ، أو ابن الله ، أو أنه كلمة الله الخالقة . وأنه ليس لهم في ظاهر القرآن ولا باطنه حجة ، كما ليس لهم حجة في سائر كتب الله ، وانما تمسكوا بآيات متشابهات ، وتركوا المحكم[١] كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب . وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"[٢]

والآية - كما يقول ابن تيمية - نزلت في النصارى[٣] فهم مرادون من الآية قطعا .[٤]

وقبل أن يتوجّه ابن تيمية بإبطالاته التفصيلية لاستدلالات النصارى على عقيدتهم بكتابهم المقدس ، يوجّه لهذا الاستدلال نقضا اجماليا يبطل به اعتمادهم من حيث المبدأ في اثبات تلك العقيدة على النصوص التي يأخذونها من هذا الكتاب ؛ لما يلزم ذلك من الدور الباطل . فيقول :

إن "اثبات النصارى أن المسيح هو الله إمّا أن يكون بالعقل أو بالسمع ، والعقل لا يثبت ذلك ، بل يحيله ، وهم لا يدّعون ثبوت ذلك بالعقل . - بل غاية ما يدّعون إثبات إمكانه بالعقل لا إثبات وجوده مع أن ذلك أيضا باطل - وانما يدّعون

---

(١) أنظر تعريف المحكم والمتشابه هامش ص ٥٤١ ، ٥٤٢ من هذه الرسالة .

(٢) سورة آل عمران / آية ٧ .

(٣) على أحد الأقوال . انظر الرازي / التفسير الكبير المجلد الرابع جـ ٧ ص ١٨٧ .

(٤) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٣٠٤ .

ثبوت وجوده بالسمع ، وهو ماينقلونه عن الأنبياء من ألفاظ يدّعون ثبوتها عن الأنبياء ، ودلالتها على أن المسيح هو الله - كسائر من يحتج بالحجة السمعية ، فان (غايته)[1] بيان صحة الاسناد دون بيان دلالة المتن . وكلا المقدمتين باطلة - . ولكن يقال لهم - في هذا المقام -:

" أنتم لا يمكنكم اثبات كون المسيح هو الله الا بهذه الكتب ، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب الا باثبات أن الحواريين رسل الله معصومون ، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله الا باثبات أن المسيح هو الله ، فصار ذلك دورا ممتنعا .*

فإنه لا تعلم الهية المسيح الا بثبوت هذه الكتب ، ولا تثبت هذه الكتب الا بثبوت أنهم رسل الله ، ولا يثبت ذلك الا بثبوت أنه الله ، فصار ثبوت الالهية متوقفاً على ثبوت الهيته ، وثبوت كونهم رسل الله متوقفا على كونهم رسل الله ، فصار ذلك دورا ممتنعا ."[2]

فليس للنصارى حجة لا في ظاهر نصوص الكتب المقدسة ولا باطنها كما سيبيّن لنا ذلك ابن تيمية .

وسنستعرض في هذا المقام إبطال ابن تيمية لاستدلالات النصارى على بنوة المسيح وألوهيته بالتوراة ثم بالانجيل .

---

(١) في الكتاب ( المرجع ) مكتوبة ( عامة ) ولا يستقيم المعنى بذلك .

* الدور هو : توقف الشيء على نفسه ، أي يكون هو نفسه علة لنفسه ، بواسطة أو بدون واسطة . والدور مستحيل بالبداهة العقلية .

أنظر : عبد الرحمن الميداني / ضوابط المعرفة /ص٣٣٢ط٢ .

(٢) الجواب الصحيح جـ١ ص٣٥٧ .

أولا : ابطال أدلتهم من التوراة :

أ - يستشهد النصارى على عقيدتهم ببنوة المسيح لله - تعالى - وأبوة الله له، وبالتالى على ألوهية المسيح - يستشهدون ببعض نصوص التوراة التى تتضمن هذه الألفاظ الدالة على تلك العقائد ، فقد قالوا - كما ذكر عنهم شيخ الاسلام - :

" نحن معشر النصارى لم نسم المسيح بهذه الأسماء من ذات أنفسنا ، بل الله سماه بها ، وذلك أنه قال على لسان موسى النبى فى التوراة مخاطبا بنى اسرائيل: "أليس هذا الأب الذى صنعك وبراك واقتناك"[(١)] [(٢)]

أى أن اسم الأب ، أو كلمة الأب قد استعملت فى التوراة بالنسبة لله - عز وجل - ، فلم يكونوا - فى نظر أنفسهم - هم المبتدعين لتلك الكلمة فى حق الله - عز وجل - ولا ما تستتبعه تلك الكلمة من البنوة بالنسبة للمسيح .

وقد أجاب ابن تيمية على ذلك بقوله :

إن فى هذا الكلام أنه سماه أبا لغير المسيح - عليه السلام - وهذا نظير قوله لاسرائيل : "أنت ابني بكرى"[(٣)] ، ولداود "ابني وحبيبي"[(٤)] وقول المسيح : "أبى وأبيكم"[(٥)] . وهم يسلّمون أن المراد بهذا فى حق غير المسيح بمعنى الرب ، لا بمعنى التولّد الذى يخصّون به المسيح .

ثم إن هذا الدليل الذى يستدلون به على بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

---

(١) النص موجود فى سفر التثنية ( ٣٢ : ٦ ) ولفظه : "أليس هو أباك ومقتنيك ، هو عملك وانشأك".

(٢) نقلا عن الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٢١ .

(٣) سفر الخروج ٤ : ٢٢ و ٢٣ .

(٤) مزمور ٨٩ : ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

هو حجة عليهم ، فاذا كان فى الكتب المتقدمة تسميته أبا لغير المسيح ، وليس المراد بذلك الا معنى الرب ، علم أن هذا اللفظ فى لغة الكتب يراد به الرب ، فيجب حمله فى حق المسيح على هذا المعنى ، لأن الأصل عدم الاشتراك فى الكلام، وأن استعماله فى المعنى الذى خصوا به المسيح ، انما يثبت اذا علم أنه أريد به المعنى الذى ادعوه فى المسيح ، فلو أثبت ذلك المعنى بمجرد اطلاق لفظ الأب لزم الدور . فانه يعلم أنه أريد به ذلك المعنى ، من حيث يثبت أنه كان يراد به فى حق الله هذا المعنى ، ولا يثبت ذلك حتى يعلم أنه أريد به ذلك المعنى فى حق المسيح. فاذا توقف العلم بكل منهما على الآخر لم يعلم واحد منهما . فتبين أنه لا علم عندهم بأنه أريد فى حق المسيح بلفظ الأب ما خصوه به فى محل النزاع .

ثم انه لا يوجد فى كتب الأنبياء وكلامهم اطلاق اسم الأب ، والمراد به أب اللاهوت ولا اطلاق اسم الابن ، والمراد به شئ من اللاهوت ، ولا كلمته ولا حياته ، بل لا يوجد لفظ الابن الا والمراد به المخلوق ، فلا يكون لفظ الابن الا لابن مخلوق ، وحينئذ فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن فى حق المسيح هو الناسوت ، وهذا يبطل قولهم :

ان الابن وروح القدس صفتان لله ، وان المسيح اسم للاهوت والناسوت .

فتبيّن أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى ، وتناقض أمانتهم ... [1]

ب ـ قالوا (أى النصارى ) : وقال داود فى الزبور فى المزمور المئة والعاشر :

" قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئ قدميك " [2]

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢٣ .

(٢) فقرة / ١ .

ووجه استدلالهم بهذا الدليل هو قولهم :

"لا يمكن أن نجد لهذا التعبير حلا ، من غير الايمان بالمخاطبة الأزلية بين الأب والابن ، واليقين بأن الله الناطق كان يكلّم ذاته الالهية ".[1]

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك من وجوه :

"أحدها:

انه لا يجوز أن يراد بربى شيئا من صفات الله ، فانه لم يسمِ داود ولا أحد من الأنبياء شيئا من صفات الله ربا ولا ابنا ، ولا قال أحد لشئ من صفات الله : يارب ارحمني ، ولا قال لعلم الله أو كلامه أو قدرته : يارب . واذا لم يكونوا يسمون صفات الله ربا ، فلو كان المسيح صفة من صفاته لم يجز أن يكون هو الله المراد بلفظ الرب ، فكيف وناسوته أبعد عن اللاهوت أن يراد بذلك ؟

فعلم أنهم لم يريدوا - داود وغيره - بذلك لا اللاهوت ولا الناسوت .

الثاني:

انه قال : "قال الرب لربى . . ." فأضاف اليه الثاني دون الأول ، لأنه هو ربه الذى خلقه ، وعامة ماعند النصارى من الغلو أن يقولوا :

إله حق من إله حق ، ويجعلونه خالقا بأن يجعلوه أحق من الأب بكونه ربّ داود .

فهذا لم يقولوه . وهو ظاهر البطلان .

الثالث:

انه قال "لربي" ، وهذا يراد به السيد ، كما قال يوسف : ( إنه ربي أحسن مثواى )[2] ، وقال لغلام الملك : ( أذكرني عند ربك )[3] ، وقال تعالى :

(١) القس الياس مقار / ايماني أو قضايا المسيحية الكبرى ص١١٧ .
(٢) سورة يوسف / آية ٢٣ .
(٣) " " /آية ٤٢ .

( فأنساه الشيطان ذكر ربه )[1]

ولهذا ذكر الأول مطلقا ، والثاني مقيدا ، فيكون المعنى : وقال الله لسيدى ، قال رب العالمين لسيدى ، وسماه سيدا تواضعا من داود ، وتعظيما له لاعتقاده أنه أفضل منه"[2]

جـ - ومن النصوص التي استشهد بها النصارى على عقيدتهم من التوراة ماجاء على لسان داود في الزبور الثاني من قوله : "قال لي (الرب) : انت ابني وأنا اليوم ولدتك "[3]

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك من وجوه :

"أحدها :

ان هذا ليس فيه تسمية صفات الله ( علمه وحياته ) ابنا ، وليس فيه حجة لشيء مما تدّعونه .

الثاني :

ان هذا حجة عليهم ، فإنه سمى داود ابنا ، فعلم أن اسم الابن ليس مختصا بالمسيح -عليه السلام- بل سمى غيره من عباده ابنا ، فعلم أن اسم الابن ليس لصفاته ، بل هو اسم لمن رباه من عبيده .

وحينئذ فلا تكون تسميته ابنا لكون الرب أو صفته اتحدت به ، بل كما سمى داود ابنا ، وكما سمى اسرائيل ابنا فقال : "أنت ابني بكرى" ، وهذا في كتبهم كذلك في كتبهم ، فلا حجة فيه ؛ لأن قول غير المعصوم ليس بحجة .

---

(١) سورة يوسف / آية ٤٢ .

(٢) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٣٧/٢٣٨ .

(٣) فقرة /٧ .

الثالث :

إن قوله : " وأنا اليوم ولدتك " يدل على حدوث هذا الفعل . وعندهم تولّد الكلمة ـ التي سموها الابن ـ من الأب قديم أزلي ، كما قالوا في أمانتهم :

" وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مساو الأب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء . "

فهذا الابن عندهم مولود من الأب قبل كل الدهور ، وذلك ولده في يوم خاطبه بعد خلق داود ، فلم يكن في هذا المحدَث دليل على وجود ذلك القديم .

الرابع :

انه اذا كان الأب في لغتهم هو الرب الذي يربّي عبده أعظم مما يربي الأب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة ، فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا .

والنصارى قد يجعلون الخطاب الذي هو ضمير لغير المسيح ، يراد به المسيح . فقد يقولون : المراد بهذا المسيح . وهذا باطل ، لا يدل اللفظ عليه .

وبتقدير صحته فهو يدلّ على أن المسيح هو الناسوت المخلوق ، وهو المسمى بالابن . كقوله : " وأنا اليوم ولدتك " ، واللاهوت عندهم مولود من قبل كل الدهور . وحينئذ فإن كان المراد به : يوم ولادته ، فالمعنى خلقتك ، وإن كان يوم اصطفاءه ، فالمراد : اليوم اصطفيتك واجتبيتك ، كأنه قال : اليوم جعلتك ولداً وابنا على لغتهم . " (1)

---

(1) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٣٨ / ٢٣٩ .

وغاية مايقال للنصارى فى احتجاجهم بما ورد فى التوراة من ألفاظ البنوة والأبوة والولادة أن كل هذه الألفاظ تستعمل فى حق غير المسيح ، فلها إذن معنى غير المعنى الذى يريده النصارى فى حق المسيح ، فلا وجه عند النصارى فى أن يتحكموا ويفرضوا ما يفرضونه من المعاني لتلك الألفاظ خاصة بالمسيح ، مادامت ترد بمعان أخرى ، هذا لو صحّ ورود تلك الألفاظ ، فما بالك ورواية غير المعصوم لا يمكن القطع بصحة ثبوتها ، ومن ثَم لا يمكن الاحتجاج بها .

**ثانيا : إبطال أدلتهم من الانجيل :**

يستشهد النصارى على عقيدتهم فى بنوة المسيح لله ، وأبوة الله له ، وبالتالي على ألوهية المسيح - يستشهدون ببعض نصوص الأناجيل التى تتضمن هذه الألفاظ دالة على تلك العقائد ، فقالوا - كما ذكر عنهم شيخ الاسلام[1] - بورود ذلك فى الانجيل فى قوله :

"عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس "[2]

وقد ردّ ابن تيمية على ذلك بقوله :

" هذا النص هو عمدتكم على ماتدعونه من الأقانيم الثلاثة ، وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصاً ولا ظاهراً ، فان لفظ الابن لم يستعمل قط فى الكتب

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٢١ .

(٢) متّى ٢٨ : ١٩ .

الالهية في معنى صفة من صفات الله ، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله ابنه ، ولا سموا كلامه ابنه ، ولكن عندكم أنهم سموا عبده أو عباده ابنه أو بنيه ، وإذا كان كذلك فدعواكم أن المسيح أراد بالعلم ابن الله ، وكلامه ، دعوى في غاية الكذب على المسيح، وهو حمل للفظ على مالم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا ، فأي كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا . ولو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله لسميت حياته ابنا ، وقدرته ابنا ، فتخصيص العلم بلفظ الابن دون الحياة خطأ ثان لو كان لفظ الابن يستعمل في صفة الله ، فكيف إذا لم يكن كذلك . . .

بل ظاهر هذا الكلام أن يعمدوهم باسم الأب الذي يريدون به في لغتهم الرب ، والابن الذي يريدون به في لغتهم المربّى ، وهو هنا المسيح . والروح القدس الذي أيّد الله به المسيح من الملك والوحي وغير ذلك . وبهذا فسّر هذا الكلام من فسّره من أكابر علمائهم . "(١)

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ١٣١ - ١٣٤ بتلخيص .

٢ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على عقيدتهم بالقرآن الكريم :

يستدل النصارى على صحة عقيدتهم في بنوة المسيح لله -عز وجل- بما يدّعونه ويتأوّلونه كما دتهم من آيات الكتاب الحكيم فيقولون :

( ١ ) "انه قد جاء في هذا الكتاب - يقصدون القرآن الكريم - الذي جاء به هذا الانسان - أي محمد صلى الله عليه وسلم - : ( انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه )[(١)] ويقولون :

وهذا يوافق قولنا : "ان المسيح لاهوت وناسوت" ، إذ قد شهد ( القرآن ) أنه انسان مثلنا بالناسوت الذي أخذ من مريم ، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه . وحاشا أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين . فأشار بهذا الى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة ."[(٢)]

وقد ردّ ابن تيمية على استشهادهم هذا في كتابه الجواب الصحيح[(٣)] بقوله : "ان دعواكم - أيها النصارى - على محمد صلى الله عليه وسلم أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت كما تزعمون أنتم فيه . هي من الكذب الواضح المعلوم على محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي يعلم من دينه بالاضطرار كما يعلم من دينه تصديق المسيح - عليه السلام - واثبات رسالته .

فلو ادعى اليهود على محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يكذّب المسيح - عليه السلام - ويجحد رسالته ، كان كدعوى النصارى عليه أنه كان يقول : انه ربّ العالمين ، وان اللاهوت اتحد بالناسوت ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر فيما بلغه

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١ .

(٢) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٧٩ .

(٣) جـ٢ ص٢٧٩ / ٢٨٠ بتصرف قليل .

عن الله -عز وجل - بكفر من قال ذلك ، وبما يناقض ذلك في غير موضع . كقوله تعالى :
( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا . . . ) الآية[1]
وقوله تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )[2]
وقوله تعالى : ( وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون )[3]
الى غير ذلك من أمثال هذه الآيات .

فكيف يزعمون أن القرآن يثبت لاهوت المسيح وهو يكفّر صراحة -كما رأينا- من يثبت بنوته لله -تعالى- وألوهيته .

(٢) ويقولون أيضا في استدلالهم على ألوهية المسيح بآيات الكتاب الكريم في موضع آخر : ان الله قد سماه كذلك في هذا الكتاب ( خالقا ) ، حيث قال :
( وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني )[4]

فأشار ( والكلام للنصارى ) بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذة من مريم ؛ لأنه كذا قال على لسان داود النبي -عليه السلام- :

---

(١) سورة المائدة / آية ١٧ .
(٢) سورة المائدة / آية ٧٢ .
(٣) سورة التوبة / آية ٣٠ .
(٤) سورة المائدة / آية ١١٠ .

" بكلمة الله خلقت السموات والأرض "[1] أى ليس خالق الا الله ، وكلمته ، وروحـــــه .

ويقولون :

وهذا مما يوافق رأينا ، واعتقادنا فى السيد المسيح لذكره ؛ لأنه حيث قال :

( أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . . "الآية[2]

أى باذن اللاهوت الكلمة المتحدة فى الناسوت .[3]

وقد أجاب ابن تيمية على ذلك بقوله :

" ان جميع مايحتج به النصارى من هذه الآيات - وغيرها - هو حجة عليهـــم

لا لهم . وذلك من وجوه :

الوجه الأول :

ان الله لم يذكر عن المسيح خلقا مطلقا ، ولا خلقا عاما . كما ذكــر

عن نفسه تبارك وتعالى ، فأول ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلـــم

( اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علـــم

بالقلم . علم الانسان مالم يعلم )[4]

وقال تعالى : ( هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى ... )الآية[5]

---

(١) مزمور ٣٣-٦ ولفظه " بكلمة الرب صنعت السموات ، وبنسمة فيه . . . " .

(٢) سورة آل عمران / آية ٤٩ .

(٣) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٨٧ .

(٤) سورة العلق / آية ١-٥ .

(٥) سورة الحشر / آية ٢٤ .

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبيّن أنه قال له : ( كن ) فكان ، وهذا تفسير قوله ( كلمة منه ) .

وقال : ( اسمه المسيح عيسى بن مريم ) ، فأخبر أنه "ابن مريم" ، وأخبر أنه وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، وهذه كلها صفة مخلوق . والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شيء من ذلك .

وقال تعالى على لسان مريم : ( أنّى يكون لي ولد ) ، فتبيّن أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم ، لا ولد الله سبحانه وتعالى . . .

فمع هذا البيان الواضح الجلي ، هل يظن ظان أن مراده بقوله : ( وكلمته* ) أنه اله خالق ، أو أنه صفة لله قائمة به ، وأن قوله : ( وروح منه ) المراد به : أنه حياته ، أو روح منفصلة من ذاته ؟ !"(1)

ويستمر ابن تيمية في الرّد عليهم فيقول :

"أمّا قوله : ( وكلمته )* فقد بيّن مراده ، أنه خلقه بـ ( كن ) ، وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر ، فيسمى المخلوق خلقا ، كقوله تعالى : ( هذا خلق الله ) . ويقال : درهم ضرب الأمير ، أي مضروب الأمير ؛ ولهذا يسمى المأمور به أمرا ، والمقدور قدرة وقدرا ، والمعلوم علما ، والمرحوم به رحمة . . . . .

ثم يقال للنصارى : فلو قدّر أن المسيح نفس الكلام ، فالكلام ليس بخالق ، فان القرآن كلام الله وليس بخالق ، والتوراة كلام الله وليست بخالقة ، وكلمات الله كثيرة وليس منها شيء خالق ، فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقا ( ولا رباً ولا الهاً ) فكيف وليس هو الكلام ، وانما خلق بالكلمة ، وخصّ باسم الكلمة ؛

---

(1) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٩٩/ ٣٠١ بتلخيص .

* أي في قوله تعالى : ( ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . . . ) من سورة النساء آية / ١٧١ التي عقّب عليها شيخ الاسلام بهذا الكلام .

الوجه الثاني :

انه خلق من الطين كهيئة الطير . والمراد به :

تصويره بصورة الطير . وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس ؛ فانه يمكن أحدهم أن يصوّر من الطين كهيئة الطير ، وغير الطير من الحيوانات . والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرا باذن الله -عز وجل - وليس مجرد خلقه من الطين ، فان هذا أمر مشترك .

الوجه الثالث :

ان الله أخبر أن المسيح انما فعل التصوير المحرم والنفخ باذنه تعالى ، وأخبر المسيح -عليه السلام - أنه فعله باذن الله ، وأخبر الله أن هذا من نعمه التي أنعم بها على المسيح -عليه السلام - ، كما قال تعالى : ( ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل )[1]

وقال تعالى له : ( ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني واذ تخرج الموتى بإذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات . . . ) الآية[2]

وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله ، وانما هو عبد الله ، فعل ذلك بإذن الله ، كما فعل مثل ذلك غيره من الأنبياء . وصريح بأن الآذن غير المأذون له ، والمعلِّم ليس هو المعلَّم ، والمنعِم عليه وعلى والدته ليس هو اياه ، كما ليس هو والدته .

---

(١) سورة الزخرف / آية ٥٩ .

(٢) سورة المائدة / آية ١١٠ .

الوجه الرابع :

إنهم قالوا : أشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت، ثم قالوا في قوله : ( بإذن الله ) أي باذن الكلمة المتحدة في الناسوت . وهذا يبيّن تناقضهم وافتراءهم على القرآن ؛ لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله ، ففرّق بين المسيح وبين الله ، وبيّن أن الله هو الآذن للمسيح . وهؤلاء زعمهم أن مراده بذلك أن اللاهوت المتحد بناسوت المسيح هو الخالق ، وهو الآذن ، فجعلوا الخالق هو الآذن ، وهو تفسير للقرآن بما يخالف صريح القرآن .

الوجه الخامس :

إن اللاهوت اذا كان هو الخالق لم يحتج الى أن يأذن لنفسه ، فانهم يقولون : هو اله واحد ، وهو الخالق ، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه ، وينعم على نفسه ؟ !

الوجه السادس :

ان الخالق اما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام ، أو الكلام الذى هو صفة للذات ، فإن كان هو الكلام ، فالكلام صفة لا تكون ذاتا قائمة بنفسها خالقة ، ولو لم تتحد بالناسوت ، واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً ، فكيف وهو ممتنع؟ !

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام ، فذاك هو الله الخالق لكل شئ ربّ العالمين ، وعندهم هو الأب ، والمسيح عندهم ليس هو الأب فلا يكون هو الخالق لكل شئ ، والقرآن يبيّن أن الله هو الذى أذن للمسيح حتى خلق من الطين كهيئة الطير ، فتبيّن أن الذى خلق من الطين كهيئة الطير ليس هو الله ، ولا صفة

من صفاته ،فليس المسيح هو الله ،ولا ابن قديم أزلي لله ،ولكن عبده فعل باذنه .

الوجه السابع :

قولهم : فأشار بالخالق الى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذ من مريم ، لأنه كذا قال على لسان داود النبي : "بكلمة الله خلقت السموات والأرض". فيقال لهم :

هذا النص عن داود حجة عليكم ،كما أن التوراة والقرآن ،وسائر ماثبت عن الأنبياء حجة عليكم ،فان داود -عليه السلام- قال : "بكلمة الله خلقت السموات والأرض" ولم يقل : ان كلمة الله هي الخالقة ،كما قلتم أنتم : انه أشار بالخالق الى كلمة الله .

والفرق بين الخالق للسموات والأرض وبين الكلمة التي بها خلق السموات والأرض أمر ظاهر معروف ، كالفرق بين القادر والقدرة . فإن القادر هو الخالق ، وقد خلق الأشياء بقدرته ،وليست القدرة هي الخالقة ....

فالله تعالى يخلق بقدرته ومشيئته وكلامه ،وليست صفاته هي الخالقة .

الوجه الثامن :

إن قول داود -عليه السلام- "بكلمة الله خلقت السموات والأرض" يوافق ماجاء في القرآن والتوراة ، وغير ذلك من كتب الأنبياء . ان الله يقول للشيء : ( كن فيكون ) ،وهذا في القرآن في غير موضع ،وفي التوراة قال الله : "ليكن كذا، ليكن كذا"

الوجه التاسع :

قولهم : لأنه ليس خالق الا الله وكلمته وروحه ،

ان أرادوا بكلمته كلامه ،وبروحه حياته فهذه من صفات الله ، كعلمه

وقدرته ، فلم يعبر أحد من الأنبياء عن حياة الله بأنها روح الله ، فمن حمل كلام أحد من الأنبياء بلفظ الروح انه يراد به حياة الله ، فقد كذب عليه ، ثم يقال : هذا كلامه وحياته من صفات الله كعلمه وقدرته ، وحينئذ فالخالق هو الله وحده وصفاته داخلة في مسمى اسمه ، لا يحتاج أن تجعل معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن بأن الله له شريك في خلقه ، فان الله لا شريك له . ولهذا لما قال تعالى : ( الله خالق كل شئ ) ، دخل كل ماسواه في مخلوقاته ، ولم تدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه ، لأن هذه داخلة في مسمى اسمه ليست أشياء مباينة له .....

وان أرادوا بكلمته وروحه المسيح ، أو شيئا اتحد بناسوت المسيح ، فالمسيح -عليه السلام- كله مخلوق كسائر الرسل ، والله وحده هو الخالق ...

الوجه العاشر:

إن داود -عليه السلام- لا يجوز أن يريد بكلمة الله المسيح ؛ لأن المسيح عند جميع الناس هو اسم للناسوت ، وهو عند النصارى اسم اللاهوت والناسوت لما اتحدا ، والاتحاد فعل حادث عندهم ، فقبل الاتحاد لم يكن هناك ناسوت ولا مايسمى مسيحا ، فعلم أن داود لم يرد بكلمة الله المسيح ، ولكن غاية النصارى أن يقولوا : أراد الكلمة التي اتحدت فيها -أي مريم- بجسد المسيح ، لكن الذي خلق بإذن الله هو المسيح ، كما نطق به القرآن بقوله : ( ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ) .[1]

فالكلمة التي ذكرها ، وانها هي التي بها خلقت السموات والأرض ليست

---

(١) سورة آل عمران / آية ٤٥ .

هى المسيح الذى خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله .

فاحتجاجهم بهذا ( أى بأن المسيح باعتباره كلمة الله خلق أشياء ) على ( الكلمة الخالقة باذنه ) هذا احتجاج باطل . بل تلك الكلمة التى بها خلقت السموات والأرض لم يكن معها ناسوت حين خلقت باتفاق الأمم ، والمسيح لابد أن يدخل فيه الناسوت ، فعلم أنه لم يرد بالكلمة المسيح .(١)

( ٣ ) ويستشهد النصارى أيضا على صحة بنوة المسيح لله وألوهيته بقوله تعالى : ( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ... ) الآية(٢)

فقالوا :

قد عنى بقوله : ( مثل عيسى ) اشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة ، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح ، انما ذكر عيسى فقط .

وكما أن آدم خلق من غير جماع ومباضعة ، فكذلك جسد المسيح خلق من غير جماع ولا مباضعة ، وكما أن جسد آدم ذاق الموت ، فكذلك جسد المسيح ذاق الموت .

وقالوا كذلك :

وقد يبرهن على عقيدتنا أيضا بما ذكره القرآن عن المسيح من أن الله ألقى كلمته الى مريم ، وذلك حسب قولنا : ان كلمة الله الأزلية الخالقة حلت فى مريم وتجسدت بانسان كامل .(٣)

---

(١) أنظر الجواب الصحيح جـ٢ من ص٢٨٧ الى ص٢٩٣ .

(٢) سورة آل عمران / آية ٥٩ .

(٣) أنظر : ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٩٤ .

وقد أجاب ابن تيمية عن ذلك بما يأتي :

أولا :

"ان قوله تعالى : ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ) . كلام حق . فانه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ؛ ليبيّن عموم قدرته ، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر ، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى ، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ، فانّ حواء خلقت من ضلع آدم ، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا ، وهو أصل خلق حواء ؛ فلهذا شبّهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح ، فاذا كان سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الانسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الانسان ؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب ، ثم قال له ( كن ) فكان لما نفخ فيه من روحه ، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه ، وقال له ( كن ) فكان . ولم يكن آدم بما نفخ من روحه لا هوتا وناسوتا ، بل كله ناسوت ، فكذلك المسيح كله ناسوت .....

وهذا كله يبيّن به أن المسيح عبد ليس باله ، وأنه مخلوق ، كما خلق آدم .

وقد أمر ( الرسول صلى الله عليه وسلم ) أن يباهل[1] من قال انه اله فيدعو كل من المتباهلين أبناءه ونساءه وقريبه المختص به ، ثم يبتهل هؤلاء وهؤلاء ويدعون الله

---

(١) معنى المباهلة : نبتهل أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا . والبُهلة والبَهلة بالضم والفتح : اللعنة . وقد جاء في شأن المباهلة مايلي :

" قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ، ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر =

أن يجعل لعنته على الكاذبين ، فان كان النصارى كاذبين فى قولهم : هو اللــه ، حقّت اللعنة عليهم . وان كان من قال ليس هو الله بل عبد الله كاذبا ، حقّت اللعنة عليه ، وهذا انصاف من صاحب يقين يعلم أنه على الحق .

والنصارى لمّا لم يعلموا أنهم على حق نكلوا عن المباهلة . وقد قال تعالى عقب ذلك : ( إن هذا لهو القصص الحق وما من إله الا الله . . . ) الآية[1] تكذيبا للنصارى الذين يقولون : هو اله حق من اله حق . فكيف يقال : انه أراد أن المسيح

= اليهم يؤول أمرهم : العاقب : أمير القوم ، وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذى لا يصدرون الا عن رأيه ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ، لهم ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة ، أحد بنى بكر بن وائل ، أسقفهم ، وحبرهم ، وإمامهم ، وصاحب مدراسهم . . . . .

وناظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، وأنزل فيهم صدر سورة آل عمران ، ولمّا ظهرت حجته عليهم ، وتبيّن لهم أنه رسول الله اليهم ، أمره الله ان لم يجيبوه أن يدعوهم الى المباهلة ، فقال تعالى :
( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ) سورة آل عمران / آية ٦١ .

فلما دعاهم الى المباهلة طلبوا أن يمهلهم حتى يشتوروا ، فاشتوروا ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون أنه نبى ، وأنه ما باهل قوم نبيا إلا نزل بهم العذاب ، فاستعفوا من المباهلة فصالحوه ، وأقرّوا له بالجزية عن يد وهم صاغرون " لمّا خافوا من دعائه عليهم ، لعلمهم أنه نبى ، فدخلوا تحت حكمه ، كما يدخل أهل الذمة الذين فى بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله ، وأدّوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون وهم أوّل من أدّى الجزية من النصارى ."
أنظر ابن هشام / السيرة النبوية جـ٢ ص ٥٠ ، ٦٠ ، ٦١ .
وانظر كذلك / ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ١ ص ٥٠ ، ٥٧ .
وانظر كذلك عن المباهلة مسند الامام أحمد جـ١ ص ٤١٤ .

(١) سورة آل عمران / آية ٦٢ .

فيه لاهوت وناسوت ، وأن هذا الناسوت فقط دون اللاهوت ؟ .

وبهذا ظهر الجواب عن قولهم : أعني بقوله ( عيسى ) اشارة الى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة ؛ لأنه لم يذكر الناسوت ها هنا اسما للمسيح ، انما ذكر عيسى فقط .

فانه يقال لهم : عيسى هو المسيح بدليل قوله تعالى : ( انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ... ) الآية[1]

وقوله تعالى : ( ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ... ) الآية[2]

فأخبر أن المسيح ليس هو ابن الله وانما هو ابن مريم ، والذى هو ابن من مريم هو الناسوت ، وأنه ليس الا رسول .

وقال تعالى : ( وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . )[3]

وقال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا . )[4]

ثانيا :

وقولهم : " وقد يبرهن أيضا ( أى على عقيدتهم فى المسيح من أنه اله وابن اله ) بما ذكره القرآن عن المسيح من أن الله ألقى كلمته الخالقة الى مريم ،

---

(١) سورة النساء / آية ١٧١ .

(٢) سورة المائدة / آية ٧٥ .

(٣) سورة التوبة / آية ٣٠ .

(٤) سورة المائدة / آية ١٧ . وانظر هذا الرد فى الجواب الصحيح جـ٢ص٢٩٤- ٢٩٦ بتلخيص.

وذلك حسب قولنا نحن معشر النصارى : ان كلمة الله الخالقة الأزلية حلت فى مريم ، واتحدت بانسان كامل ."[1]

فيقال لهم :"أما قول الله فى القرآن فهو حق ، ولكن ضللتم فى تأويله كما ضللتم فى تأويل غيره من كلام الأنبياء ، وما بدّلتموه عن الله ، وذلك أن الله تعالى قال : ( اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت ربّ أنّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر . قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . )[2]

ففى هذا الكلام وجوه تبيّن أنه مخلوق ، ليس هو مايقوله النصارى ، منها : أنه قال ( بكلمة منه ) ، وقوله : ( بكلمة منه ) نكرة فى الاثبات ، يقتضي أنه كلمة من كلمات الله ، ليس هو كلامه كله كما يقوله النصارى .

ومنها : أنه بيّن مراده بقوله : ( بكلمة منه ) أنه مخلوق ، حيث قال : ( كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون )[3]

وقال فى الآية الأخرى : ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )[4]

وقال تعالى أيضا : ( ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون )[5]

---

(١) نقلاً عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٩٤ .

(٢) سورة آل عمران / آية ٤٥-٤٧ .

(٣) " " " ٤٧ .

(٤) " " " ٥٩ .

(٥) سورة مريم / آية ٣٤ .

فهذه ثلاث آيات في القرآن تبيّن أنه قال له : ( كن ) فكان ، وهذا تفسير كونه ( كلمة منه ) .

وقال : ( اسمه المسيح عيسى بن مريم ) ، فأخبر أنه "ابن مريم" ، وأخبر أنه وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، وهذه كلها صفة مخلوق . والله تعالى وكلامه الذي هو صفته لا يقال فيه شئ من ذلك .

وقال تعالى على لسان مريم : ( أنّى يكون لي ولد ) ، فتبيّن أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم ، لا ولد الله سبحانه وتعالى . . .

فمع هذا البيان الواضح الجلي ، هل يظن ظان أن مراده بقوله : ( وكلمته* ) أنه اله خالق ، أو أنه صفة لله قائمة به ، وأن قوله : ( وروح منه ) المراد به : أنه حياته ، أو روح منفصلة من ذاته ؟ ! "[1]

ويستمر ابن تيمية في الرّد عليهم فيقول :

"أمّا قوله : ( وكلمته* ) فقد بيّن مراده ، أنه خلقه بـ ( كن ) ، وفي لغة العرب التي نزل بها القرآن أن يسمى المفعول باسم المصدر ، فيسمى المخلوق خلقا ، كقوله تعالى : ( هذا خلق الله ) . ويقال : درهم ضرب الأمير أي مضروب الأمير ؛ ولهذا يسمى المأمور به أمرا ، والمقدور قدرة وقدرا ، والمعلوم علما ، والمرحوم به رحمة . . . . .

ثم يقال للنصارى : فلو قدّر أن المسيح نفس الكلام ، فالكلام ليس بخالق ، فان القرآن كلام الله وليس بخالق ، والتوراة كلام الله وليست بخالقة ، وكلمات الله كثيرة وليس منها شئ خالق ، فلو كان المسيح نفس الكلام لم يجز أن يكون خالقا ( ولا رباً ولا الهاً ) فكيف وليس هو الكلام ، وانما خلق بالكلمة ، وخصّ باسم الكلمة ؛

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص٢٩٩/٣٠١ بتلخيص .

* أى في قوله تعالى : ( ياأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . . . ) من سورة النساء آية / ١٧١ التي عقّب عليها شيخ الاسلام بهذا الكلام .

لأنه لم يخلق على الوجه المعتاد الذي خلق عليه غيره ، بل خرج عن العادة ، فخلق بالكلمة من غير السنّة المعروفة في البشر."[1]

ولنا في هذا المقام كلمة :

بعد ردود ابن تيمية على النصارى فيما يستشهدون به على عقيدتهم من آيات القرآن ، فاذا كانوا يستشهدون بآيات القرآن على أنها من كلام الله ، أو من كلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فليأخذوا جملة العقيدة التي أوحى بها الله أو العقيدة التي يعتقدها محمد صلى الله عليه وسلم - ليأخذوا ذلك من جميع نصوص القرآن الواردة في الموضوع ، فلا يقتصرون على جملة هنا أو جملة هناك ، فالتعبيرات القرآنية عن المسيح بأنه كلمة الله أو روح من الله ، لا بدّ وأن تفهم على ضوء الآيات الأخرى التي تنفي ألوهية المسيح وبنوته ، وتكفّر من يقول بهما ، والتي تثبت براءة المسيح ممن يؤلّهه أو يؤلّه أمه ، والتي تثبت كذلك اعترافه ببشريته .

على ضوء ذلك كله لا بدّ وأن تفسّر الآيات التي وصفت المسيح بأنه كلمة الله ، وروح منه ، وإلا فهو ايمان ببعض الكتاب ، وكفر بالبعض الآخر كما هو ديدنهم .

فسواء اعتبر النصارى القرآن كلام الله أو كلام محمد صلى الله عليه وسلم فلابدّ من أن يأخذوا العقيدة القرآنية في المسيح من كل ما جاء في حقّه من آيات . وهذا هو ما فعله شيخ الاسلام ، حيث جمع في مناقشتهم بين ما يستشهدون به من آيات القرآن ، وما غضوا الطرف عنه من الآيات الأخرى ، وبذلك يكون التصور الكامل للعقيدة القرآنية في المسيح ، وفي نفس الوقت يظهر بطلان استشهادهم على عقيدتهم الزائفة بآيات القرآن من جهة ، وبطلان عقيدتهم نفسها من جهة أخرى .

---

(1) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٣٠١/٣٠٢ بتلخيص. وانظر كذلك للمؤلف نفسه مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٧٦/٢٧٧ .

٣ - ابطال ابن تيمية لعقيدة بنوة المسيح لله وألوهيته لمخالفتها للعقيدة الصحيحة في الله:

أولا :

يبطل ابن تيمية دعوى النصارى ببنوة المسيح لله وألوهيته بقوله : لقد جاء النصارى من القول في حق الله تعالى ، وحق المسيح بما لو عرض على السماء لانفطرت أو على الأرض لانشقت ، أو على الجبال لانهدت . والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون من الخطأ ، لا يقولون على الله الا الحق ، ولا ينقلون عنه الا الصدق ، فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول ، أو صحيح المنقول كان كاذبا ، بل لابدّ أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح .

وكلام المسيح - عليه السلام - الموجود في انجيل ( متّى ) - على فرض صحته - " عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس "

- هذا الكلام ان كان صحيحا عن المسيح - عليه السلام - فانه أراد بالابن نفسه هو ( الناسوت ) ، ولم يرد به صفة الله - كما يدعي النصارى - فتأولوا كلامه على خلاف ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول . فليس للمسيح خصوصية في كلام الأنبياء توجب أن يكون هو الله أو ابن الله ، ولكنهم يقولون منكرا من القول وزورا ، بل " ليس في كلام المسيح ولا في كلام سائر الأنبياء ، ولا كلام غيرهم ان كلمة الله القائمة بذاته - سبحانه وتعالى - تسمى ابنا ، ولا روح قدس ، ولا تسمى صفته القديمة ابنا ولا روح قدس ، ولا يوجد قط في كلام الأنبياء اسم الابن واقعا الا على مخلوق . والمراد في تلك اللغة أنه مصطفى محبوب لله ، كما ينقلون أنه قال لاسرائيل " أنت ابني بكري " ، ولداود : " أنت ابني وحبيبي " . وان المسيح قال للحواريين : " أبي وأبيكم " فجعله أبا للجميع ، وهم كلهم مخلوقون . فيكون اسم الابن واقعا على

المسيح ،الذى هو ناسوت مخلوق . فعمد هولاء الضلال فجعلوا اسم الابن واقعا على اللاهوت ،قديماً أزلياً ،مولوداً غير مخلوق . وزعموا أن المسيح ابنه بالطبع ،وهو القديم الأزلى المولود غير المخلوق ،وغير المسيح ابنه بالوضع وهو المخلوق .

وهذا التفريق هم أحدثوه وابتدعوه ،ولا يوجد قط فى كلام المسيح ولا غيره أنه سمى القديم الأزلي ابنا ،ولا جعل له ابنا قديما ، مولودا غير مخلوق ، ولا سمى شيئا من صفات الله قط ابنا ."(١)

" فجعلوا لفظ الأب مشتركا بين معنيين ، وأثبتوا لله طبعا ، جعلوا المسيح ابنه باعتبار ذلك الطبع ، وهذا يقرره قول من يفهم منه أنه ابنه البنوة المعروفة فى المخلوقين ، وأن مريم زوجة الله . . .

ومعلوم أن الاشتراك على خلاف الأصل ، وأن اللفظ اذا استعمل فى عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئا فى القدر المشترك أولى من جعله مشتركا اشتراكا لفظيا ، بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا وخصوص هذا ،أو يكون مجازا فى احداهما، فان المجاز والاشتراك على خلاف الأصل ،هذا ان قدّر أن لفظ الابن استعمل فى نطق الله -كما يزعم النصارى - فكيف اذا لم يوجد فى كلام الأنبياء أنهم قالوا لفظ الابن وأرادوا به شيئا من صفات الله ، لا كلامه ، ولا علمه ، ولا غير ذلك ، بل لم يوجد استعمال لفظ الابن فى كلام الأنبياء الا فى شئ مخلوق . ونحن اذا فسّرناه ببنوة التربية كنا قد جعلنا اللفظ مفردا متواطئا ،وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركا أو مجازا فى أحد المعنيين ، فكان تفسيرهم مخالفا لظاهر اللغة التى

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص٦٧ / ٦٨ بتصرف قليل .
وانظر كذلك لابن تيمية / مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٥ .

خوطبوا بها ، ولظاهر الكتب التى بأيديهم ، وتفسيرنا موافقا لظاهر لغتهم ، وظاهر الكتب التى بأيديهم . وحينئذ فقد تبيّن أنه ليس مع النصارى حجة لا سمعية ولا عقلية توافق ما ابتدعوه ، ولكن فسّروا كلام الأنبياء بما لا يدل عليه ." (١)

وهكذا تفعل النصارى - وأمثالهم من أهل التحريف - بكلام الأنبياء ، يحدثون لهم لغة مخالفة لغة الأنبياء ، ويحملون كلام الأنبياء عليها . (٢)

ثانيا :

ويبطل ابن تيمية دعوى النصارى "تولّد الابن من الأب" بما يلزم ذلك القول من تجزء الذات الالهية ، وانفصال بعضها عنها ، أو صدور شيء عنه وعن غيره ، وكون ذلك اضطرارا وايجابا وهو ما يخالف العقيدة الصحيحة فى الله التى جاء بها الأنبياء عليهم السلام . يقول ابن تيمية :

" لم يبق للتولد الا معنيان :

أحدهما : أن ينفصل عنه جزء .

والثانى : أن يحدث عنه شئ ، اما باختياره كأن يتكلم ، واما بغير اختياره وقدرته ، كحدوث الشعاع عن النار والشمس .

وكل من الأمرين لا يكون الا عن أصلين ، ولا بدّ أن يكون حادثا لا يكون من صفاته اللازمة له ، فيمتنع أن يتولد عنه شئ ان لم يكن معه أصل آخر يتولد عنهما .

والتولد عنه بغير قدرته ومشيئته ممتنع عند أهل الملل ، المسلمين واليهود والنصارى ، وسائر الأمم ، سوى طائفة من المتفلسفة يقولون :

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص٩٩ / ١٠٠ ، وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٢ .

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٣ ص١٨٧ .

انه موجب بذاته ، مستلزم لما يصدر عنه ، فهؤلاء قولهم يناسب هذا التولد ،
والنصارى تكفّر هؤلاء ، لكن قد ضاهوهم في القول ، كما قال تعالى :
( وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون . )[1] ...
وسائر الطوائف الذين أثبتوا لله ولدا جعلوه حادثا منفصلا عنه .
فأمّا جعل صفته القائمة به ولداً له ومولودا ، فهذا لا يعرف عن غير النصارى فاذا أثبتوا له ولدا وابنا غير مخلوق ، والصفة القائمة به ، اللازمة له لم تتولد عنه ، ولا تسمى ابنا ولا ولدا عند أحد من الأنبياء وغيرهم ، تعيّن أن يكون الولد : امّا جزءا منفصلا عنه ، واما معلولا له ، صادرا عنه بغير قدرته ومشيئته . وأيّ القولين قالوه ، فهم فيه كفار مضاهئون لقول الذين كفروا من قبل .
وبعض علمائهم وان أنكر ذلك ، لكنهم يقولون بما يستلزم ذلك ، ويشبهونه بالشعاع من الشمس ، ويقولون عنه : الروح ، هو منبثق من الله خارج منه .
وهذا كله يناسب الولادة التي هي خروج شئ منه ، أو حدوث شئ عنه ، بغير اختياره ومشيئته ، ولا بدّ له - مع ذلك - من محل يقوم به ، فان الشعاع لا يقوم الا بالأرض .
والأمر المنبثق الخارج من غيره اما أن يكون جوهرا قائما بنفسه ، أو صفة قائمة بغيرها .
فإن كان جوهرا فقد انفصل من الرب جزء . وإن كان عرضا ، فلابدّ له من محل ، فيكون متولدا عن أصلين .

---

(١) سورة التوبة / آية ٣٠ .

وتشبيههم بتولد الكلام عن العقل تشبيه باطل ، فان ذلك يحصل بقـــدرة الانسان ومشيئته ، وهو حادث بعد أن لم يكن .

هذا اذا عرف أن مايقوم بقلب الانسان من علم وحكمة ، يقال : انه يتولد عنه . ويقال : انه ابنه ، مع أن هذا أمر غير معروف في اللغات ، ولو كان معروفا في لغـــة بعض الأمم لم يجز أن يفسر به كلام الأنبياء ان لم يكن معروفا في لغتهم .

وأمّا مايدعونه ، فانهم يقولون : ان الكلمة لازمة لذات الله أزلاً وأبـــداً ، وهي مولودة منه ، مع أنها غير مصنوعة ، فهذا كلام متناقض وباطل ... "[1]

وعند تفسير ابن تيمية لسورة الاخلاص في فتاواه يدلي بنفس المعنى تقريبـــا فيقول :

" الصمد هو الذي لم يخرج منه شيء ، بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه ، ولهـــذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد ، وذلك أن الولادة والتولد ، وكل مايكون من هـــذه الألفاظ لا يكون الا من أصلين ، وماكان من المتولّد عينا قائمة بنفسها فلابدّ لهـــا من مادة تخرج منها ، وماكان عرضا قائما بغيره فلابدّ له من محل يقوم به .

فالأول : نفاه بقوله : ( أحد ) ، فان الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير ، فيمتنع أن تكون له صاحبة . والتولد انما يكون بين شيئين .

قال الله تعالى : ( أنّى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم )[2]

فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، وبأنه خالق كل شيء ، وكل ماسواه مخلوق له ، ليس فيه شيء مولود له .

---

(١) الجواب الصحيح / جـ٣ ص١٨٥ / ١٨٧ .

(٢) مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٤٠ / ٢٤١ .

والثاني : نفاه بكونه سبحانه ( الصمد ) ، وهذا المتولد من أصلين يكــون بجزئين ينفصلان من الأصلين ، كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمني الذي ينفصــل من أبيه وأمه ، فهذا التولد يفتقر الى أصل آخر، والى أن يخرج منهما شــيء ، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى ، فإنه ( أحد ) ، فليس له كفؤ يكون صاحبــة ونظيرا ، وهو ( صمد ) ، لا يخرج منه شيء ، فكل واحد من كونه أحدا ، ومن كونــه صمدا يمنع أن يكون والدا ، ويمنع أن يكون مولودا بطريق الأولى والأحرى . "[1]

ثالثا :

وفي معرض ردّ ابن تيمية على قول ابن البطريق على لسان النصارى : ان كلمة الله الخالقة التي بها خلق كل شيء من جوهره ليست مخلوقه ولكن مولــودة منه . يقول :

" مالم يعلم بالمعقول ، فليس في المنقول مايدل عليه ، وأنتم لا تدّعون أنكــم عرفتموه بالعقل ، لكن بما نقل عن الأنبياء . وأنتم قد فسّرتم كلمته بعلمه وحكمتــه ، وروح القدس بحياته ، فمن أيّ نبي تنقلون أن علم الله وحكمته مولودة منه ، وأنــه يسمى ابنا ، وأن علمه وحكمته خلق كل شيء ، وأن حياته خلقت كل شيء ، وأن علمــه خالق واله ورب ، وحياته خالقة واله ورب ، وليس في الأنبياء من سمى شيئا من صفــات الرب ولدا له ولا ابنا ، ولا ذكر أن الله ولد شيئا من صفاته . فدعواكم أن صفته القديمة الأزلية ولدت مرتين ، مرة ولادة قديمة أزلية ، ومرة ولادة حادثة من فرج مريم ، كذب معلوم على الأنبياء لم يقل أحد منهم : ان الله ولد ، ولا ان شيئا من صفاته ولده ، لا ولادة روحانية ولا ولادة جسمانية . . . . "[2]

---

(١) مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٤٠/٢٤١ .

(٢) الجواب الصحيح /ج٣ ص٥٦ .

" وكل ولادة في الكتب الالهية التي عندكم وغيرها ، فهي ولادة حادثة زمانية . وكل مولود ، فهو محدث مخلوق زماني ، ليس في الكتب ولادة قديمة أزلية ، ولا مولود قديم أزلي ، كما ذكرتم ذلك في أمانتكم وغيرها .

فلو كان ماذكرتموه ممكنا في العقول ، لم يجز أن تجعلوه موجودا واقعا ، وتقولوا : الأنبياء أرادوا ذلك ، الا أن يكونوا بينوا أن ذلك مرادهم .

فإذا كان كلامهم صريحا في أنهم لم يريدوا ذلك ، والمعقول الصريح يناقض ذلك ، كان ماقلتموه كذبا على الله وعلى أنبيائه ورسله ومسيحه ، وكان باطلا في المعقول ....

ثم يقال : أنتم قلتم : "ان الكلمة الخالقة هبطت فالتحمت من مريم ، واحتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها" وقلتم : "ان مريم حملت بالاله الخالق وولدته ، الذي هو الابن ."

فاذا جوّزتم أن تكون مريم هي أمّا للخالق الذي هو الابن ، حملته وولدته فلِمَ لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذي هو الأب ، مع أن الخالق التحم من مريم ...

واذا كان هذا ممتنعا وقبيحا ، فذاك أشد امتناعا وقبحا ."[1]

رابعا :

يورد ابن تيمية في وجه النصارى تنزيه الله لنفسه عمّا يعتقده النصارى من الصاحبة والولد ، خلافا للعقيدة الصحيحة فيه عز وجل ، فيقول :

لقد نزّه الله نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد ، فقال تعالى : ( ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون )[2] وقال تعالى : ( وجعلوا لله

---

(١) ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٣ ص٦٠-٦٢ باختصار وتلخيص .
(٢) سورة الصافات / آية ١٥١ ، ١٥٢ .

شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمّا يصفون.بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شـــــئ عليم . )[1] وقال تعالى : ( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد )[2]

وأمّا اتخاذ الولد ، ففي مواضع متعددة كقوله تعالى : ( وقل الحمد للـــــه الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك )[3] وقوله تعالى : ( وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون )[4]. وقوله : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولـــــدا سبحانه بل عباد مكرمون )[5]. وقوله : ( ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من الـــــه اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض . . ) الآية[6]

وقوله : ( لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء . . . ) الآية[7]

ثم قال : " وأهل الكتاب يذكرون في كتبهم تسمية عباد الله الصالحـــــين والمصطفين أبناء وتسمية الله أبا . وهذا اذا كان ثابتا عن الأنبياء فانهم لا يعنون به الا معنى صحيحا .

واللفظ قد يكون له في لغة معنى ، وله في لغة أخرى معنى غير ذلـــــك . والمراد بهذا الولد والابن ،لا ينافي كونه مخلوقا مربوبا عبداً لله عز وجل .

---

(١) سورة الأنعام / آية ١٠٠ / ١٠١ .
(٢) سورة الاخلاص / آية ٣، ٤ .
(٣) سورة الاسراء / آية ١١١ .
(٤) سورة البقرة / آية ١١٦، ١١٧ .
(٥) سورة الأنبياء / آية ٢٦ .
(٦) سورة المؤمنون / آية ٩١ .
(٧) سورة الزمر / آية ٤ .

وأما تسمية شيء من صفات الله ابنا أو ولدا ، فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء ، ولا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى .

فمن فسّر كلام الأنبياء بغير لغتهم المعروفة ، فهو ممن بدل كلامهم وحرفه ، والنصارى من هؤلاء . "[1]

خامسا :

يقول النصارى : " ان الأب - عندهم - هو ابتداء الاثنين ، والابن هو النطق ، الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل . "[2]

ويعلق ابن تيمية على قولهم هذا ، فيقول :

" قولكم : الأب الذى هو ابتداء الاثنين ، والابن : النطق ، الذى هو مولود منه ، كولادة النطق من العقل ، قولكم هذا باطل ؛ لأن صفات الكمال لازمة لذات الرب عزّ وجل أولا وآخرا ، لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا ، لم يصر حيّا بعد أن لم يكن حيّا ، ولا عالما بعد أن لم يكن عالما .

فان قلتم : ان الأب الذى هو الذات هو ابتداء الحياة والنطق ، اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق ، فان ماكان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له . وهذا فى حق الله باطل .

أما قولكم : ان النطق مولود منه كولادة النطق من العقل ، فان المولود من غيره متولّد منه ، فيحدث بعد أن لم يكن كما يحدث النطق شيئا فشيئا ، سواء أريد بالنطق العلم أو البيان . فكلاهما لم يكن لازما للنفس الناطقة ، بل حدث فيها

---

(١) أنظر : الجواب الصحيح / جـ٣ ص ١٨٥/١٨ .
وكذلك مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٦٨/٢٧٥ .

(٢) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص٩٠ .

واتصفت به بعد أن لم يكن ، وان كانت قابلة له ، ناطقة له بالقوة . فاذا مثلتم تولّد النطق من الرب بتولده من العقل ، لزم أن يكون الرب كان ناطقا بالقوة ، ثم صار ناطقا بالفعل ، فيلزم أنه صار عالما بعد أن لم يكن عالما ، وهذا من أعظم الكفر وأشده استحالة ، فهو لا شيء غيره ، لجعله متصفا بصفات الكمال بعد أن لم يكن متصفا بها ، اذ كل ماسواه فهو مخلوق له ، وكماله منه ، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملا ، وذلك دور ممتنع في صريح العقل ، اذا كان الشيء لا يجعل غيره متصفا بصفات الكمال حتى يكون هو متصفا بها ، فاذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفا بها ، لزم الدور الممتنع ، وتبيّن بطلان كون نطقه متولدا منه ، كتولّد النطق من العقل ، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ، ما هو مبدأ لها ، متقدم عليها ، أو فاعل لها ."(١)

سادسا :

ويقول النصارى أيضا : "ان المتحد بجسد المسيح هو الكلمة الذى هو العلم ."(٢)

وقد أجاب ابن تيمية على قولهم هذا ، مثبتا بأن كلامهم هذا حجة عليهم لا لهم ، حيث قال لهم :

"ان العلم صفة ، والصفة لا تخلق ولا ترزق ، والمسيح نفسه ليس هو صفة قائمة بغيرها باتفاق العقلاء ، وأيضا فهو عندكم خالق السموات والأرض ، فامتنع أن يكون المتحد به صفة ، فإن الاله المعبود هو الاله الحي العالم القادر ، وليس هو نفس الحياة ، ولا نفس العلم والكلام ، فلو قال قائل : يا حياة الله ، أو يا علم الله ،

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص١١٣ / ١١٤ .

(٢) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ٢ ص١١ .

أو يا كلام الله ،اغفر لي وارحمني ، واهدني ،كان هذا باطلا في صريح العقل؛ ولهذا لم يجوّز أحد من أهل الملل أن يقال للتوراة أو الانجيل أو غير ذلك من كلام الله : اغفر لي وارحمني ، وانما يقال للاله المتكلم بهذا الكلام : اغفر لي وارحمني.

والمسيح -عليه السلام -عندكم - هو الاله الخالق ،الذى يقال له : اغفر لنا وارحمنا ،فلو كان هو نفس علم الله ،وكلامه ،لم يجز أن يكون إلٰها معبودا ، فكيف اذا لم يكن هو نفس علم الله وكلامه ، بل هو مخلوق بكلامه ، حيث قال له : كن فكان ؟

فتبيّن من ذلك أن كلمات الله كثيرة لا نهاية لها ، وفي الكتب الالهية كالتوراة ،أنه خلق الأشياء بكلامه ،وكان في أول التوراة أنه قال : ليكن كذا ، ليكن كذا . . .

ومعلوم أن المسيح ليس هو كلمات كثيرة ، بل غايته أن يكون كلمة واحدة ، اذ هو المخلوق بكلمة من كلمات الله عز وجل .

وان أمانتكم التى وضعها أكابركم بحضرة (قسطنطين) وهى عقيدة ايمانكم التي جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الاله واحد ، وتبيّن أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه ،وهذان أمران معروفان فى دينكم . . . فان (الأمانة) التى اتفق عليها جماهير النصارى يقولون فيها : "نؤمن باله واحد ، أب ضابط للكل ، خالق السموات والأرض ،كل ما يرى ، وما لا يرى ،وبرب واحد يسوع المسيح ،ابن الله الوحيد ،المولود من الأب قبل كل الدهور ،نور من نوره اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ،مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر الذى به كان كل شئ . . ."

ففى هذه الأمانة التى جعلتموها أصل دينكم ،ذكر الايمان باله واحد ،

خالق السموات والأرض ، خالق مايرى ومالا يرى ، فهذا هو ربّ العالمين الذي لا اله غيره ولا ربّ سواه ، وهو الذي دعت جميع الرسل الى عبادته وحده لا شريك لـــــه ، ونهوا أن يعبد غيره .

ثم قلتم : " وبرب واحد ، يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر.

فصرّحتم بالايمان - مع خالق السموات والأرض - برب واحد ، مخلوق مســـــاو الأب ، ابن الله الوحيد . وقلتم : هو اله حق من اله حق من جوهر أبيه .

وهذا تصريح بالايمان بالهين أحدهما من الآخر .

وعلم الله القائم به ، أو كلامه ، أو حكمته القائمة به التي سميتموها ابنـــــا ، ولم يسمّ أحد من الرسل لصفة الله ابنا ، ليس هو اله حق من اله حق ، بل الـــــه واحد ، وهذه صفة الاله ، وصفة الاله ليست باله ، كما أن قدرته وسمعه وبصـــــره ، وسائر صفاته ليست بآلهة ، ولأن الاله واحد ، وصفاته متعددة ، والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنكم سميتم الاله جوهرا ، وقلتم : هو القائم بنفسه ، والصفة ليست جوهرا قائما بنفسه . وأنتم في هذه الأمانـــــة قد جعلتم الله والداً وهو الأب ، ومولوداً وهو الابن ، وجعلتموه مساويا له في الجوهر، والمساوي ليس هو المساوى . فلا يساوى الأب في الجوهر الآ جوهر ، فوجب أن يكون الابن جوهرا ثانيا ، وأنتم تقولون مع ذلك : انما نثبت جوهرا واحدا . وقد نزه اللـه نفسه عن ذلك بقوله تعالى : ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكـن له كفوا أحد . )[1] ..."[2]

---

(١) سورة الاخلاص .

(٢) الجواب الصحيح /جـ٢ ص١١٨/١١ بتصرف قليل وكذلك المرجع نفسه جـ٢ص ٢٤٩/٢٥٠ .
وانظر كذلك للمؤلف نفسه/ مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٧/٢٧٧ .

٤ - ابطال ابن تيمية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح لله وألوهيته باستلزامها المحالات العقلية :

أولا :

يذكر ابن تيمية أنه لو كان الأب والابن الهين خالقين قديمين - كما يعتقد النصارى - واحتاج أحدهما الى الآخر ، للزم من ذلك امتناع احتياج أحدهما الى الآخر في وجوده ، أو فيما يتم به وجوده ؛ لما في ذلك من الدور السبقي[1] المستحيل . بينما أن تلك هي عقيدة النصارى الباطلة التي يثبتون فيها قوام الأب في خالقيته بالابن الذى جعله واسطة في الخلق ، بحيث لا تتم خالقيته الا به ، وما يصير به الابن قوام للأب على مقتضى عقيدتهم الباطلة هو مستفاد من الأب ، وفي نفس الوقت فان الابن محتاج الى الأب في وجوده ، فكلاهما محتاج الى الآخر . وهذا باطل - كما قلنا - لما فيه من دور سبقيّ مستحيل .

---

(١) الدور السبقيّ أو القَبْلِيّ هو : أن يكون وجود الشيء سابقا على وجوده نفسه وفي هذا تناقض ظاهر . مثال : الكون وجد بنفسه من العدم المطلق .
ففي هذا الكلام دور مرفوض عقلا ، اذ يقتضي أن يكون الكون علة لنفسه ، وأن يكون معلولا لها بآن واحد ، والعلّة تقتضي سبق المعلول ، وبما أن العلّة بحسب الدعوى هي نفس المعلول ، فان هذا الكلام يقتضي أن يكون وجود الشيء سابقا على وجوده نفسه . أى أن يكون الكون بوصفه علّة هو موجود ، وبوصفه معلولا هو غير موجود مع أنه شيء واحد لا شيئان . فهو اذن ( موجود غير موجود ) في آن واحد . وهذا تناقض .
أنظر / عبد الرحمن الميداني / ضوابط المعرفة ص٣٣٣/ ٣٣٤ .

يقول ابن تيمية :

" ان ذلك المخلوق ( أي المسيح ) إن قدّر أنه موجود بنفسه ، قديم ، أزلي -على عقيدتهم - فليس هو مخلوقا ، ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين الأزليين محتاجا الى الآخر ، سواء قدّر أنه فاعل له ، أو تمام الفاعل له ، أو كان مفتقرا اليه بوجه من الوجوه لم يكن موجوداً إلّا به ، فإن الموجود لا يكون موجوداً إلّا بوجود لوازمه ، وما لا يتم وجوده إلّا به ، فكل ما قدر أنه محتاج اليه لم يكن موجوداً إلّا به ، فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر ، لزم أن لا يكون هذا موجودا إلّا بخلق ذلك مابه تتم حاجة الآخر ، وأن لا يكون هذا موجوداً إلّا بخلق ذلك مابه تتم حاجة الآخر .

والخالق لا يكون خالقا حتى يكون موجوداً ، ولا يكون موجوداً الا بلوازم وجوده ، فيلزم أن لا يكون هذا موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً ، ولا يكون ذاك موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً ، إن كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه ، فلا يكون موجوداً إلّا به ، فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما الى الآخر في وجوده ، أو فيما لا يتم وجوده إلّا به ، وهذا هو الدور القَبْلي الممتنع باتفاق العقلاء .

وأما الدور المعيّ ، وهو أنه لا يوجد هذا إلّا مع هذا ، ولا هذا إلّا مع هذا كالأبوة مع البنوة ، وكصفات الرب بعضها مع بعض ، وصفاته مع ذاته ، فإنه لا يكون عالما إلّا مع كونه قادرا ، ولا يكون عالما قادرا إلّا مع كونه حيّا ، ولا يكون حيّا إلّا مع كونه عالما قادراً ، ولا تكون صفاته موجودة إلّا بذاته ، ولا ذاته موجودة إلّا بصفاته ، فهذا جائز في المخلوقيْن اللذين يفتقران الى الخالق الذي يحدثهما جميعا كالأبوة والبنوة ، وجائز في الرب الملازم لصفاته تعالى .

وأمّا إذا قدّر قديمان أزليان ربان فاعلان امتنع أن يكون أحدهما محتاجا

الى الآخر ، اذا كان وجوده لا يتم الا بما يحتاج وجوده اليه ، ولا يكون فاعلا لشئ ان لم يتم وجوده ، فيمتنع مع نقص كل منهما عن تمام وجوده ، أن يكون فاعلا لغيره تمام وجود ذلك الغير ؛ ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم .

ولكن الذى قاله النصارى : انهم جعلوا قوام الخالق تعالى بالمخلوق .

فيقال لهم : هذا أيضا ممتنع فى صريح العقل ، أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر . وان كان هذا أيضا ممتنعا ، فان المخلوق مفتقر فى جميع أموره الى الخالق ، فيمتنع مع فقره فى وجوده وتمام وجوده الى الخالق ، أن يكون قوام الخالق به ؛ لأن ذلك يقتضي أن يكون ( المخلوق ) مقيما له ( أى للخالق ) ، وأن يكون تمام وجوده ( أى الخالق ) به ( بالمخلوق ) ، فيكون المخلوق لا وجود لشئ منه الا بالخالق ، فالقدر الذى يقال : انه يقيم به الخالق هو من الخالق ، والخالق خالقه ، وخالق كل مخلوق ، فلا وجود له ( أى للمخلوق ) ، ولا قيام الا بالخالق ، فكيف يكون به قيام الخالق ...؟ "[1]

ثانيا :

يقول سعيد بن البطريق على لسان النصارى : انهم يقولون :

" ان من عظيم تدبيره ، وكمال عدله ، وجليل رحمته أن بعث كلمته الخالقة التى بها خلق كل شئ من جوهره ، ليست مخلوقة ، ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور ... "[2]

ويبيّن ابن تيمية ما يترتب على ذلك من محالات ، كجعل الكلمة خالقا ومخلوقا بها . والخالق لا يكون مخلوق به . وتعدد الخالقين اذا كان المسيح بعض كلمات الله ،

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٧١-٧٣ .

(٢) نقلا عن ابن تيمية / الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٥١ .

حيث يكون البعض الآخر خالقا كالكلمة التي هي المسيح ، بل ويترتب على ذلك أن يكون المسيح هو كل كلام الله، ان كان المراد بالكلمة كلام الله كله . . . الى غير ذلك من اللوازم العقلية الباطلة .

وفي ذلك يقول ابن تيمية :

" قولكم : بعث كلمته الخالقة التي بها خلق كل شيء قد نطقت الكتب بأن الله يخلق الأشياء بكلامه ، فيقول لها : كن فتكون . هكذا في القرآن والتوراة وغيرهما ، لكن الخالق هو الله يخلق بكلامه ، ليس كلامه خالقا ، ولا يقول أحد قط : ان كلام الله خلق السموات والأرض.

والتوراة كلام الله والانجيل كلام الله ، ولا يقول أحد : ان شيئا من ذلك خلق السموات والأرض .

فقول هؤلاء : ان كلمته هي الخالقة ، وانه خلق بها ، كلام متناقض . فانها ان كانت هي الخالقة لم تكن هي المخلوق به ، فالمخلوق به ليس هو الخالق .

فكلمة الله الخالقة - حسب قولهم - هل هي كلام الله كله ؟ أم هي بعض كلام الله؟ أم هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي ؟ أم حروف وأصوات قديمة أزلية ؟ ،أم هي الذات المتكلمة . ؟

فان كانت هي الذات المتكلمة ، فهي الأب والرب ، وتكون هي الموصوفة بالحياة ، فلا يكون هناك كلام مولود ، ولا كلمة أرسلت ، ولا غير ذلك مما ذكروه . وهذا خلاف قولهم كلهم ، فان الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم .

وان قالوا : بل هي كلام الله كله .

قيل لهم : فيكون المسيح هو التوراة والانجيل والقرآن وسائر كلام الله . وهذا لا يقولونه ، ولم يقله أحد ، ولا يقوله عاقل .

وان قالوا : انها هي المعنى القائم بالذات القديم الأزلي ، أو الحروف والأصوات القديمة الأزلية .

قيل لهم : هذان القولان ، وان كانا باطلين ، فان قلتم بهما ، لزمكم أن يكون المسيح هو كلام الله كله . فان هذين ( أي القولين ) - عند من يقول بهما - هما جميع كلام الله ، والتوراة والانجيل وسائر كلام الله عبارة عن ذلك المعنى القائم بذات الله وهو الحروف والأصوات القديمة القائمة بالذات عند من يقول بهذين .

وان قلتم : ان المسيح بعض كلمات الله فحينئذ لله كلمات أخر غير المسيح ، فاجعلوا كل كلمة خالقا ، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا اذ كنتم تقولون : الكلمة هي الخالقة ، وهي المخلوق بها . فقولوا عن سائر كلمات الله : انها خالقة مخلوق بها . وحينئذ يتعدد الخالق بتعدد كلمات الله .

واذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان للخالق خالقون لا نهاية لهم ، وهذا غاية الباطل والكفر .

وبالجملة : أي شيء فسروا به الكلمة تبيّن به فساد قولهم ، ولكنهم يتكلمون بما لا يفهمونه ، ويقولون الكذب والكفر المتناقض ، وانما عندهم تقليد من أضلهم كما قال تعالى : ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل )[١] .[٢]

ويرتّب ابن تيمية على عقيدة النصارى بهبوط الكلمة والتحامها من مريم - يرتّب على ذلك تعدد الخالقين زيادة على استحالة هذا التصور في التحام

---

(١) سورة المائدة / آية ٧٧ .

(٢) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٥٤/٥٦ .

وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص ٢٧٦/٢٧٧ .

الكلمة بمريم ، وخروجها منها ، وتناقض اعتبار المخلوق به خالقا !

فيقول : " واذا كان قد بعث كلمته الخالقة ، وهبطت والتحمت من مريم ، فهل نفسه ربّ العالمين هبط والتحم من مريم ، أم ربّ العالمين نفسه لم يهبط ولم يلتحم من مريم ، وانما هبط والتحم الكلمة التى أرسلها .

فان قلتم : هو نفسه هبط والتحم ، كان الأب الوالد للكلمة هو الذى هبط ، والتحم ، وكان الأب هو الكلمة ، وهذا مناقض لأقوالكم .

وان قلتم : ان المبعوث الهابط الملتحم ليس هو الأب ، بل هو كلمة الرب فقد جعلتموه الخالق ، فيكون هناك خالقان ، خالق أرسل فهبط والتحم ، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم . . . " (١)

" ولو قال قائل : ان الشمس ستلد في جوف امرأة ، وخرجت من فرج تلك المرأة لكان كل عاقل يعلم فساد قوله ، وينسبه الى الجهل العظيم أو الجنون ، وسواء قال : ان الشمس نفسها نزلت أو لم تنزل .

وأنتم تقولون : إن ربّ العالمين سكن في بطن مريم ، ويقول أكثركم - كالملكية واليعقوبية - انه خرج من فرج مريم ، ولو قال قائل عن ما هو أصغر مخلوقات ، كوكب من الكواكب ، أو جبل من الجبال ، أو صخرة عظيمة ان ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها ، لضحك الناس من قوله ، فكيف بمن يدّعي مثل ذلك في ربّ العالمين . " (٢)

---

(١) الجواب الصحيح ج ٣ ص٧٥ .

(٢) المرجع السابق ص٨٧ .

ويقول ابن تيمية أيضا :

" فمع كونه جعلها (أي الكلمة) خالقة ، جعل أنه بها خلق كل شيء ، والذى خلق بها كل شيء هو خالق ، فجعلها خالقة ، وجعل خالقا آخر ، وجعل أحد الخالقين قد خلق الآخر به كل شيء ، وجعل هذا الخالق قد بعث ذاك الخالق الذى به خلق كل شيء ، وجعل الكلمة الخالقة ، احتجبت بانسان مخلوق خلقته لنفسها بمسّرة الأب ، ومؤازرة روح القدس خلقا جديدا ...

ومعلوم أنه اذا كان للخالق من يؤازره على الخلق ، لم يكن مستقلا بالخلق ، بل يكون له فيه شريك .

فهذه الكلمة ، تارة يقولون : هى الخالقة ، وتارة يقولون : خلق بها الخالق فخلقت . وتارة يقولون : ان روح القدس وازرها فى الخلق ...

وهذه أقوال ينقض بعضها بعضا .

فان كان الله هو الخالق لكل شيء ، فالخالق واحد ، فليس هناك خالق آخر ولا شريك له فى الخلق .

والخالق اذا خلق الأشياء بقوله : (كن) لم يكن كلامه خالقا ، ولو كانت كل كلمة الها خالقا لكان الآلهة الخالقون كثيرين لا نهاية لهم ." [1]

ثالثا :

ويثبت ابن تيمية استحالة تفرقة النصارى بين العلم والحياة فى اعتبار الأولى متولدة من الأب ، والثانية منبثقة منه مع بطلان التولّد والانبثاق فى حق الله .

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص٥٧/٥٨ .

وكذلك بطلان اعتبار الصفات الالهية متولدة منه أو منبثقة عنه لما فيه من الجمع في أمرها بين القدم باعتبارها صفات له وبين الحدوث باعتبارها متولدة عنه رغم مايزعمونه من قدم الكلمة مع كونها متولدة عنه ، وهو زعم مستحيل لما فيه من الجمع بين النقيضين .

يقول ابن تيمية ردّاً على قولهم :"إن المسيح هو كلمة الله ليست ( أى كلمة الله ) بمخلوقة ، ولكن مولودة منه من قبل كل الدهور ."(١)

- يقول ردّا عليهم : "مَنْ مِنْ الأنبياء سمّى شيئا من صفات الله مولودا قديما أزليا ؟

وكيف يكون مولودا قديما أزليا ؟ وهل يعقل مولودا إلاّ محدثا ؟

وأيضا فإذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه ، فكذلك تكون الحياة مولودة منه ، وان كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه . فجعْلُ احدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة ، والأخرى ليست مولودة من الأزل ، بل منبثقة مع كونه باطلا ، فهو تناقض وتفريق بين المتماثلين.

فانه ان جاز أن يقال للصفة القديمة الأزلية : انها مولودة منه ، فالحياة مولودة منه . وان جاز أن يقال : انها منبثقة ، فالكلمة منبثقة .

وأيضا فكون الصفة الٰها خالقا ، واثبات ثلاثة آلهة خالقين مع قولهم : ان الخالق واحد تناقض آخر ."(٢)

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص٥٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص٥٨ .

رابعـــا :

ويبطل ابن تيمية عقيدة النصارى في اعتبار المسيح الها حقا من الــه حق ، خالقا غير مخلوق ، مساويا للأب في الجوهر - يبطل هذه العقيدة بما يرتبه عليها من محالات تتعلق بذات الله عز وجل ، حيث تثبت صفات الاله الواجـب للمسيح المحدَث بحكم عقيدتهم فيه . ويثبتون صفات المسيح المحدَث للرب الخالـق بحكم جعْلهم إياه الها خالقا مساويا لله في الجوهر ، وجعل صفات كل من الواجـب والمحدَث للآخر ، جمع بين النقيضين كما هو ظاهر ، حيث يكون الاله واجب الوجود ، غير واجب الوجود في وقت واحد ، ويكون المحدث جائز الوجود مستحيل العـدم في وقت واحد . وهذا هو الجمع بين النقيضين وهو محال .

يقول ابن تيمية :

" لقد جعلتم كلمة الله هي ابنه ، وهو جوهر خالق يساويه في الجوهـر ، وان المسيح هو هذا الابن المساوي للأب في الجوهر خالق العالمين وديان يـوم الدين ، والجالس فوق العرش عن يمين الرب ، وأنه اله حق من اله حق . وهـذا الذى ذكرتموه فيه من عيب المسيح وأمه ماينتصر الله به للمسيح ، ولمن افترى عليـه منكم ومن غيركم . " (١)

" فلو كان للخالق مَثَلٌ للزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع ، والخالـق يجب له الوجود والقدم ، ويمتنع عليه العدم ، فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجـود قديما أزليا لم يُعدم قط ، وكونه محدَثا مخلوقا يستلزم أن يكون معدوما ، فيلـزم أن يكون موجودا معدوما ، قديما محدَثا وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بدائـه العقول . وأيضا فالمخلوق يمتنع عليه القد ، ويجب له سابقة العدم .

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ١٦٥ .

فلو وجب للخالق القديم مايجب له ( للمسيح ) لوجب كون واجب القدم واجب الحدوث بعد العدم ، وهذا جمع بين النقيضين . فالعقل الصريح يجزم بأن الله ليس كمثله شئ .»[١]

و «أنتم تلعنون من قال : ان المسيح ليس هو اله حق من اله حق ، ولا هو مساو للأب في الجوهر ، ومن قال : انه ليس بخالق ، ومن قال : انه ليس بجالس عن يمين أبيه . . . .

وتلعنون أيضا مع قولكم انه الخالق ، من قال : انه الأب . والأب هو الخالق . فتلعنون من قال هو الأب الخالق ، ومن قال : ليس هو الخالق ، فتجمعون بين النقيضين .»[٢]

خامسا :

ويلزم ابن تيمية النصارى في قولهم ببنوة المسيح لله تعالى - يلزمهم بأن ذلك يقتضي ثبوت الصاحبة له سبحانه وتعالى بأي تصوّر يصوّرون به هذه البنوة ، فليس ثبوت الصاحبة أبعد استحالة من ثبوت البنوة ، فضلا عن كون ثبوت البنوة يستلزم ثبوت الصاحبة المحال في حق الله عز وجل .

يقول ابن تيمية :

« يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله البنوة المعروفة في المخلوقات[٣] ، ويقولون :

ان مريم زوجة الله ، وهذا لازم لعامة النصارى ، وان لم يقولوه ، فإن الذى

---

(١) الجواب الصحيح جـ٢ ص١٠٣ .

(٢) المرجع السابق جـ٣ ص١٧٧ . وانظر كذلك للمؤلف نفسه : مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٧٦ .

(٣) ذكر ابن تيمية في فتاواه مانصه :
« لمّا لم يكن للمسيح أب من البشر ، جعل النصارى الرب أباه ، وبهذا ناظر =

يلد لابدّ له من زوجة ؛ ولهذا قال تعالى :

( أنّى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم )[1]

وجعْلُ الرب والد المولود أنكر في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسّرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى ، فإن من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد ، ويقولون : ان الأب ولدت منه الكلمة ، ومريم ولد منها الناسوت ، واتحد الناسوت باللاهوت ، فكما أن الأب أب باللاهوت لا بالناسوت ، ومريم أم للناسوت لا للاهوت ، فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت ، واللاهوت زوج مريم بلاهوته ، كما أنه أب للمسيح بلاهوته ، واذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة ؟ واذا جعل الناسوت الذي ولدته ابنا للاهوت ، فلأي شئ لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت ، فان المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت ، وهو عندهم اله تام وانسان تام ، فلاهوته من الله ، وناسوته من مريم ، فهو من أصلين : لاهوت وناسوت ، فاذا كان أحد الأصلين أباه ، والآخر أمه ، فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار ، مع أن المصاحبة قبل البنوة؟

---

= نصارى نجران النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : ان لم يكن هو ابن الله . فقل لنا من أبوه ؟ فعلم أن النصارى انما ادعوا فيه البنوة الحقيقية وان ما ذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للمذهب ، ليزيلوا به الشناعة التي لا يبلغها عاقل ..."

أنظر الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٢ .

(١) سورة الأنعام / آية ١٠١ .

فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم ؟ وليس ذلك من المحال على أصلهم الا وهو من جنس إثبات بنوة المسيح ، وأقل امتناعا ." [١]

ويرد ابن تيمية على قول النصارى :

"ان مرادنا بالأب والابن ، غير أبوة وبنوة نكاح ، ومن أراد ولادة زوجة لعنّاه." [٢] - يرد على ذلك فيقول :

"لفظ الولادة المعروف ، إنما يكون من أصلين ، وانما يكون بانفصال جزء من الأصلين ، وانما يكون بحدوث المولود ، سواء أريد ولادة الحيوان أو غيرها ، كما تتولد النار من بين الزنادين ، فإذا قدح أحدهما بالآخر ، خرج منهما جزء لطيف ، فاستحال نارا ثم سقط على الحراق .

وقد توسع بعض الناس في لفظ الولادة ، حتى عبّر به عما يحدث عن الشيء ، وان لم يكن بانفصال جزء منه ، كتولد الشعاع عن النار ، والشمس وغيرها ، لأن هذا يحدث بشيئين أحدهما ، ما يصدر عنه ، من الشمس والنار . والثاني المحل القابل له الذي ينعكس عليه ، وهو الجرم المقابل له الذي يقوم به الشعاع .

فأمّا ما يحدث عن شيء واحد ، فلا يعرف - عند جميع العقلاء - أنه يسمى ولادة إن قدر وجود ذلك ، لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته . . . . ونحو ذلك . ، وكذلك لا يعرف ما يلزم الشيء الواحد أنه يسمى ولدا ، لا سيما الصفات القديمة الأزلية لذات ربّ العالمين ، الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بها ، بل لا تكون الولادة الا عن أصلين - كما قلنا -.

---

(١) الجواب الصحيح / جـ٢ ص٩٦ / ٩٧ . وانظر كذلك للمؤلف نفسه / مجموع الفتاوى الجزء الرابع من التفسير المجلد ١٧ ص٢٨٢ ، ٢٦٨ .

(٢) الجواب الصحيح جـ٣ ص١٨٠ .

ولا يقول عاقل يعقل مايقول : ان لون السماء وقدْرها متولّد عنها ، ولا أن قدْر الشمس وضوءها القائم بها ، اللازم لها ، متولّد عنها ، ولا يقول أحد : ان حرارة النار وضوءها القائم بها متولّد عنها .

وانما يقال ـ ان قيل ـ فيما ليس بقائم بها ، بل قائم بغيرها ، أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن ، كالشعاع القائم بالأرض والحيطان ، فهذا ليس قائم بها ، بل قائم بغيرها ، وهو حادث متولّد عن أصلين ، لا أصل واحد . . . .

والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته ، وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته ، هي صفة له قديمة أزلية ، لم يزل ولا يزال موصوفا بها .

ويقولون ـ مع ذلك ـ : ان الكلمة هي مولودة منه ، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولّدا عنه ، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولّدة عنه .

وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه ، لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم . . فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته ، يقال : انها ابنه وولده ، ومتولد عنه ، ونحو ذلك ، فتكون حياته أيضا ابنه وولده ، ومتولدا عنه ، وان لم يكن كذلك ، فلا يكون علمه ابنه ، ولا ولده ، ولا متولدا عنه . . . .

فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ ، وأنهم مخالفون للكتب الالهية كلها ، ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات ، ومخالفون لجميع لغات الآدميين ، وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا : تولدت الكلمة عنه ، كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل .

فيقال لهم : لو قدّر أن الأنبياء سموا ذلك تولدا ، فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن ، وحدوثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشيئتنا .

فأما صفاتنا اللازمة لنا ، التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها ، فلا يقول عاقل : انها متولدة فينا وعنا .

وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له ، التي لم يزل ولا يزال متصفا بها ، متولدة عنه .

فلو قدّر أن ما ذكرتموه من التولّد العقليّ أمرا معروفا في اللغة والعقل والشرع ، لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابنا له ومولودا منه ، لم يزل مولودا منه ؛ لأن هذا باطل عقلا وشرعا ولغة ... كما أوضحنا ." [1]

وهكذا يظهر ابن تيمية ما يترتب على عقيدة النصارى من محالات عقلية تجعلها بذلك من أشد الباطل في جانب الاعتقاد ، وما يستلزم الباطل يكون باطلا مثله .

---

(١) الجواب الصحيح / جـ٣ ص١٨٠ / ٣/١ بتصرف قليل .

٥ - ابطال ابن تيمية لاستدلال النصارى على بنوة المسيح لله وألوهيته بما يزعمونه من تميزه على غيره في كيفية وجوده ، ومعجزاته :

أولا :

يحتج النصارى على اختصاص المسيح بالبنوة والألوهية دون سائر الأنبياء والرسل بأنه كلمة الله الأزلية التي انفصلت عنه واتحدت بالمسيح من دون سائر البشر ، فكان ابنا بالطبع وليس ابنا بالوضع ، كما تطلق تلك الكلمة على غيره .

وابن تيمية يبيّن وجه تسمية المسيح بالكلمة ، واستحالة انفصال علم الله وحكمته عنه واتحادهما بغيره ، وأن المسيح لا يختص دون غيره من الأنبياء بما يفيض من الله سبحانه وتعالى عليهم من العلم والنور والتأييد ، ومن ثَم فهو ليس الهـا ولا ابن اله كما يزعمون . يقول ابن تيمية :

" ... وانما خصّ المسيح بتسميته كلمة الله دون سائر البشر ؛ لأن سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات ، بخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم ينفخ فيه الروح ، وخلقوا من ماء الأبوين (الأب والأم) .

والمسيح -عليه السلام- لم يخلق من ماء رجل ، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به ، وقال الله له (كن) ، فكان ، ولهذا شبهه الله بآدم في قوله : ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون )[1]

فان آدم -عليه السلام- خلق من تراب وماء ، فصار طينا ثم أيْبس الطين ، ثم قال له : ( كن ) ، فكان بشرا تاما بنفخ الروح فيه ، ولكن لم يُسمَّ كلمة الله ؛ لأن جسده خلق من التراب والماء ، وبقي مدة طويلة ، يقال : أربعين سنة ، فلم يكن

---

(١) سورة آل عمران / آية ٥٩ .

خلق جسده ابداعيا في وقت واحد ، بل خلق شيئا فشيئا ، وخلق الحيوان من الطين معتاد في الجملة . وأما المسيح -عليه السلام- فخلق جسده خلقا ابداعيا بنفس نفخ روح القدس في أمه ، قيل له : (كن) فكان ، فكان له من الاختصاص -بكونه خلق بكلمة الله- مالم يكن لغيره من البشر .

ومن الأمر المعتاد في لغة العرب وغيرهم ، أن الاسم العام اذا كان له نوعان خصّت أحد النوعين باسم ، وأبقت الاسم العام مختصا بالنوع كلفظ الدابة والحيوان ، فانه عام في كل مايدب ، وكل حيوان . ثم لمّا كان للآدمي اسم يخصه بقي لفظ الحيوان يختص به البهيم ، وأمثال ذلك ، فلما كان لغير المسيح مايختص به ، أبقى (الله) اسم الكلمة العامة مختصا بالمسيح ... "(1)

ثانيا :

ويبطل ابن تيمية قول النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بظهور المعجزات على يد غيره من الرسل ، بل ظهر على أيديهم منها ما هو أعظم من معجزات المسيح ، وذلك لا يدل على ألوهيتهم ، لاعند النصارى ، ولا عند غيرهم .

واذا كان النصارى يحتجون بتميز المسيح عمن سواه ، ممن ظهرت على أيديهم المعجزات ، فان ابن تيمية يسلّم لهم بأفضلية عيسى على بعض الأنبياء ، ولكنه يرى أن هذه الأفضلية انما هي في النبوة ولا ترتفع به الى مقام الألوهية بحال من الأحوال .

يقول ابن تيمية :

" ... ان النصارى عمدوا الى ما هو جسد من جنس سائر أجساد بني آدم ،

---

(1) الجواب الصحيح / جـ٢ ص١٦٦ .

وقالوا : " انه اله تام وانسان تام " ، وليس فيه من الالهية شئ . فما بقي - مع هذا - يمتنع أن يعتقد في نظائره مايعتقد فيه .

فلو قال القائل : ان موسى بن عمران كان هو الله ، لم يكن هذا أبعد من قول النصارى ، فان معجزات موسى كانت أعظم ، وانتصاره على عدوه أظهر ، وقد سماه الله في التوراة الها لهارون ولفرعون[1] ...."[2]

ثم يقول مخاطبا النصارى :

" والمعجزات التي احتججتم بها للمسيح ، قد وجدت لغير المسيح ، ولو قدّر أن المسيح أفضل من بعض أولئك ، فلا ريب أن المسيح - عليه السلام - أفضل من جمهور الأنبياء . أفضل من داود وسليمان ، وأصحاب النبوات الموجودة عندكم ، وأفضل من الحواريين . لكن مزيد الفضل يقتضي الفضيلة في النبوة والرسالة ، كفضيلة ابراهيم وموسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه ، وذلك لا يقتضي خروجه عن جنس الرسل ، كما قال تعالى : ( ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون . )[3] وقال تعالى : ( وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربّي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . )[4]

وجماع هذا القول : ان سائر مايوصف به المسيح عندهم ، ويدّعون اختصاصه به ، من كونه ابناً لله ، وكونه مسيحا ، وكون الله حلّ فيه ، أو ظهر أو سكن ، أو ظهرت المعجزات على يديه ... كل ذلك موجود عندهم في حق غير المسيح . فليس للمسيح اختصاص بشئ من هذه الألفاظ في كلام الأنبياء توجب أن يكون هو الله أو ابن الله ،

---

(١) انظر سفر الخروج ٤ : ١٦ ، ٧ : ١ .

(٢) الجواب الصحيح / جـ ٣ ص ١٧٤ .

(٣) سورة المائدة / آية ٧٥ .

(٤) سورة المائدة / آية ٧٢ .

بل قد عرف - باتفاقهم واتفاق المسلمين - أن المراد بتلك الألفاظ حلول الايمان بالله ومعرفته ، وهداه ، ونوره ، ومثاله العلي في قلوب عباده الصالحين . كما بيناه[1]

والذي يتميز به المسيح عن غيره هو اختصاصه بلفظ "الكلمة" وكونه تجسد من روح القدس ، وهذا هو الذي خصه به القرآن ، فإن الله قال : ( انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه )[2] . وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( من شهد أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله ورسوله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل . )[3]

فهذا الذي خصه به القرآن ، هو الذي خصته به الكتب المتقدمة اذ كان القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ."[4]

---

(١) أنظر ص ٢١٦ من هذه الرسالة .
(٢) سورة النساء / آية ١٧١
(٣) انظر صحيح البخاري / كتاب بدء الخلق / باب قوله تعالى : ( إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ... الى قوله .. فانما يقول له كن فيكون ) جـ ٤ ص ٢٠١ .
وانظر كذلك صحيح مسلم - كتاب الايمان جـ ١ ص ٥٧ رقم الحديث ( ٤٦ ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
(٤) الجواب الصحيح / جـ ٣ ص ١٩٧ / ١٩٩ بتلخيص واختصار .

ج - التعقيب :

١ - الجذور التاريخية لعقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته

في مقارنة يعقدها صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) بين النصرانية وما اعتراها من خرافات وهرطقات في عقائدها، وبين ماسبقها من ديانات وعقائد - في هذه المقارنة يتبيّن لنا عمق التأثير الواضح لهذه الأديان السابقة في النصرانية، بل ان الصورة نجدها متطابقة تماما في تلك الأديان مع المسيحية الحالية.

ومما جاء في تلك المقارنة، مانقله صاحب الكتاب المذكور على لسان (دوان) من قوله :

"الاله بوذا المولود من العذراء مايا، الذى يعبده بوذيو الهند وغيرهم، يقولون عنه : إنه ترك الفردوس ونزل الى الأرض، وظهر بالناسوت رحمة بالناس؛ كي ينقذهم من الآثام، ويرشدهم صراطا مستقيما، ويحمل أوزارهم، ويفديهم مما يستحقونه من العذاب، بأخذه عنهم ما يستحقونه من القصاص."(١)

وقال (هوك) - أحد المبشرين الافرنسيين - عند تكلمه عن بوذا مانصه :

"والبوذيون يعدون بوذا الها تجسد، أي أنه اله ظهر بالناسوت، أتى الى هذا العالم ليعلم الناس ويرشدهم ويفديهم ويبيّن لهم طريق السلامة."(٢)

ويذكر الأستاذ محمد طاهر التنير أن "سكان سيام يعتقدون باله ولد من عذراء، يدعونه (الاله المخلص)، واسمه بلغتهم (كودم)، وأمه فتاة عذراء حسنة المنظر، أتاها وحي من الاله فهجرت الناس، وذهبت الى الأحراج التي قلّ أن يجتاز

---

(١) خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخرى ص٥١١ نقلا عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية ص٥٩.

(٢) كتاب رحلة هوك المجلد الأول ص٣٢٦/٣٢٧ نقلا عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية ص٦٠.

بها الناس ، وانتظرت الحمل بالاله ،كما أتاها الوحي ، وفي يوم من الأيام بينما كانت تصلي حبلت من أشعة الشمس التي وقعت عليها ، وعندما أحسّت بالحمل ذهبت من هنالك الى شاطئ بحيرة مابين سيام وكمبوديا ، وهنالك وضعت غلاما سماويا ، ولما شبّ صار مثال ومنبع الحكمة ، وفصل العجائب ."(١)

ويتحدث لنا الأستاذ التنير أيضا عن دهشة الأوربيين الذين وجدوا في بلاد الهند من يعبد الها مخلّصا فيقول :

" وقد اندهش الأوربيون الذين ذهبوا الى رأس كومورين في جنوبي الهند من رؤية السكان يعبدون الها مخلّصا يدعونه ( سليفاهانا )،واسم أبيه ( تيشاكا )، وذلك الولد الالهي ولد من عذراء ، وانه نفس فشنو العظيم المتجسّد ."(٢)

وكان المصريون القدماء يعتقدون "أن حورس المخلّص ولد من العذراء ايزيس ،وأنه المنبثق الثاني من آمون ،ويسمونه : الابن المولود ، ويصورونه اما على يدي أمه أوعلى حضنها . وقد ترجم العلّامة ( شمبليون ) مايأتي عن اللغة الهيروغليفية :

أنت الاله المنعم، وابن الاله ،أنت حورس المنعم ، أنت الذى أعلن عنك أوزيريس أنك المولود من الالهة ايزيس .

ويقول المصريون القدماء أيضا : ان الاله ( دا ) ولد من جنب أمه ،لاكما يولد الناس ....

---

(١) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٦٣ .

(٢) دوان / خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ص١١٩ نقلا عن المرجع السابق ص٦٣ .

وكانوا يقولون عن ملوكهم : انهم آلهة ،كما أن كثيرا من ملوكهم من قد ادعى الألوهية ..."[1]

" وأهالي بابل وآشور عبدوا عذراء زعموا أنها والدة الله ،وصوروها وعلى يدها ولدها الاله ، كما هى الحال عند النصارى تماما ،واسم هذه العذراء ( ميليتا ) ، واسم ابنها المخلّص ( تموز ) ،ويلقب بالوسيط والمخلّص ، وكان يوجد فى جزيرة قبرص هيكل اسمه هيكل العذراء ( ميليتا ) وهو أعظم الهياكل التى كانت فى عصر اليونانيين أبان مجدهم ."[2]

أما الفرس فيقولون عن ( زرادشت ) : "انه منبثق من نور الله ،لا كما يخلق الناس ،فقد خلق بغير دنس ( أى أن أمه لم يمسّها ذكر ) ،ويدعى : ابن الله ..."[3]

ويرى (بلاطو) أن اليونانيين كانوا يدعون أبطالهم فى القرون الماضية : آلهة ،وأولاد الآلهة . وانهم ظهروا بالناسوت ،ومن بعد موتهم انضموا مع الآلهة، وكانوا يقربون لهم الذبائح والعبادات.. وغير ذلك .

ومن جملة أبناء الآلهة ( هرقل ) بن الاله المشتري ،ولد من الأم المشترية ( الكمين ) ملكة تيبس . وقال زوس ـ اله الآلهة ـ عن هرقل: انه ابنه ..."[4]

أما الرومان فيقول ( دوان ) فى كتابه ( خرافات التوراة وما يماثلها فى الأديان الأخرى ":

"كان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ،ويعبدونهم ،ويقيمون لهم التماثيل ."[5]

---

(١) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٦٦ ، ٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص٦٧ .

(٣) المرجع السابق ص٦٧ .

(٤) المرجع السابق ص٦٧ ، ٦٨ .

(٥) ص٥٢١ نقلا عن محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانيةص٦٩ .

وهذه أسماء بعض ملوك الرومانيين الذين أُلِّهوا :

( روميلوس) مؤسس رومية ، ويدعونه ( ابن الله ) ، ولد من العذراء (راسيلفيا)، ويقولون عن ( يوليوس قيصر) أنه ابن الله ، . وقالوا أيضا : ان ( أوغسطوس قيصر) انسان واله . . . وقد ألّهوا ( كلوربوس) ، وكانوا يدعون ملوك رومية بهذه الألقاب : ربنا ومعلمنا وسيدنا والهنا .[1]

وقد قالوا عن الاسكندر المقدوني الذى ولد قبل المسيح بـ( ٣٥٦ ) سنة أنه اله على الأرض ، وأنه ابن المشتري من الأم البشرية ( أولمبياس) . . .

وقد ألّهوا ( بطليموس) أحد القواد الذين كانوا مع الاسكندر المقدوني وقد صار ملكا على مصر بعد موت الاسكندر ، وكانت تدعوه ( بطليموس المخلّص) .

ويقولون عن ( بلاتو) : انه ابن الله ، وكانت ولادته فى أثينا سنة ( ٤٢٩ ) قبل عيسى -عليه السلام- ، ويعتقدون أنه ولد من عذراء طاهرة نقية ، وأن ابزيس الذى يقال عنه : انه أباه ، أنذر بحلم رآه في المنام بأن لا يقترب منها ولا يمسها حتى تضع حملها ؛ لأنها حبلى من الاله ( أبولو) . . .[2]

وقد اعتقد سكان رومية بألوهية سمعان السامري الملقب ( ماغوس) أو (الساحر)، وكان معاصرا للمسيح -عليه السلام- وقالوا : إنه عمل آيات وعجائب مدهشة ، ووضعوا صورته مع صور الآلهة المصوّرين في تلك المدينة . . .[3]

وهي ولا شك صور مشابهة تماما لما عليه النصارى في شأن المسيح من جميع الوجوه .

---

(١) محمد طاهر التنير / العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ص٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص٧٠ / ٧١ .

(٣) المرجع السابق ص٧١ / ٧٢ .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هو :

كيف تسرّب ثالوث الشعوب الوثنية هذا إلى الديانة المسيحية السماوية المنّزلة من لدن الله تعالى . ؟!

ان الأمر يدعونا الى تتبع تاريخ نزول المسيحية ، وكيفية انتشارها ، حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر العجيب . فنقول :

كلنا يعلم أن الديانة المسيحية - مثلها مثل سائر الأديان السماوية - ماهى - فى حقيقتها وجوهرها - الا ديانة توحيد ، تدعو الى وحدانية الله - عز وجل - وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته ، وعدم الاشراك به . قال تعالى على لسان المسيح - مخاطبا قومه - :

( ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )[1] وقد سبق أن فصّلنا القول فى ذلك.[2]

واذا تصفحنا الكتاب المقدس لدى النصارى ، نجد أن صفحات التوراة والأناجيل قد تضمنت نصوصا كثيرة دالة على توحيد الله عز وجل ، وأنه سبحانه لاشريك له ولا شبيه . من ذلك :

قول موسى عليه السلام : "الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه ."[3]

ويقول أيضا فى سفر الخروج : "انه ليس مثل الرب الهنا ."[4]

ويخاطب داود ربّه قائلا : "ياالله مَنْ مثلك ."[5]

---

(١) سورة آل عمران / آية ٥١ .
(٢) أنظر ص ٥٠٤ من هذه الرسالة .
(٣) سفر التثنية ٤ : ٣٩ .
(٤) ٨ : ١٠
(٥) مزمور ٧١ : ١٩ .

وتورد الأناجيل مثل ذلك ، فالله غير منظور[١]، ولم يره أحد[٢]

ويقول يعقوب الحوارى : "أنت تؤمن أن الله واحد ، حسنا تفعل".[٣]

ويورد الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا قول المسيح -عليه السلام- معنفا قومه على عدم ايمانهم بالله الواحد بقوله : "كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه".[٤]

وتزخر التوراة والأناجيل بنصوص أخرى كثيرة غير هذه التى أوردناها دالة على توحيد الله عز وجل .

هذا هو ما دعت اليه الديانة المسيحية الصحيحة المنزلة من عند الله . فلم يدّعِ عيسى يوما ما أنه اله أو ابن اله ، أو أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر كما يزعم النصارى الآن ، بل "كان قانعا بنسبه العادي ابنا لمريم منسوبا من جهة الأب الى يوسف النجار ."[٥] كما كان شائعاً بين الناس .

وقد اعتبر المؤرخ والعالم المسيحى ( شارل جنيبير ) ادعاء بنوة المسيح لله تعالى من السفه الديني ، ونفى نفياً قاطعاً أن يكون المسيح قد ادعى ذلك فيقول :

"النتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى : أن عيسى لم يدّع قط أنه هو المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه إنه ( ابن الله ) ، وذلك تعبير لم يكن فى الواقع ليمثل سوى خطأ لغوي فاحش ، وضرب من ضروب السفه فى الدين ."[٦]

---

(١) أنظر رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١٢ .
(٢) أنظر انجيل يوحنا ١ : ١٨ .
(٣) رسالة يعقوب ٢ : ١٩ .
(٤) فقرة / ٤٤ .
(٥) أنظر الدكتور أحمد شلبى / فى كتابه المسيحية ص ١٥٠ .
(٦) المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص ٣٩ .

اذا كانت هذه هي حقيقة الديانة المسيحية الصحيحة ، فما بالنا اليوم نراها قد انتقلت من ديانة توحيد الى تعدد كالوثنيات ؟

ما الذى كدّر صفوها ، وأخبت ضوؤها ؟

وكيف وصل هذا الانحراف اليها والى عيسى -عليه السلام- ؟

الواقع ان الديانة المسيحية الصحيحة قد اعتراها كثير من الهرطقات والعقائد الوثنية الباطلة . -كما أوضحنا وكما سيأتي- من بينها قول الناس بتأليه عيسى -عليه السلام- كما فعلوا مع غيره من الأنبياء والحكماء والقادة والزعماء ، في الهند والصين وفارس واليونان وغيرها . فنقلوها بذلك من ديانة توحيد الى تعدد ، دون أن يتفقوا على كنه هذا التأليه ، وعلى طبيعة هذا الانسان المؤله.(1)

وقد وصل هذا الانحراف الى المسيح والى ديانته عن طريق يهود المهجر* الذين تأثروا تأثيرا كبيرا بما سبقهم من ديانات وعقائد وثنية ، حيث "لم يكن هؤلاء اليهود قد احتفظوا بالصورة الأصيلة الكاملة لعادات وروح اخوانهم في الدين من أهل فلسطين ، فقد لانت تلك العادات ، وتلك التقاليد ، ولان معها تعصبهم وعداؤهم لـ "الأجنبي" في ربوع هذه البلاد ، التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك ، وأقاموا صلات يومية مستمرة بمجتمعات "الكفرة" ، وتأثروا في قوة وعمق بتيارات الثقافة اليونانية التي انغمسوا فيها شيئا فشيئا ، فاذا ماتركنا جانبا

---

(1) أنظر : محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص١٨١/١٨٢ .

* يهود المهجر هم الذين كانوا يقيمون خارج فلسطين ( فى اليونان وروما وما بين النهرين ) .

عقيدتهم الدينية ، وفروض طقوسها الأساسية ، وجدنا أن هؤلاء اليهود ـ بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة ـ لا يفترقون في لغتهم ، ومظهرهم وثقافتهم العامة عن الاغريق الذين يماثلونهم في الظروف الاجتماعية ، وأظهر الذين ارتقوا منهم الى أعلى مراتب التعليم اعجابا عميقا بأدب اليونان وفلسفتهم ، وامتزج فكرهم بهذا الأدب ، وهذه الفلسفة ، الى حدّ الشعور بأنه لم يعد في استطاعتهم التخلي عنهما لارضاء الشريعة الموسوية ، كما لا يستطيعون التخلي عن تلك الشريعة في سبيلهما .

ولهذا نرى ( فيلون )[1] وهو المثل الواضح لهؤلاء اليهود ، الذين تشبعوا بالروح اليونانية ـ تراه في الاسكندرية يحاول مخلصا أن يبرهن على عدم التعارض بين الوحي الذى نزل على موسى ، والأحكام التى جاء بها ، وبين نظريات ( أفلاطون )[2] و ( زينون )[3] ، وعلى أن المرء لابدّ له من الاقتناع بذلك اذا أحسن فهم مقاصد الفيلسوفين ...

---

(١) هو فيلون الاسكندرى ( ٣٠ قبل الميلاد - ٥٠ بعده ) ، وهو أكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية في ذلك العصر . وكان له أثر قوى لدى المسيحيين ، وقد استخدم نفر من المفكرين المسيحيين ـ في القرون الأولى ـ كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية ، وحاكى بعضهم منهجه في شرح الكتب المقدسة . أنظر / يوسف كرم / تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٥٢ .

(٢) ( ٤٢٧-٣٤٧ ق ٠م ٠ ) من مشاهير فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط ، ومعلم أرسطاطاليس انظر / منجد الأعلام ص٥٥ ط٢٦ .

(٣) هو زينون الايلي ( ٤٩٠-٤٣٠ ق ٠م ٠ ) فيلسوف يوناني ، تعلم على برفيدس . صاحب البراهين على عدم وجود الحركة . أنظر : منجد الأعلام ص٢٤٣ ط٢٦ .

.... وكانت طوائف اليهود في المهجر أكثر استعدادا من يهود فلسطين لمناقشة الحواريين فيما يدعون اليه ، ثم للاقتناع بهم إن بدت لهم الحجة قوية . وقد أظهر هؤلاء اليهود ميلا خاصا الى ذلك .

ولذا كان الخطر كبيرا على العقيدة المسيحية ـ وهي العقيدة الواضحة غاية الوضوح ، والتي أثبتت التجربة مرونتها الكبيرة ـ عندما انتقلت الى المعابد اليهودية في بلاد اليونان : خطر الانحراف والتطبع بخصائص الفكر اليوناني .

ويتضح لنا هذا الخطر اذا علمنا أن اليهود ، في بعض مناطق المهجر ، لم يكتفوا بالتطور الاجتماعي وفقا للبيئة التي يعيشون فيها ، ولم يكتفوا باعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو ـ على الأقل ـ تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم ، مع صيانة جوهرها كاملا ـ لم يكتفوا بذلك ، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم ، في نفس الوقت الذي كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة ....»[1]

ويذكر لنا أيضا ( شارل جنيبير ) كيف أن « دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ سرت في عبورها من ربوع فلسطين الى أراضي المهجر بأدوار غاية في التسلسل ، وكأنها أدوار حتمية لا مردّ لها .

فمجموعة ( أعمال الرسل ) تقصّ علينا : أن الحواريين استمالوا الى عقيدتهم بعض يهود اليونان الذين وفدوا الى القدس في الاحتفالات الخاصة ببعض الأعياد ، وعادت فئة من الحجاج الى ديارها فور انتهاء هذه الاحتفالات ، بينما بقيت فئة أخرى بالمدينة المقدسة ، غير أنها لم تلبث أن طردت منها ، أثر مقتل الشماس

---

(١) أنظر / شارل جنيبير : المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص ٥٩ / ٦١ بتلخيص .

( ابتين ) على أيدى قضاة اليهود .

وكان ( ابتين ) هذا قد تخصص فى شرح وإذاعة الانجيل بين رحاب القدس التى ينفق عليها يهود اليونان .[1]

ورحل الأنصار الجدد المطرودون الى فينيقيا ، وقبرص ، وأنطاكيا ، حيث راحوا بدورهم يبشرون بعيسى فى المعابد[2] ، وتحدثوا أيضا الى أهل اليونان ، وآمن الكثير من هؤلاء اليونانيين بالسيد المسيح .[3]

إذن كانت هناك مادة دينية ضخمة قابلة لأن تتشكل ، وتتطور فى سهولة حسب رغبات من يريد استغلالها ، حيث كانت هناك تأثيرات الشعوب السريانية والكلدانية التى عاشت بجوار اسرائيل ، وتأثرت بها ، وأثرت فيها . وكذلك تأثيرات وفود الحجيج الى بيت المقدس من أبناء الجالية اليونانية . وكانت هناك بلاد مابين النهرين فى الشرق التى تتفاعل فيها التيارات الدينية النابعة من الهند وفارس والمنتهية الى أرض بابل . ثم كانت هناك البيئة المصرية من ناحية الجنوب ، حيث تطورت العبادات المحلية ، ونمت ونحت نحو آفاق أوسع وأشمل بتأثير الفكر اليونانى الخصب .

وأخيرا : نجد البيئة الاغريقية من ناحية الشمال ( الذى نسميه اليوم بآسيا الصغرى ) نجدها أكثر تعقيدا واختلاطا فى الفكر ، ولكنها أيضا أكثر خصوبة وانشارا بسبب وضعها كمركز هام للديانات . . .

---

(١) أنظر سفر اعمال الرسل ٦ : ٩ ومايليها . وكذلك ٧ : ٥٧ ومايليها .

(٢) أنظر سفر أعمال الرسل ١١ : ١٩ وما يليها .

(٣) المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص٦٤ / ٦٥ .

كل ذلك أدى الى تشرب بني اسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي .[1]

هذه التأثيرات مجتمعة أو متفرقة انتقلت الى اليهود المسيحيين الذين آمنوا بالسيد المسيح وتركت بصماتها واضحة على العقيدة المسيحية الصحيحة ، فأدت الى انحرافها بل وتغييرها . وكانت البذرة الأولى لهذا التأثير وذلك الانحراف هي ادعاء ألوهية المسيح وبنوته لله تعالى . والذى قام بالغراس لهذه البذرة وغيرها . هو ذلك اليهودى الأنطاكي المولد ( بولس ) الذى كان على علم عظيم باليهودية والمتراسبة ، حيث " لم يكن الحواريون الاثنا عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ " ابن الله " مكتفين بتعبير " خادم الله " - أما عند بولس فلقب " ابن الله " لقب كثير الاستعمال بالنسبة الى عيسى .

ان بعض المفاهيم الجوهرية لدى المجتمع الأول نجدها اذن غريبة أو مجهولة أو غير ذات شأن لدى الحوارى المرسل الى المشركين .

أما المفاهيم التي عرفت له فهو لم يختلقها اختلاقا ، وانما قام بتطويرها وتنميتها . ولابدّ لنا من القول بأنه أخذها عن مصادر أخرى غير المجتمع المسيحي الذى أسسه أصحاب عيسى أنفسهم ولابدّ لنا من الاعتقاد بأنه وجد هذه المصادر في مجتمع من المجتمعات الهيلينيستية ،[2] وأغلب الظن أن هذا المجتمع كان مجتمعا

---

(١) أنظر : شارل جنيبير / المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص٣٠ ، ٣١ .

(٢) الهيلينيستية أو الهيلينية - نسبة الى هيلين بن ديوكاليون جد اليونان الأول - حضارة الاغريق ومثلهم وطرق معيشتهم . وتمطينا أثينا في عصر (بركليس ) أكمل صورة لكل ذلك . . . . وتوصف بالهيلينية كل محاولة حديثة لاحياء المثل الاغريقية القديمة . أنظر محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص١٩٣١ .

أنطاكيا ." [1]

ولم يخرج الكاتب الألماني (هايتمولير ) عن جادة الحق عندما كتب في مقال عن (بولس) وعلاقته بالمسيح فقال :

" ان بولس لم يتأثر بعيسى عن طريق المجتمع المسيحي الأول ، ولكن الأثر انتقل اليه عن طريق المسيحية الهيلينيستية." [2] فهو ( أي بولس) " لم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنميتها ، وهي فكرة " ملكوت الله " ، ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، بل ولا زعيم اليهود الموعود فقط ، بل انه ابن الله ، نزل الى الأرض ، ليقدم نفسه قربانا ، ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر." [3]

" وللوقت جعل يكرز في المجامع أن المسيح ابن الله" [4]

" ويكاد يكون من القضايا المسلّم بها لدينا أن بيئة أنطاكيا هذه ، حيث كثر المؤمنون الذين علقوا بعيسى كل الآمال وإن لم يعرفوه - هذه البيئة ساعدت على التطور السريع نحو تأليه المسيح ، أو هي حددت فكرة تمجيده ، ان بدت لنا كلمة ( التأليه ) سابقة لأوانها . . ." [5]

وقد أبان لنا الكاتب الكبير ( كالثوف) Kalthoff أن الاعتقاد بألوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل ، لذلك فالاعتماد على الأناجيل لاثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب . يقول :

" ان صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدّت قبل أن يكتب سطر واحد

---

(١) شارل جنيبير / المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص٩١/ ٩٢ .

(٢) نقلا عن الدكتور رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ص١٠٢ .

(٣) الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٤٢ ط٥ .

(٤) أنظر سفر أعمال الرسل ٩ : ٢٠ .

(٥) شارل جنيبير / المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص٩٠/ ٩١ .

من الأناجيل ، وان هذه الصورة هي من انتاج الفلسفة العقلية ( الميتافيزيقية )[1] التي كانت اذ ذاك مسيطرة ، وكانت آراؤها شائعة ، وتكاد تكون عامة أو عالمية ."[2]

ويقول ( شارل جنيبير ) :

" لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير ( ابن الله ) على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية ، انها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الانجيل الرابع ، وقد وجدا فيها معاني عميقة ، وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة اليهما . . . .

ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه ( عبدالله ) ، وتقدم للناس بهذه الصفة . والكلمة العبرية ( عبد ) كثيرا ما تترجم الى اليونانية بكلمة ( خادم ) و ( طفل ) على حدّ سواء ، وتطور كلمة طفل الى كلمة ( ابن ) ليس بالأمر العسير ، ولكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفكري اليوناني ."[3]

" ولو تجاوزنا مدينة روما والرومان ، وبيئة أنطاكيا ، وعبرنا البحر المتوسط ، ويممنا وجوهنا شطر شواطئه الجنوبية ، فنجد هناك مدينة الاسكندرية ، ومدرستها ،

---

(١) الميتافيزيقا : فرع من الفلسفة ، يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود ، سماها أرسطو الفلسفة الأولى . وتعرف بما وراء الطبيعة . انظر : محمد شفيق غربال / الموسوعة العربية الميسرة ص١٧٩٤ .

(٢) أنظر الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٤٧ طه .
وكذلك المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي / النصرانية والاسلام ص٣٩ .

(٣) المسيحية ( نشأتها وتطورها ) ص٩٣ .

وفلسفتها - موطن الدعاية لألوهية المسيح - التى أوى اليها فلاسفة اليونان ، وتابعوا الفلسفة اليونانية والتى نراها تتجه اتجاها واضحا الى النواحي الدينية ، والبحث فى منشئ الكون .... "(١)

هذه التأثيرات كان لها أثرها فيما بعد حين اتصلت المسيحية بالأمة المصرية " حيث شاعت فى مصر عقيدة الهية جديدة تتلخص فى أن المسيح المخلص هو ابن الله ، وأن الله أرسله فداء لأبناء آدم وحواء ، وأن الله وان كان واحدا الا أنه من أقانيم ثلاثة هى : الأب ، والابن ، والروح القدس، وأن المسيح هو الابن وهو ذو طبيعة الهية ."(٢)

نخلص من ذلك كله الى أن فلسفة مدرسة الاسكندرية ، وفلسفة الاغريق هما اللتان دفعتا المسيحيين الى القول بألوهية المسيح . ويقرر ذلك السيد محمود أبو الفضل ، حيث يقول :

"ان الاضطهاد الذى لاقاه المسيحيون فى عهدهم الأول دفعهم الى الهجرة ، فرحل بعضهم الى الاسكندرية فأخذوا عن مدرستها ، ورحل البعض الى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومن هذين المعينين جاءت المسيحية الحديثة ."(٣)

---

(١) أنظر الشيخ محمد أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية ص٤٣ط٣ .

(٢) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوى / محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن ص١٢٧ .

(٣) وحدة الدين والفلسفة والعلم ص١٣١ نقلا عن الدكتور أحمد شلبى / المسيحية ص١٥٠ ط٥ .

ويثبت Plliecdeter المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهيــــة المسيح فيقول :

"ان معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأحبار ، والخيال الشرقي ، والفلسفة الاغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح الــــتي ظهرت في العهد الجديد ، وكل مايمكن تقريره دون تردد هو أن تصور المسيــــح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية في عهدها الأول ، كما كان هدف دعاتها ."(1)

ولعل في هذه السوابق التاريخية في تأليه البشر وادعاء انبثاقهم من الاله ، مايفسّر لنا هذا الانحراف الذي طرأ على المسيحية وأدى الى دخول تلك العقيدة الباطلة فيها على أيدي هؤلاء المؤمنين الأُوَل بالمسيحية من يهود المهجر وغيرهم المتأثرين بما شاع في بيئاتهم من تلك العقائد الباطلة ، والذين نقلوا تأثرهـــم هذا الى كيفية اعتقادهم بالمسيح عليه السلام .

فعقيدة المسيحيين في المسيح -عليه السلام- ليست في الحقيقة عقيــــدة دينية استقوها من نصوص كتابهم المقدس ، ولكنها كانت عقيدة وليدة التأثـــــر بالبيئات المختلفة التي انتشرت فيها المسيحية ، والتيارات الثقافية والدينيـــة التي طرأت عليها ، وكانت سابقة على كتابتهم للكتاب المقدس ، فظهرت فيه كــــل هذه التأثيرات العقدية ، ولم يكن هو منبعها كما يزعمون .

---

(1) نقلا عن الدكتور أحمد شلبي / المسيحية ص١٤٧ ط٥ .

٢ - بشرية المسيح في الانجيل ودلالتها على بطلان بنوته لله تعالى وألوهيته :

ذكرنا من قبل أن النصارى يحتجون على صحة عقيدتهم في المسيح بأنهم لم يبتدعوها من تلقاء أنفسهم ، ولكنها في نظرهم عقيدة دينية مأخوذة من كتابهم المقدس . وذكرنا كذلك طرفا من نصوص الأناجيل التي يستدلون بها على صحة تلك العقيدة في زعمهم .

وقد رأينا كيف أن ابن تيمية قد تعقّب هذا الاستدلال منهم بالابطال ، فأبطل دلالة النصوص التي يستدلون بها على صحة تلك العقيدة ، واذا بطلت دلالة الدليل بطل المدلول .

واذا كان ابن تيمية قد أبطل أدلتهم على عقيدتهم التي يأخذونها من الأناجيل ، فإننا نضيف - في هذا المقام - الى ماقدمه البرهنة على أن الأمر في هذه القضية بعكس مايذهب اليه النصارى .

فالأناجيل لا تدل على صحة عقيدتهم - كما يزعمون - ، بل هي على العكس من ذلك تدل بنصوصها على بطلان تلك العقيدة .

وهنا نودّ الاستدلال على بطلان عقيدتهم بنصوص تلك الأناجيل ، ذلك أنهم اذا كانوا يؤمنون بكل مافي الأناجيل ، وأنها صحيحة ، فإنا سنأخذ منها مايبطل عقيدتهم في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته . ونحن لا نقول هذا ادعاء ، وانما نقوله لما ورد في أناجيلهم التي يعتدّون بها .

ولسوف نأخذ من الأناجيل مايدل على بشرية عيسى - عليه السلام - وعبوديته لله ، وخضوعه للسنن والنواميس الكونية من أكل وشرب ، ونوم وصحو ، وفرح وحزن . . . الخ شأنه في ذلك شأن سائر البشر . وما يدل أيضا على نبوته ، ورسالته ، وأنه موحى اليه ، واعترافه هو صراحة بذلك .

من ذلك ، ماجاء على لسانه -عليه السلام - في انجيل مرقس من قوله : " فأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن الّا الأب وحده ."(١)

فقد صرّح في هذا النص بالانسانية المحضة نافياً عنه العلم المختص بالله . وهذا من أوضح الأدلة على انسانيته المحضة .

كما صرّح أيضا بالالهية والوحدانية لله تعالى ، وبالرسالة لنفسه فقال : "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنت الاله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته ."(٢)

واعترف صراحة بأنه انسان وابن انسان ، وأنه يتألم كثيرا ، وأن ملائكة الله تؤيده في دعوته ، شأنه في ذلك شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين جهاده مع الكفار والمشركين ، وشأن غيرهما من الأنبياء . واعترافه لم يكن في جملة واحدة نجده مصادفة بين طيات الأناجيل ، ولا في سطر واحد ، وانما هو في عشرات الآيات بمختلف الصيغ والأساليب .

يقول عيسى -عليه السلام - في ذلك كما يروون عنه - :

"أما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه ."(٣)

"ابن الانسان لم يأتِ ليهلك الناس ، بل ليخلص ."(٤)

"انه ينبغي أن ابن الانسان يتألم كثيرا ."(٥)

---

(١) ١٣ : ٣٢ .

(٢) انجيل يوحنا ١٧ : ٣ .

(٣) انجيل متّى ٨ : ٢٠ .

(٤) انجيل لوقا ٩ : ٥٦ .

(٥) انجيل لوقا ٩ : ٢٢ .

وجاء في انجيل ( يوحنا ) على لسان عيسى -عليه السلام- :

"الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان "[1]

وهذا كله يدل على بطلان مايزعمونه من بنوته لله تعالى وألوهيته .

ليس هذا فحسب ،بل إن رجلين من محبيه شهدا بانسانيته ، ونبوته كما جاء في انجيل ( لوقا ) ،حيث يقولان عنه :"كان انسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الناس "[2]

ويقول عيسى -عليه السلام- : "لأني خرجت من قِبَل الله وأتيت ، لأنني لم آت من نفسي ،بل ذاك أرسلني "[3]

وهذا "(بولس ) رسول المسيحية -كما يصفونه- يتحدث عن عيسى -عليه السلام- فيقول :"الانسان يسوع المسيح "[4]

بل إنه لا يكتفي بذلك ،وانما يؤكد أن الله هو سيده ومولاه . فيقول : "رأس المسيح هو الله "[5]

وحين عرف ( بولس) مارواه ( يوحنا ) في انجيله عن تواضع عيسى وكيف أنه بلغ من تواضعه مبلغا لدرجة أنه غسّل أرجل تلاميذه ، ومسحها بالمنشفة التي كان مئتزرا بها .[6] -علّق على ذلك بأن شبّه عيسى بالعبد ،حيث قال عنه : "أخلى نفسه آخذا صورة عبد ..."[7]

---

(١) ١ : ١٥ .
(٢) ٢٤ : ١٩ .
(٣) انجيل يوحنا ٨ : ٤٢ .
(٤) رسالة بولس الأولى الى أهل تيموثاوس ٣ : ٥ .
(٥) " " " " "كورنثوس ١١ : ٣ .
(٦) أنظر انجيل يوحنا ١٣ : ٤-٥ .
(٧) رسالة بولس الى أهل فيلبي ٢ : ٦، ٧ .

وصدق بولس هذه المرة ، وصدق عيسى -عليه السلام- قبله ، فعيسى حقـا هو العبد ، عبد الله ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة فاستحق رضا الله وفاز بجنّاته .

وقد خضع عيسى عليه السلام لكافة الغرائز الانسانية ، أكل كما يأكل الناس، وشرب كما يشربون . ونجد ذلك واضحا حين يتحدث عن نفسه مخاطبا اليهود "جاء ابن الانسان يأكل ويشرب ، فتقولون : هوذا انسان أكول وشريب خمر"[1]

وكم جاع عيسى فلم يجد ما يأكله ، وكم ظن الشيء على خلاف ما هو عليه[2] ، وكم تعب وطلب الراحة ، ورغب في النوم . وكثيرا ما كان يتجول في القرى ويدعو الناس في الطرقات فيغشاه سلطان النوم رغم ارادته من كثرة الارهاق .

وتحدثنا الأناجيل عن احدى المرات التي نام فيها عيسى في ظروف كانت تستلزم اليقظة ، نام في سفينة صغيرة وسط البحر والموج وبين التلاميذ . تقول الأناجيل :

إنه في احدى المرات دخل سفينة هو وتلاميذه ، فقال لهم : لنعبر الى عبر البحيرة فأقلعوا ، وبينما هم سائرون نام ، فنزل نوء ريح عظيم في البحيرة ، وكادوا يمتلئون ماء ، وصاروا في خطر ، فتقدموا اليه وأيقظوه قائلين : يامعلم ، يامعلم ، إننا نهلك .. [3]

عجباً من نوم الاله ، وهو سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم .

ونجد عيسى أيضا قد بكى في ظروف كثيرة : بكى على فراق أحبابه ، وعلى موت أصدقائه .

---

(١) انجيل متى ١١ : ١٩ ، وكذلك انجيل لوقا ٧ : ٣٤ .

(٢) انظر انجيل مرقس ١١ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) أنظر انجيل متى ٨ : ٢٣-٢٧ ، وانجيل مرقس ٤ : ٣٥-٤٠ ، وانجيل لوقا ٨ : ٢٢-٢٤ .

أتت اليه يوما شقيقة ( لعازر) صديقه ، وأخبرته بموت شقيقها ، فانزعج عيسى ، واضطرب ، وحزن ، وتألم ، وبكى ، وتأوه .

يقول يوحنا : " فلما رآها يسوع تبكي ، واليهود الذين جاءوا اليها يبكون ، انزعج واضطرب وقال : أين وضعتموه ؟ فقالت : ياسيد ، تعال ، وانظر ، فبكى يسوع ، وقال اليهود : انظروا كيف كان يحبه . . . "(١)

وفي نصوص أخرى من أناجيلهم نرى المسيح -عليه السلام- في غاية التذلل والخضوع لله تعالى ، حيث كان مثال المتعبد الخاشع المتضرع لله ، وكان يعلم أن الصلاة هي الصلة الوثيقة ، والرباط المحكم الذي يربط الانسان بخالقه ، فكان يحرص -كما حرص غيره من الأنبياء- على أن يوطد هذه الصلة بينه وبين خالقه ، فكان يصلي آناء الليل وأطراف النهار ، ويضرع الى الله تعالى ، ويلجأ اليه في الكربات .

والأناجيل مليئة بالحديث عن صلاة عيسى -عليه السلام- ومناجاته لربه وتضرعه اليه . من ذلك قوله لتلاميذه :

" اجلسوا ههنا ، حتى أمضي ، وأصلي هناك "(٢)

" وبعدما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلي . . . "(٣)

" وفي تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلي ، وقضى الليل كله في الصلاة لله . "(٤)

---

(١) انجيل يوحنا ١١ : ٣٣-٣٦ .

(٢) انجيل متّى ٢٦ : ٣٦ .

(٣) " " ١٤ : ٢٣ .

(٤) انجيل لوقا ٦ : ١٢ .

ويروى لنا (لوقا) عن احدى الضائقات التي ألمّت بعيسى عندما حاول بعض اليهود قتله لاعتقادهم ضلاله وكذبه، فيهرع عيسى - عليه السلام - الى الجبل، ويضرع الى الله أن يخلصه من أعدائه، جاثيا على ركبتيه، مبتهلا الى خالقه، خاشعا له، ومتضرعا اليه، حتى يتصبب منه العرق، وتتساقط قطراته من جسده.

يقول لوقا عنه: "وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون، وتبعه أيضا تلاميذه، ولما صار الى المكان، قال لهم: صلوا، لكي لا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه، وصلى قائلا: يا أبتاه، ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا ارادتي بل ارادتك، وظهر له ملاك من السماء يقويه، واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض..." (١)

فهذا الخشوع والخضوع والتذلل، ليس له ما يبرره الا البشرية والعبودية التي تربط عيسى - عليه السلام - بربه، وتجعله يلجأ اليه في كل وقت.

وقد بالغت الأناجيل في قدرة عيسى - عليه السلام - على التخفي والهرب من أعدائه، فقررت أنه كان يجتاز في وسطهم فلا يشعرون به. من ذلك: ما رواه (متّى) في انجيله عندما أراد الفريسيون القبض عليه وقتله، وعرف عيسى مرادهم ففرّ منهم. يقول (متّى):

"فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه كي يهلكوه، فعلم يسوع، وانصرف من هناك." (٢)

وفي إحدى المرات حدثت مشادة كلامية بين عيسى - عليه السلام - وبين بعض

---

(١) انجيل لوقا ٢٢: ٣٩-٤٤.

(٢) ١٢: ١٤-١٥.

اليهود -كما يروي ذلك يوحنا - فغضب اليهود منه ، وأمسكوا بالحجارة لكي يرجموه ، لكنه استطاع التخفي والهرب منهم دون أن يشعروا به .

يقول ( يوحنا ) : " فرفعوا حجارة ليرجموه ، أما يسوع فاختفى ، وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ." [(١)]

فأي اله هذا الذى يخشى أعداءه ، وهو خالقهم ، ويهرب منهم وهو القادر على هلاكهم ؟ ! بل إن كان ابن الله ، فأين أبوه عنه فى حالته هذه ؟ ولِمَ لَمْ يجنبه كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين ، ويحميه منهم ، وهو القادر على ذلك ؟ !

بل ان عيسى -عليه السلام - أقرّ بأن ليس له من الأمر شئ فى أكثر من مناسبة ، وان الأمر مفوّض الى الله العلى القدير . من ذلك : عندما جاءت اليه أم ابني زبدي ومعها ابناها ، فقال لها : " ماتريدين ؟ قالت : أريد أن يجلس ولداي أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك إذا جلست فى ملكوتك . فقال : أيصبران على الكأس الذى أشرب؟ فقالا : نصبر ، فقال : سيشربان بكأس ، وليس تجليسكما عن يمينى ، ولا عن شمالى الا لمن وهب ذلك الىّ ." [(٢)]

وتراه أيضا قد نفى عن نفسه القدرة الكاملة ، والمشيئة التامة عندما خاطب اليهود بأنه لا يقدر أن يفعل من ذاته شيئا ، لكن يحكم بما يسمع ، لأنه لا ينفذ ارادته ، بل ارادة الذى بعثه . فغاير بين ارادته ، وارادة من بعثه وأرسله . [(٣)]

وفى موضع آخر من الأناجيل نجد عيسى -عليه السلام - قد جعل نفسه ومكانه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولا . فما زاد فى وصفه لنفسه

---

(١) انجيل يوحنا ٨ : ٥٩ .

(٢) انجيل متّى ٢٠ : ٢٠-٢٣ .

(٣) انظر انجيل يوحنا ٥ : ٣٠ .

شيئا على ما وصف به غيره من الأنبياء عليهم السلام. يقول :

"لقد عرفتموني في موضعي ، ولم آتِ من ذاتي ، ولكن بعثني الحق ، وأنتم تجهلونه."(١)

ومن هذا المنطلق كان عيسى - عليه السلام - يناجي ربه بأنه عبد ، وقد ظل كذلك الى ختام حياته ، حيث صورته الأناجيل بأنه كان خائفا ، وعاجزا عن دفع الأذى عن نفسه ، حين شعر بوثوب اليهود عليه - كما يقولون - قال :

"الآن قد جزعت نفسي ، فماذا أقول يا أبتاه ؟

فسلمني من هذا الوقت . ثم قال : ايلي ، ايلي لم شبقتني ؟

ومعناها : الهى الهى لم تركتنى ؟"(٢)

وتجربة الشيطان لعيسى تستحق التأمل ، فقد جاء في انجيل ( متّى ) : "ان ابليس أخرج المسيح الى البرية ، وقال له : إن كنت ابن الله ، فقل لهذه الحجارة تصير خبزا . فقال المسيح : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من الله ، فأخذه ابليس حتى أقامه على أعلى الجبل في الأرض ، وأراه جميع ممالك العالم ، وقال له : هذا كله لي وأنا أعطيكه ، ان سجدت لي سجدة واحدة ، فقال له : اغرب عني يا شيطان ، فإنه مكتوب للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه ابليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه."(١) *

---

(١) انجيل يوحنا ٧ : ٢٨ .
(٢) انجيل متّى ٢٦ : ٣٨-٤٢ .
(٣) انجيل متّى ٤ : ١-١١ . وانظر كذلك انجيل لوقا ٤ : ١-١٣ .

* راجع في هذه المادة الكتب الآتية :

(١) الامام الغزالى / الرد الجميل لالهيّة عيسى بصريح الانجيل .
(٢) الدكتور / محمد تقي الدين الهلالى / البراهين الانجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ، ولا حظ في الألوهية .
(٣) الأستاذ محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله .

وانا نتساءل مستنكرين عن كيفية ايرادهم لهذه القصة المضحكة في كتبهم في شخص يدّعون الألوهية فيه .

فايراد هذه القصة وحدها في كتابهم - المقدس - كاف لهدم دعوى ألوهية المسيح .

ويعلّق الشيخ ابراهيم الجبهان عليها بقوله :

" لا أدري والله كيف يؤلهون المسيح ، ثم يؤمنون بانجيل يحتوي على هذه القصة المضحكة ، التي تكفي وحدها لهدم كل دعوى بألوهية المسيح ، وتقويض كل مرتكزات النصرانية ، إذ كيف يسحب ابليس من يعتقدون ألوهيته من مكان الى مكان دون أن يبدي أي اعتراض على الذهاب معه ، مع علمه بأنه شيطان ....
ثم ماذا ؟ ثم تبلغ الحماقة أو الوقاحة أو البلاهة بابليس أن يطالب من يعتقدون ألوهيته ، بأن يسجد له نظير رشوة ." [1]

وهذه كلها صفات انسان مهين لا اله قوي متين .

حقا ... انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ولعل من أطرف نوادرهم مايقرؤنه في الصلاة :

" تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح الهنا ، أيها الرب خروف الله ، أنت وحدك القدوس المتعالي " [2]

ففي سطر واحد سموه إلٰها أولا ، ثم ربّا ثانيا ، ثم خروفا بعد ذلك ... ثم ماذا ؟
اللهم انا نبرأ اليك من هذا الهذيان ...

---

(١) مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص٧٠ .

(٢) أنظر الشيخ ابراهيم سليمان الجبهان / مايجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص٧١ .

والواقع أن هذه النصوص التي نقلناها من الأناجيل دالة على بشرية عيسى -عليه السلام- هي غيض من فيض . ذكرنا بعضها حسبما يسمح به المقام ، وتركنا بعضها الآخر ، وهو كثير جدا . فليرجع اليها من أراد المزيد .

ونقْلنا لهذه النصوص هو لالزامهم بما يؤمنون به من صحتها حيث يجب عليهم لذلك أن يسلموا بكل ماجاء فيها عن بشرية المسيح فلا يعتقدون خلافه .

فهؤلاء النصارى إما أن يؤمنوا بأن كتبهم صحيحة ، فتدل هذه الشواهد التي قدمناها على بطلان عقيدتهم ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته ، بما تقرره من بشريته ، وبما تصفه به من مظاهر هذه البشرية . وامّا ألّا يقولوا بصحتها ، فيلزمهم حينئذ بطلان الاستشهاد بها على عقيدتهم .

فنحن اذا أخذنا بما تقرره هذه النصوص من بشرية المسيح ، وبكل ما تضمنته من مظاهر هذه البشرية من أفعال وغرائز ، وانفعالات فاننا نحكم ببطلان عقيدة النصارى في المسيح -عليه السلام- من واقع كتبهم أنفسهم ، حيث يستحيل عقلا ثبوت كل هذه الخصائص لمن يوصف بالألوهية . وفي نفس الوقت فإننا نعجب كيف يجمعون بين الايمان بهذه النصوص مع كل ماتضمنته من وصف المسيح بالبشرية ، ومظاهرها ، وبين اعتقادهم ببنوته لله -عز وجل- وألوهيته ؟!!!

٣ - بطلان تأويل النصارى للخصائص البشرية عند المسيح :

ولكن المسيحيين في سبيل هذه العقيدة ، يعمدون الى ماقدمناه من نصوص كتبهم ، فيؤولونه بما يتفق مع تلك العقيدة ، بل ويتخطون ذلك الى أن يجعلوا بعض ماقدمناه من النصوص كدليل على بشرية المسيح دليلا على ألوهيته ، وهم مخطئون في كلا المسلكين .

فأما تأويلهم للنصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع ألوهيته ، فانهم يذكرون في هذا الصدد نصوصا من الأناجيل كتلك التي قدمناها سابقا مستدلين بها على بشرية المسيح ، ولكنهم - كما قلنا - يؤولونها بما لا يجعلها تتنافى مع اعتقادهم بألوهيته ، حيث يجعلونها أثرا من آثار الناسوت المسيحي .أي الجسد الذي اتحد به لاهوته . فمظاهر البشرية التي تسندها الأناجيل الى المسيح انما تسندها - في نظرهم - الى المسيح الجسد ابن الانسان ، أما المسيح الاله المتجسد في هذا الجسد والمتحد به فان أعماله الخارقة ومعجزاته الفائقة تدل عليه ، ولا تتناقض في نظرهم مع هذه الدعوى ،أي أنه لا استحالة عندهم في حلول المسيح الاله في المسيح الجسد ، واستقلال كل منهما بأعماله الخاصة ، فالجسد له أعماله ، ومظاهره البشرية ، والاله له أعماله ومظاهره الالهية . وهكذا يؤولون النصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع عقيدتهم في ألوهيته .

ولنذكر لذلك التأويل أمثلة مما ذكره الدكتور ( هاني رزق ) في هذا الصدد في كتابه ( يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته ) ، فهو يذكر ما أثبتته الأناجيل للمسيح من الشعور بالجوع ، وتصبب العرق ،والشعور بالحزن والاكتئاب ، وكثرة بكائه لموت أصدقائه ، وضعفه الجسدي عن حمل الصليب . يذكر كل ذلك مؤولاً إياه بأنه راجع

الى ناسوت المسيح لا الى لاهوته .

فيقول عن شعور المسيح بالجوع :

انه " بعد أن صام يسوع المسيح أربعين يوما شعر بالجوع . والشعور بالجوع من الخصائص الفسيولوجية للجسد البشرى ، الدالة على حقيقة التجسّد . " فبعد ماصام أربعين نهارا ، وأربعين ليلة جاع أخيرا ." (١)

ويقول عن بذل المسيح جهده فى صلاته حتى يتصبب عرقا :

" ذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح كان يصلي بلجاجة ، وجهاد حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ،أى أنه كان يبذل أقصى درجات الجهد البشرى ،وأعظم احتمال يمكن أن يعطيه الجسد الانسانى". " واذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة ،وصارت عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ." (٢)

ويقول فى تأويله لواقعة حزن المسيح واكتئابه :

" ذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح كان يحزن ويكتئب ، وهذه الانفعالات والوجدانات من صفات الجسد البشرى ، وهو عدم القدرة على احتمال المؤثرات العميقة المحزنة ، فيكتئب لها الانسان ،ويضطرب ويحزن ". "ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يجهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت." (٣)

ثم يقول الدكتور ( هانى رزق ) ـ مفسرا بكاء المسيح على صديقه (لعازر) ـ:

"ظهرت خاصية الانفعالية ( التى هى من خصائص الطبع الانسانى ) بوضوح فى واقعة بكاء يسوع المسيح ( المسيح المتجسّد ) ؛ لتأثره الانفعالي بالحدث

---

(١) انجيل متّى ٤ : ٢ .

(٢) انجيل لوقا ٢٢ : ٤٢ .

(٣) انجيل مرقس ١٤ : ٣٣-٣٤ .

المؤلم المحزن ، وهو موت ( لعازر ) ، اذ عندما رأى الجمع يبكون ، اهتزت مشاعره ، واضطربت عواطفه ، وانزعج لبكائهم ، وبكى مثلهم متعاطفا معهم ، ومتأثرا بهم . هذا التعاطف وذلك التأثر ناتج عن خاصية الانفعالية التي هي من خصائص الطبع في الجسد البشري". "فلما رآها يسوع تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون ، انزعج بالروح ، واضطرب . . . وبكى يسوع."[1]

وأخيرا . . . يذكر ما تناقلته الأناجيل عن ضعف المسيح ، وعدم قدرته على حمل الصليب الذي أُعدّ لصلبه ـ كما يزعمون ـ مفسّرا اياه بأنه ضعف الناسوت البشرى للمسيح . فيقول :

" يذكر الكتاب المقدس : أن يسوع المسيح لم يحتمل حمل الصليب الثقيل عندما حمله على كتفه ، وسار به الى موضع الصلب ، اذ خارت قواه . وهذا دلالة على أن الصورة الجسدية كانت في خصائصها وسماتها . والتي من سماتها الاحتمال المحدود بحدّ معيّن ، والذي إن زاد عن هذا الحدّ خار الجسد البشري وانهارت قواه ، وهذا هو ما حدث "عندما بذل يسوع المسيح آخر طاقات جهده في حمل الصليب ، ولم يحتمل ، فحمله بدلا منه سمعان القيرواني*."[2]

وهكذا نرى هذا التأويل لمظاهر بشرية المسيح باعتبارها مظاهر للمسيح البشرى "ابن الانسان " الذى اتحد به المسيح الالهي ـ كما يزعمون ـ أى أن هذا التفسير لأعمال المسيح قائم على أساس القول بالحلول والتجسّد ، وهو ما أفضنا

---

(١) انجيل يوحنا ٣٣-٣٥ .

* قد مضى تصحيح هذا اللقب الى ( قوريني ) . أنظر هامش ص ٨٣ من هذه الرسالة .

(٢) انجيل متّى ٢٧ : ٣٢ . وانظر هذه التأويلات جميعها في كتاب الدكتور ( هانى رزق ) المذكور من ص ١٩١ الى ص ١٩٣ .

فى إبطاله فى الفصل الماضي مما لا نرى موجبا لإطالة القول بذكره هنا ، ولكننا نكتفي بالاشارة الى ماذكرناه من أى دعوى حلول اللاهوت فى ناسوت المسيح واتحاده به يستلزم التحيّز ، والتركيب ، والاحتياج فى جانب الله -عز وجل - الى غير ذلك من النقائض التى تتنافى مع كماله سبحانه وتعالى ،حتى يصير - وهو واجب الوجود - ممكن الوجود ، وذلك تناقض . هذا فضلا عن أن القول بالاتحاد بين شيئين اتحادا حقيقيا -كما يزعمونه - بين الله والمسيح قول لا يتصور تحققه فى الواقع .

فكل تبرير للمظاهر البشرية عند المسيح -عليه السلام - بأنها المظاهر الناسوتية للأقنوم المتحد من اللاهوت والناسوت ، تبرير باطل،لبطلان هذا الاتحاد المزعوم . فمظاهر بشرية المسيح ثابتة له باعتباره بشراً -كما قلنا - ، وكما تدل بصراحة على ذلك نصوص أناجيلهم . وهذه البشرية تتناقض مع دعوى بنوته لله -تعالى - وألوهيته .(1)

وكما قلنا من قبل ،فإن المسيحيين لا يكتفون بتأويل ما ورد فى الأناجيل من النصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتنافى مع القول بألوهيته -كما يزعمون - ، وهو الأمر الذى أبطلناه آنفا - لا يكتفون بذلك ، ولكنهم يعمدون الى بعض هذه النصوص ، وما تشير اليه من وقائع ومعجزات فى حياة المسيح ، فيجعلونها دالة على ألوهيته . وفى هذا الصدد يقول الدكتور ( هانى رزق ) - معقبا على تأويلاته السابقة لمظاهر بشرية المسيح -:

" . . . على أننا نشير الى حقيقة هامة ، وهى وإن كانت واقعة بكاء يسوع المسيح متأثرا ببكاء الباكين فى حادثة موت ( لعازر ) دالة على التجسّد الحقيقي

---

(1) راجع صفحة ٢٢٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

للمسيح أى دالة على ناسوته المحدود ، فإن هذه الحادثة دلّت على لاهوتــه ، أى الوجود الالهى الكامل فى هذه الصورة الانسانية ، أى هذا الوجود الانسانى متحدا به ، بدون امتزاج ، ولا اختلاط ، ولا انفصال . وذلك باقامته ( لعازر ) من الموت بعد أن مات وأنتن ، اذ كان له أربعة أيام ميتا قائلا له : " لعازر هلم خارجا " قالها يسوع المسيح الاله المتجسّد بصيغة الأمر أى بصيغة القوة والقدرة والسلطان ، فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل.[1] بذلك كان هذا الحدث وهو إقامة يسوع المسيح للعازر من الموت دالا على ألوهية يسوع المسيح . أى أن يسوع المسيح ابن الانسان هو الله متجسّد ، أى أن المسيح فى وجوده الالهى غير المحدود الذى هو وجود الله . أى أن صورة الله ظهر فى الوجود الانساني المحدود . أى فى صورة العبد ، أى هيئة الانسان .[2] " الذى اذ كان فى صورة الله . . . أخلى نفسه ، آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس "[3]

والواقع ... أنه لا دلالة فى معجزة احياء ( لعازر ) من الموت ، ولا فى غيرها من المعجزات التى صدرت عن المسيح عليه السلام. لا دلالة فى شئ من ذلك على ألوهيته كما يزعم النصارى . فهذه المعجزات جعلها الله فى أيدى الأنبياء تصديقا لهم فى رسالتهم عنه ، وقد أجراها على أيديهم باذنه ، وقدرته دون أن يكون لهم فيها تأثير. قال تعالى : ( اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا . واذ علمتك

---

(١) أنظر انجيل يوحنا ( ١١ : ٤٣-٤٤ ) .

(٢) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته/ص١٩٣ .

(٣) رسالة بولس الى أهل فيلبى ٢ : ٦-٧ .

الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني ، واذ تخرج الموتى بإذني ، واذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين .)(١)

وقد سبق أن ذكرنا ردّ ابن تيمية على النصارى في استشهادهم بالمعجزات على ألوهية المسيح ، بأن المعجزات ليست أمراً خاصاً به ، بل يشاركه فيها غيره من الأنبياء . فإذا كانت دالة على ألوهيته ، فإنها تدل على ألوهية غيره ، ولا يقول بذلك أحد حتى النصارى أنفسهم .

ثم إن معجزات المسيح ليست أفضل من معجزات غيره من الأنبياء ، ولا أعظم منها ، بل إن معجزات موسى عليه السلام إذا قورنت بمعجزات المسيح فاقتها .

ونحبّ أن نضيف الى ماتقدم ، في شأن عدم دلالة معجزات المسيح على ألوهيته ، تلك المناظرة التي جرت بين الامام ( الرازي ) ، وبين أحد القساوسة من خوارزم في دعوى ألوهية المسيح ، لما تضمنته من إبطال استشهاده على تلك الدعوى بمعجزاته عليه السلام . فقد قال له الامام ( الرازي ) :

" ... أنتم تقولون إن عيسى اله ، لكن نقول لكم : إن الاله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته ، يجب ألا يكون جسما ولا متحيزا ولا عرضا ، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوما ، أو قتل بعد أن كان حيّا -على قولكم- . وكان طفلا أولا ثم صار مترعرعا ، ثم صار شابا ، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ . وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث

---

(١) سورة المائدة / آية ١١٠ .

لا يكون قديما ، والمحتاج لا يكون غنيا ، والممكن لا يكون واجبا ، والمتغيّر لا يكون دائما .

ثم يوجّه ( الرازى ) كلامه للنصرانى متسائلا :

ماالذى دلّك على كون عيسى الٰهاً ؟ فيقول النصرانى :

الذى دلّ عليه هو : ظهور العجائب على يديه ، من احياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص ، وذلك لا يمكن حصوله إلّا بقدرة الاله تعالى .

فيردّ عليه الرازي : إنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ! وذلك لأن ظهور تلك الخوارق دالة على حلول الاله فى بدن عيسى -عليه السلام- ، وعدم ظهورها منّي ومنك ليس فيه الّا أنه لم يوجد ذلك الدليل . فاذا ثبت أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ، لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منّي ومنك عدم الحلول فى حقي وحقّك ، بل وفى حق الكلب والسّنّور[1]

ثم قال : إن مذهبا يؤدى به القول الى تجويز حلول ذات الله فى بدن الكلب والذباب لفي غاية الخسّة والركاكة .

ويستمر الرازى فى افحام النصراني هذا فيقول :

إن قلب العصا حيّة أبعد فى العقل من إعادة الميت حيّاً ! لأن المشاكلة بين بدن الحيّ وبدن الميّت ، أكثر من المشاكلة بين الخشبة ، وبين بدن الثعبان. فاذا لم يوجب قلب العصا حيّة كون موسى -عليه السلام- الٰها وابنا للاله ، فبأن لا يدلّ احياء الموتى على ألوهية المسيح أولى .

---

(١) السنور : حيوان أليف من الفصيلة السّنّورية ، ورتبة اللواحم . من خير ما كله الفأر . أنظر المعجم الوسيط جـ١ ص٤٥٧ .

وعندئذ انقطع النصراني ، ولم يبق له كلام ."[1]

ومن أمثلة تأويل النصوص التي تضمنتها الأناجيل دالة على بشرية المسيح تأويلا يجعلها دالة على ألوهيته - كما يزعم النصارى - من أمثلة ذلك : انهم يجعلون استغاثة المسيح بالله ، بعد ما نزل به من آلام الصلب - كما يزعمون - قائلا : الهى ، الهي لم تركتني ؟ - يجعلون هذه الاستغاثة دالة على ألوهيته لا على بشريته . وبدونها لا يكون تجسّد المسيح - المتجسّد في نظرهم - تجسّدا حقيقيا .

يقول الدكتور ( هاني رزق ) في تأويل استغاثة المسيح بالله ، مستدلا بها على ألوهيته - كما يعتقد - :

"عندما فاقت الآلام ، والأحزان والأوجاع الدرجة النهائية المحدودة لاحتمال الجسد البشرى للمسيح المتجسّد ( يسوع المسيح ابن الانسان ) أى بعد أن حوكم وأدين ظلما ، وقام بحمل الصليب الثقيل وسط تعيير واستهزاء الشعب والجند به ، وبعد أن بصقوا في وجهه ولكموه ولطموه[2] ، وضفّروا اكليلا من شوك ، وألبسوه على رأسه ، وجلدوه بالسياط ، وضربوه بالقصبة على رأسه[3] ، وبعد دقّ يديه ورجليه بالمسامير ، وتعليقه على خشبة الصليب ، وأخيرا ، بعد أن أذاقوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب . عند هذا الحدّ ، وعند تلك الدرجة فاقت الآلام والأحزان والأوجاع قدرات جسده البشرى ، وسحقت هذه الآلام درجة الاحتمال المحدودة لجسده الانساني . أى لناسوته ، فصرخ وجوده البشري ( الانساني ) المحدود القدرات ... الى وجوده الالهي العظيم القادر على كل شئ ، إذ المسيح الاله هو الله في أقنومه الثاني ، قائلاً : إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني ؟ ذلك وإن كان

---

(١) نقلاً عن كتاب التفسير الكبير / المجلد الرابع جـ٨ ص٨٦-٨٨ بتصرف . وكذلك المجلد ١١ جـ٢١ ص٢١٣ .

(٢) أنظر انجيل متّى ٢٦ : ٦٧ .

(٣) أنظر انجيل متّى ٢٧ : ٢٩-٣١ .

ناسوته محدودا بهذا الجسد البشرى ، الا أن لاهوته الذى هو صورة الله لا محدود، أى أنه عندما ظهر المسيح فى الجسد ( يسوع المسيح ابن الانسان ) ، هـــــذا لا يعني أن هذه الصورة المرئية للمسيح حدّدت وجوده فى هذه الصورة الانسانية ، إذ أن المسيح الذى هو صورة الله أى وجود الله ، غير محدود ؛ لذلك صــــرخ ناسوته المحدود بقدرات الجسد البشري ( وهذا ضروريّ لكي يكون التجسّـــــد حقيقيا ) ـ صرخ الى لاهوته ، أى الى وجوده الالهي الذى هو وجود الله غيـــر المحدود قائلا :

إلهى ، إلهى ، لماذا تركتنى . "(1)

وهكذا . . . تثبت الأناجيل بشرية المسيح ، إثباتا واضحا ، وبنصوص صريحة . وهكذا تبطل ـ كما قدمنا ـ كل تأويلات المسيحيين لهذه النصوص ، التى حاولوا بها نفى التعارض بين ما تثبته من بشرية المسيح ، وما يعتقدونه من ألوهيته . بـــل حاولوا أن يجعلوا بعضها ـ على العكس من ذلك ـ دليلا على ألوهيته المزعـــومة ، ولكنها محاولات باطلة ـ كما رأينا ـ ، وباطل كل ما قام عليها من القول ببنوة المسيـــح لله تعالى وألوهيته .

---

(1) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص١٩٥/١٩٦ .

٤ - التأويل الصحيح لما وصف به المسيح في الأناجيل من صفات الألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى :

وبعد أن أبطلنا تأويلات النصارى للنصوص الدالة على بشرية المسيح بما يجعلها لا تتعارض مع اعتقادهم بألوهيته - كما يزعمون - بعد أن أبطلنا هذه التأويلات، فإننا نعمد الى ابطال دعواهم، بأنهم لم يبتدعوا هذه العقيدة من عند أنفسهم، وانما أخذوها من نصوص أناجيلهم المقدسة - في زعمهم -، فهم ملتزمون بما تقرره تلك الأناجيل، ويأخذون عقيدتهم منها، كما يأخذ أتباع كل دين عقيدتهم من كتابهم المقدس.

ورغم رأينا في هذه الأناجيل، واهدارنا لقيمتها الدينية على نحو ماشرحناه من قبل، فإننا سنثبت أنها مع ذلك كله لا تتضمن الدلالة على بنوة المسيح لله عز وجل، ولا على وصفه بالألوهية، وأن النصوص التي يأخذونها من تلك الأناجيل، ويستشهدون بها على تلك العقيدة، لا دلالة فيها على ذلك إذا بيّنا التأويل الصحيح لما تضمّنته صفحات الكتاب المقدس، من الصفات التي أطلقت على المسيح - عليه السلام - كالألوهية والربوبية والبنوة لله تعالى، فان هذا البيان يكشف لنا عن خطأ المسيحيين فيما يعتقدونه في حقّ المسيح من تلك الصفات. فهم يستدلون على ألوهية المسيح - كما شرحنا سابقا - (١) بما ورد في كتبهم من تسميته الها وربّا وابنا لله. من ذلك ماجاء في انجيل ( يوحنا ) عن المحاورة التي تمّت بين المسيح وتلميذه ( توما ) عندما "جاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط، وقال : سلام لكم، وقال لتوما : هات اصبعك اليّ هنا،

---

(١) أنظر ص ٣٠٠ - ٣٠٧ من هذا الفصل .

وأبصر يديّ ، وهات يدك ، وضعها في جنبي ، ولا تكن غير مؤمن ، بل مؤمنـــا .
أجاب توما ، وقال : ربي والهي . قال له يسوع : لأنك رأيتني يا توما آمنت ، طوبى للذين آمنوا ولم يروا . "[1]

وما جاء على لسان بطرس من قوله للاسرائيليين :

" ... لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ، ولكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب الهنا . "[2]

أما عند ( بولس ) فنجد المسيح الها منذ الأزل والى الأبد :

" ولهم الآباء ، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الها مباركـــا الى الأبد . آمين "[3]

وفي رسالة ( يهوذا ) جاء على لسانه في شأن المسيح :

" وينكرون السيد الوحيد : الله وربنا يسوع المسيح "[4]

وغيرها كثير ...

والواقع أن " إطلاق لفظ ( اله ) على الأناسي " ورد كثيرا في التوراة ، فقد أطلق على موسى - عليه السلام - ، كما أطلق على حكام وقضاة بني اسرائيل ، وعلى غيرهـم من الناس ، وكان يعني في نظرهم تكريم الشخص الموصوف به باعتباره قريبا من اللـــه عاملا بوصاياه .[5]

---

(١) ٢٠ : ٢٦ : ٢٩ .
(٢) سفر أعمال الرسل ٢ : ٣٩ .
(٣) سفر رؤيا يوحنا ٩ : ٥ .
(٤) فقرة ٤ .
(٥) أنظر : الشيخ رحمة الله الهندي / اظهار الحق جـ١ ص٥٥٦ / ٥٥٩ .

نرى في الاصحاح السابع من سفر الخروج ، محادثة بين الله ونبيّه موسى ، يعلن فيها سبحانه لنبيّه أنه جعله الها لفرعون .

يقول في سفر الخروج : " فقال الرب لموسى : أنظر ، أنا جعلتك الهـــا لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك . "(١)

ويعود سفر الخروج فيقرر أن الله قد جعل موسى إلها لشقيقه هارون أيضا ، حيث ورد في الاصحاح الرابع منه ، حديثا على لسان الله ، موجها الى موســـى عن شقيقه هارون . فيقول :

" هو يكلّم الشعب عنك ، ويكون لك فما ، وأنت تكون له إلها . "(٢)

هنا نجد أن موسى قد صار إلها لفرعون ، وإلها أيضا لشقيقه هارون . . .

ليس هذا فقط ، بل إن لفظ إله أطلق أيضا على البشر العاديين من القضاة والحكّام الاسرائيليين . فداود ـ عليه السلام ـ يسمي القضاة آلهة . حيث يقول :

" الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي " (٣)

وهذا يعني أن الله موجود وحاضر في محكمة العدل ، ووسط مجلس الحكم ، وأن ماينطق به القضاة من أحكام انما هو كلام الله وحكمه ، وكأن القضاة أنفسهـــم آلهة ينطقون بحكم الله ، وينفذون مشيئته .

ومما يؤكد أن إطلاق لفظ الآلهة على الناس كان من قبيل المجاز المطلـــق ، كإطلاق الألقاب الفخرية والأسماء الشرفية على المبرزين ، بسبب صفاتهم الكريمـــة ، وأعمالهم الهامة ، بحيث إذا تغيّرت صفاتهم ، أو انحطت أعمالهم سحب اللقب ، وسقط

---

(١) عدد ( ١ ) .

(٢) عدد ( ١٦ ) .

(٣) مزامير داود ٨٢ : ١ .

الشرف .

- مما يؤكد هذا ، ما حدث عند انحراف بعض هؤلاء الآلهة - قضاة اسرائيل - اذ أنهم بعد أن كانوا يقضون بين الناس بالحق ، وينفذون تعاليم الله ، انحرفوا عن جادة الصواب ، ومالوا مع الأحساب والأنساب ، وقبلوا الرشوة والعطايا من الناس، مما أغضب داود النبي عليهم ، فأخبرهم بحكم الله : بخلع هذه الألقاب الشرفية عنهم ، وبأنهم لا يستحقّون أن يتصفوا بصفات الآلهة ، أو أبناء الآلهة ، بل يستحقّون السقوط والخزي ، جزاء انحرافهم ، وسوء أعمالهم .

يقول لهم داود : "أنا قلت إنكم آلهة ، وبنو العليّ كلكم ، لكن مثل الناس تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون ." (1)

وهذه الآية "أنا قلت إنكم آلهة" ، اقتبسها عيسى من التوراة ، عند قيامه بالرد على اليهود ، عندما أمسكوا حجارة ليرجموه ؛ لادعائه بنوة الله - كما يزعمون -.

قال اليهود لعيسى - عليه السلام - :

" لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت انسان تجعل نفسك الها ." (2)

ويردّ عيسى على اليهود ، موضحا لهم المجاز في ذلك ، ومؤكدا أنه في هذا يشبّه نفسه بحكّامهم ، وقضاتهم الآلهة ، الذين ينطقون بحكم الله ، فهو أيضا انسان حامل كلمة الله ، منفّذ لتعاليمه كأحد أبنائه .

يروى ( يوحنا ) هذه الحادثة على لسان يسوع :

"أجابهم يسوع : أليس مكتوبا في ناموسكم "أنا قلت انكم آلهة" ؟ ان قال

---

(1) مزمور ٨٢ : ٦-٧ .
(2) انجيل يوحنا ١٠ : ٣١-٣٣ .

آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله ، ولا يمكن أن ينقض المكتوب ، فالذي قدّسه الأب ، وأرسله الى العالم ، أتقولون له انك تجدّف . لأني قلت : اني ابن الله .»(١) *

أما بالنسبة للفظ ( الربّ ) فقد أطلق على عيسى -عليه السلام- أيضا في الأناجيل -كما ذكرنا سابقا- .

ففي الاصحاح السادس عشر من انجيل (متّى) ، أثناء المحاورة التي حدثت بين عيسى وبطرس ، نرى فيها أن بطرس يطلق على عيسى لقب " رب " يقول (متّى) :

" فأخذه بطرس اليه ، وابتدأ ينتهره قائلا : حاشاك يا رب ، لا يكون لك هذا ، فالتفت ، وقال لبطرس: اذهب عني ياشيطان ، أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس.»(٢)

ولو بحثنا عن تفسير كلمة " ربّ " التي أطلقت على عيسى لوجدنا تفسيرها في صلب الأناجيل نفسها . ففي الاصحاح الأول من انجيل ( يوحنا ) يروي لنا ( يوحنا ) أن عيسى -عليه السلام- في بداية دعوته كان يسير في الطريق بمفرده ، فتبعه رجلان صارا فيما بعد من تلاميذه " فالتفت يسوع ، ونظرهما يتبعانه ، فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ قالا : ربي ، الذي تفسيره يامعلم . أين تمكث ؟ فقال لهما : تعاليا ، وانظرا ، فأتيا ونظرا أين يمكث ، ومكثا عنده ذلك اليوم .»(٣)

---

(١) انجيل يوحنا ١٠ : ٣٤-٣٦ .

* أنظر / محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص١٩٠-١٩٣ .

(٢) فقرة ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) ١ : ٣٨ ، ٣٩ .

فها هو ( يوحنا ) يفسّر لنا في صلب انجيله بأن كلمة " ربّ " تعني : المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم ، وأستاذهم ، كغيره من الأنبياء معلمو الشريعة، وأساتذة الديانة . وهو مايؤكده عيسى -عليه السلام- حيث يقول : " لا تدعوا لكم أبا على الأرض ؛ لأن أباكم واحد الذى في السموات ، ولا تدعوا لكم معلمين ؛ لأن معلمكم واحد المسيح ".[١]

والواقع أن لفظ " ربّ " يستعمل في كثير من المجتمعات وخاصة في الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم . ويتكرر اللفظ كثيرا في أسفار العهدين ، بمعنى سيد ، أو معلم[٢]

وقد جاء في مزمور ( داود ) ( ١٠٩ ) من الزبور:

" قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك " .

وهذا يراد به السيد . ولهذا ذكر الأول مطلقا ، والثاني مقيدا . فيكون المعنى :

وقال الله لسيدى ، قال ربّ العالمين لسيدى .

وسمّاه سيدا ؛ تواضعا من داود وتعظيما له ، كما ذكر ذلك ابن تيمية فيما مضى .[٣]

وفي قول بطرس لعيسى : " يارب ، كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له ."[٤]

---

(١) انجيل ( متّى ) ٢٦ : ١٨ .

(٢) انظر : محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص١٩٣-١٩٦
وانظر كذلك الشيخ رحمة الله الهندى / اظهار الحق جـ١ ص٥٥٩ .

(٣) انظر ص ٣١٦ ، ٣١٧ من هذا الفصل .

(٤) انجيل متّى ١٨ : ٢١ .

معناه : ياسيد ، أو يامعلم .

" وكانت لفظة " ربّ " تستعمل في اليونانية وصفا للامبراطور في كل أنحاء الامبراطورية الرومانية ، كما كانت تستعمل أيضا لملوك اليهود . وكانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة ، خلع على كثير من الآلهة الوثنية . . .

ولهذا السبب ذهب بعض العلماء الى أن لفظ " الرب " أطلق أولا على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية ، وذلك لأنه هو الوصف الذى خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية ، وكان من الهيّن على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذى كان مألوفا لديهم ." (١)

" . . . وحتى الآن نرى الكثيرين منا يتحدثون عن عائل الأسرة أو رئيس المكان . فيقولون : ربّ الأسرة ، رب الدار . ولم يدر بخلد أحد عند سماعه هذه الكلمة أن ربّ الأسرة هو معبود الأسرة ، أو أن رب الدار هو اله الدار ، بل إن هذا اللفظ لا يعني سوى التكريم والتقدير للشخص الذى يطلق عليه . وما أطلق على عيسى - عليه السلام - إلّا تقديرا له بصفته المعلم والنبي ." (٢)

واذا جئنا الى عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى ، واستدلالهم عليها ، فإننا نرى أناجيلهم المقدسة - في زعمهم - قد امتلأت بما يفيد أن المسيح هو ابن الله . من ذلك قولهم فيه :

" تحقّق رئيس الكهنة أنه ابن الله " (٣)

---

(١) ستيفن نيل / من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص٩٤ نقلا عن :
محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص١٩٦/١٩٥ .

(٢) محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص١٩٧ .
وأنظر أيضا ص ٨٧ من هذه الرسالة .

(٣) انجيل متّى ٢٦ : ٦٣ .

" تحققت الشياطين أنه ابن الله "[(١)]

وكذلك يشهد (يوحنا المعمدان) أن المسيح هو ابن الله ، حيث جاء في انجيل (يوحنا) مايفيد ذلك :

" قال يوحنا المعمدان عندما نظر الى المسيح : أنا قد رأيت وشهدت ، أن هذا هو ابن الله "[(٢)]

وورد أيضا في نفس الانجيل مايفيد أنه ابن الله الوحيد :

" الذي يؤمن به لايدان ، والذي لايؤمن به قد دين ؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ."[(٣)] وغيرها كثير مما سبق ذكره في أول هذا الفصل .

والواقع أن " اطلاق لفظ ابن الله على المسيح في غاية الضعف ؛ لأن هذا الاطلاق معارض باطلاق ابن الانسان - كما عرفنا - ولأنه لا يصح أن يكون لفظ "الابن" بمعناه الحقيقي ، لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم مَن تولّد مِنْ نطفة الأبوين . وهذا محال في هذا المقام . فلابدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب بشأن المسيح ."[(٤)]

بل ان عيسى نفسه قد أوضح لنا هذا المجاز في قوله :

" إنما بنوة الله بالأعمال "[(٥)] ، فهي ليست بالتناسل والتوالد ، وإنما بالعمل الصالح وصدق الايمان .

---

(١) انجيل مرقس ٣ : ١١ .

(٢) انجيل يوحنا ١ : ٣٤ .

(٣) انجيل يوحنا ٣ : ١٨ .

(٤) الشيخ رحمة الله الهندي / اظهار الحق جـ٢ ص٤٠ / ٤١ .

(٥) أنظر انجيل يوحنا الاصحاح الثامن .

ونفس هذا المعنى ردده ( بولس) فى رسالته الى أهل رومية :

" لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله "(١)

وقد جاء فى الأناجيل لفظ "ابن الله" بمعنى المؤمن الصالح الطائع ، من ذلك ما رواه ( مرقس) فى انجيله ، حيث يقول :

" ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله ، وأنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال: حقا كان هذا الانسان ابن الله "(٢)

ونقل ( لوقا ) قول قائد المئة فى انجيله هكذا :

" بالحقيقة ، كان هذا الانسان بارًّا "(٣)

بل إن الذين يكون همهم صنع السلام فى العالم هم فى الحقيقة أبناء الله ، وهذا ما ذكره عيسى - عليه السلام - حين وعظهم على الجبل حيث قال : " طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون "(٤)

ومن قرأ كتب اليهود والنصارى رأى فيها لقب "ابن الله" قد أطلق على آدم(٥) ، وعلى داود ، ويعقوب مع لقب البكر(٦) ، وكذلك على أفرام(٧) ، وعلى المسيح - عليهم السلام - ، وأطلق مجموعا على الملائكة ، وعلى المؤمنين الصالحين . وهذا الاستعمال كثير فى العهد الجديد كما رأينا . . .

---

(١) ٨ : ١٤ .

(٢) ١٥ : ٣٩ .

(٣) انجيل لوقا ٢٣ : ٤٧ .

(٤) انجيل متى ٥ : ٩ .

(٥) انظر انجيل لوقا ٣ : ٣٨ .

(٦) انظر مزمور ٨٩ : ٢٦ ، ٢٧ ، وسفر الخروج ٤ : ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) أنظر سفر أرميا ٣١ : ٩ .

وجاء في سياق المناظرة بين المسيح واليهود من انجيل ( يوحنا ) ما نصه :

"أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له : إننا لم نولد من زنا .

لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع : لوكان الله أباكم ، لكنتم تحبونني . . . .

الى أن قال : "أنتم من أب هو ابليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ." (١)

وفي هذا المعنى ماجاء في الرسالة الأولى من رسالتي يوحنا :

" كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة ؛ لأن زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس. . . ." (٢)

فعلم من هذه النصوص وأشباهها أن لفظ "ابن الله " يستعمل في كتب القوم بمعنى " حبيب الله " الذى يعامله الله معاملة الأب لابنه من الرحمة والاحسان والتكريم . . .

وانما تحكم النصارى بهذا اللقب ، فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة الى المسيح ، وبالمعنى المجازى بالنسبة الى غيره من الصالحين . ومعنى الابن الحقيقي محال على الله تعالى - كما ذكرنا - لأنه عبارة عن الولد الذى ينشأ من تلقيح الرجل بمائه لبعض ما في رحم المرأة من البيض . فالمعنى المجازى متعيّن . (٣)

بل إن (بولس) نفسه استعمل هذا التركيب "ابني الحبيب" استعمالاً مجازيا ، حيث ورد في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس قوله عن تيموثاوس: "أرسلت اليكم تيموثاوس الذى هو ابني الحبيب ." (٤)

---

(١) انجيل يوحنا ٨ : ٤٤ .

(٢) ٣ : ١٠ .

(٣) انظر الشيخ محمد رشيد رضا / تفسير المنار جـ٦ ص٣١٤ بتصرف قليل .

(٤) ٤ : ١٦ .

واذا لم يفهم من اطلاق لفظ الاله - ومثله - على البشر الالوهية الحقيقية ، فكيف يفهم من لفظ "ابن الله" - ومثله - البنوة الحقيقية لله تعالى ، سيما إذا لاحظنا كثرة وقوع المجاز في كتب العهدين *. (١)

وكما استخدمت كلمة "الابن" في الأناجيل مجازا ، للدلالة على التكريم والقرب من الله ، فقد استخدمت كلمة "الأب" أيضا للدلالة على التعظيم والرأفة والتعلّق بالله والاعتماد عليه . ولهذا لم يخصّ المسيح نفسه بهذه النسبة بين الله وبينه ، وهي نسبة الأبوة ، وانما جعلها نسبة مشتركة بينه وبين غيره من الناس ، ومن ذلك قوله :

"اني ذاهب الى أبي وأبيكم ....." (٢)

وقوله : "أبانا الذى في السموات ..." (٣)

أى أن الله هو الأب للجميع .

بل إنه ينفي وجود الأب في الأرض بين الناس ، ويؤكد وحدانيته "لا تدعوا لكم أبا على الأرض ، لأن أباكم واحد في السموات ..." (٤)

فهذا يدل على أن الأبوة لا تعني الأبوة الحقيقية المستلزمة للبنوة والألوهية - كما يعتقدون - ، وانما تعني التعظيم والرحمة - كما ذكرنا - ، وغير ذلك من المعاني .

---

* أنظر : سفر أشعياء : ١ : ٢ ، ٣٠ : ١ ، ٦٣ : ٨ .
وأنظر كذلك سفر هوشع : ١ : ١٠ وكذلك انجيل متّى ٥ : ٩ .
فى هذه الاصحاحات جميعها وغيرها جاء اطلاق أبناء الله على جميع بني اسرائيل ،

(١) الشيخ رحمة الله الهندى / اظهار الحق جـ ٢ ص ٤٣ .
(٢) أنظر انجيل يوحنا ٢٠ : ١٧ .
(٣) انظر انجيل متّى ٦ : ٩ .
(٤) انجيل متّى ٢٣ : ١٨ .

واستعمال كلمة الأب في هذه المعاني استعمال مجازيّ لا يجوز أن يكون مستندا لعقيدة حقيقية ، أو دليلا على ثبوت عقيدة حقيقية . يقول الامام الغزالي في ذلك :

"أمّا ما تعلّق به النصارى من إطلاق الأبوة على الله عز وجل والبنوة على المسيح - عليه السلام - ظانّين بأن ذلك محصّل غرضا ، أو مثبت خصوصية يقع بها الامتياز ، فليس الأمر كذلك ....

وبعد أن استشهد بنصوص من التوراة والأناجيل تدل على أن لفظي البنوة والأبوة انما يراد بهما المعنى المجازي في حق الله تعالى وفي حق المسيح عليه السلام - كالتي ذكرنا من قبل - بعد ذلك قال :

وسرّ التجوّز في إطلاق لفظ الأبوة على الله تعالى ، والبنوة على المسيح ، هو أن حقيقة الأبوة والبنوة غير مرادة قطعا ، ولا بدّ من المجاز ؛ وذلك لأن الأب جبل على أن يكون شديد الحنان والرأفة ، والرحمة والشفقة لولده ، حريصا على أن يجلب اليه جميع الخيور ، ويدفع عنه جميع الشرور ، مجتهدا على أن يوضّح له طرق الخير ، ويأمره بالمبادرة اليها ، مسارعا الى تحذيره مما يفضي به الى عقوبة أو لوم ، أو ضرر دائم أو جهالة سائرة لما يراد به في المستقبل . ( هذا وضع الأب فيما نشاهده ) .

وأما الابن ، فوضعه أن يكون موقّرا لأبيه معظما له ، شديد الحياء منه ، ممتثلا أوامره ، ملاقيا لها بالاجلال والتعظيم وعدم المخالفة ، واقفا عندما يأمره به ، وينهاه عنه .

والله عز وجل إذا قيس احسانه الى كل نبي ، ورحمته له ، وشفقته عليه ، وما جلبه له من الخير ، وما دفعه عنه من الشر ، وما بيّنه له مما هو لائق بجلاله ، ثم وفّقه للعمل بمقتضاه ، كان مايصنعه الوالد بالنسبة الى هذا تافها حقيرا .

ثم توقير الأنبياء أيضا لله ، وحياؤهم منه ، وانقيادهم لأوامره ، ووقوفهم عند مناهيه ، واجلالهم له ، أعظم من صنيع الأبناء مع آبائهم ، فهو لهم أرحم أب ، وهم له أبرّ ولد ، فهذا سرّ التجوّز في اطلاق مثل ذلك ....

وقد صرّح داود - عليه السلام - بما أشرنا اليه - في مزاميره فقال : "كما يترأف الأب على بنيه ، كذلك يترأف الأب على خائفيه ."(١)

فثبت بما ذكرناه أن اطلاق البنوة على المسيح ، غير مثبت خصوصية يقع بها التمييز .

وصريح الانجيل ناطق بصحة هذا التأويل ، وهو قوله :

" وأمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه ."(٢)

والنصارى - أنفسهم - الآن مقيمون على إطلاق ذلك ، فاذا رأوا راهبا أو قسّيسا قالوا له : " ياأبانا " ، وليس هو أباهم حقيقة ، ولكن مرادهم بالاطلاق : أنهم ينزلونه في الشفقة عليهم منزلة الأب ، وينزلون أنفسهم في توقيره منزلة الأنبياء .. "(٣)

ويقيم صاحب ( الفارق بين المخلوق والخالق ) أيضا الأدلة العقلية على بطلان القول ببنوة المسيح لله تعالى وبالتالي أبوة الله له على الحقيقة . فيقول :

" جعل المسيح " ابن الله " أى مولودا منه - كما أطلق عليه النصارى ذلك - مردود عقلا ونقلا .

---

(١) سفر المزامير : مزمور ١٠٣ : ١٣ .

(٢) انجيل يوحنا ١ : ١٢ .

(٣) أنظر : الامام الغزالي / الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ص ٢٨٦ / ٢٨٩ بتصرف قليل .

أمّا من جهة العقل ؛ فإن الاله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته ، فولده ، امّا أن يكون أيضا واجب الوجود أو لا يكون . فإن كان واجب الوجود لذاته كـــان مستقلا بنفسه ، قائما بذاته لا تعلّق له في وجوده بالآخر . ومن كان كذلك لم يكـن مولودا ألبتة ؛ لأن المولودية تشعر بالفرعية والحاجة .

وان كان ذلك المولود ممكن الوجود لذاته ، فحينئذ يكون وجوده بايجـــاد واجب الوجود لذاته ، ومن كان كذلك فيكون مخلوقا لا ولدا .

فثبت أن من عرف أن الاله ما هو ، ـ أي مفهوم الإله وحقيقته ـ امتنع أن يثبت له الولد .

ثم إن الولد يحتاج أن يقوم مقام والده بعد فنائه ، وهذا إنما يعقل في حقّ من يفنى ، أمّا من تقدّس عن ذلك فلا يعقل الولد في حقّه .

ثم إن الولد لا بدّ وأن يكون متولّداً من جزء من أجزاء الوالد ، وهذا لا يعقل إلاّ في حقّ من يكون مركّبا ، ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه ، وهذا في حق الواحد الأحد الفرد الواجب لذاته ، محال .

هذا في حق امتناع الولد على الله مطلقا مع عموم من يقول بذلك .

أما النصرانية التي تقول : إن عيسى حدث من غير أب ولا نطفة . فنقول : مسلّم لكم ذلك . إلاّ أن الله تعالى أخرجه الى الوجود من غير سبق الأب ، فقد حدث ودخل في الوجود . ويقال لهم :

إمّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى ، أنه أحدثه على سبيل الابداع من غيـر نطفة ولد .

وامّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى ، كما يكون الانسان ولدا لأبيه .

وأمّا أن تريدوا بكونه ولدا لله تعالى ، أمرا ثالثا مغايرا لهذين المفهومين .

أما الأول : فباطل ؛ لأنه تعالى يحدث الحوادث في مثل هذا العالــــم

الأسفل بناء على أسباب معلومة . والنصارى يسلّمون أن العالم بجميعه محدث ، فيلزمهم الاعتراف بأنه تعالى خلق السموات والأرض من غير سابقة مادة ، فإذا كان كذلك ، وجب أن يكون احداثه للسموات والأرض ابداعا ، فابداعه لعيسى -عليه السلام- مثله ، ولو وجب أن يكون والداً له بهذا الابداع ، لزم أن يكون والدا للسموات والأرض ؛ لكونه أبدعهما كابداع عيسى -عليه السلام-.

وأما الثاني : وهو أن يكون مرادهم من الولادة الأمر المعتاد في الحيوانات، فهذا أيضا باطل ؛ لأن تلك الولادة لا تصح إلا ممن كانت له صاحبة ، وشهوة ، وينفصل عنه جزء ، ويحتبس في الرحم . وهذا لا يثبت إلا في حقّ الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق ، وغيرهما من الاعراض ، وذلك على خالق العالم محال .

وأمّا إثبات الولد لله تعالى بناء على أمر ثالث مغاير لهذين المفهومين ، فذلك باطل ؛ لأنه غير متصوّر ، ولا مفهوم عند العقل .

فثبت بالبداهة بطلان ما ذهبت اليه النصارى ...»[1]

ثم قال : « واذا علمت أن الولد مستحيل على الله -تعالى- عقلا ، فاعلم أن ذلك ممتنع عليه نقلا أيضا ؛ لأن الكتب السماوية كلها تنزه البارى سبحانه عن ذلك ، حتى التوراة والانجيل -مع كونهما محرفين- وما ورد فيهما مما يوهم ذلك ، فهو مؤول .... بما لا يتعارض مع العقيدة الصحيحة في الله تعالى ، وفي المسيح عليه السلام.»[2]

ثم راح يبطل تأويلات النصارى لما في كتبهم ، مظهرا دلالة تلك الكتب - اذا

---

(١) عبد الرحمن بك باجه جى زاده / ص١١٧ ، ١١٨ بتصرف قليل .

(٢) المرجع السابق ص١١٨ بتصرف قليل .

فهمت على وجهها الصحيح - على بطلان عقيدتهم ، على خلاف مايقصدون اليه من الاستدلال على تلك العقيدة .[1]

وقد سبق أن شرحنا ذلك بالتفصيل بما لا حاجة لاعادته .[2]

وأخيرا ... وبعد أن أبطلنا استدلال النصارى على عقيدتهم بكتبهم نتساءل :

هل هذه الكتب بوضعها الحالي وعلى ضوء دراستنا لها - في الباب الأول من هذه الرسالة - تعتبر مصدرا صحيحا ، لأخذ العقيدة المسيحية الصحيحة منها ؟

الواقع أنها لا تصلح لذلك ، باعتبارها عملا بشريا لأصحابها بعيدا عن الالهام بها ، والحفظ الالهي لها . يقول الشيخ ابراهيم الجبهان :

"إن تأليه المسيح - صلوات الله وسلامه عليه - ، والادعاء بأنه "ابن الله" ، كان نكسة قاتلة ، أصابت النصرانية في صميمها ، ونقلتها برمتها من دين سماوي الى وثنية خالصة ، ولم يكن هذا مستغربا من أهل كتاب عبثت به الأهواء ، ولعبت به الدسائس ، وتناولته الأيدي الخفية بالتحريف والتزوير ، بل المستغرب ألا يقع مثل هذا الانحراف ؛ لأن من القواعد العلمية المسلّمة : أن ما بني على الباطل باطل مثله ...

والنصارى اذا اعتقدوا أن المسيح هو الله ، لم يبق أي معنى لقولهم : انه ابن الله ، واذا اقتصروا على وصفه بأنه ابن الله ، لم يبق أي معنى لقولهم : إنه هو الله ؛ لأنه لا يعقل أن يكون أبا لنفسه ، وابنا لها ...

---

(١) انظر عبد الرحمن بك باجه جي زاده / ص ١١٨ .

(٢) انظر ابطالات ابن تيمية في هذا الفصل ، وابطال الغزالي وغيره .

وان كلما ورد فى الأناجيل والرسائل ، مما يشعر بألوهية المسيح أو بنوته لله -تعالى- ، لا يصلح دليلا الا على عدم صحتها ، ولا يحتج به الا عليها ؛ لأن الأصل فيها أنها من وضع من نسبت اليهم ، وأنه لم يوجد ، ولن يوجد من يستطيع اثبات تنزيلها من الله ، أو أنها من وحيه والهامه . لذلك فان كل احتجاج بها مرفوض ، الا لمن أراد أن يثبت تناقضها وتحريفها ."(١)

واذا كان هذا هو موقفنا من الأناجيل ورأينا فيها ، وهو رأى ينتهي الى عدم اعتبارها كمصدر من مصادر العقيدة الصحيحة -اذا كان هذا هو رأينا فيها ، فما الذى دفعنا الى تأويل نصوصها على نحو ما سبق بيانا للمراد منها ، وأنه ( أى المراد منها ) ليس بنوة المسيح لله تعالى ، ولا ألوهيته ؟

الواقع أننا إنما فعلنا هذا مجاراة لأصحابها ، بعدما قدمنا إبطال تلك العقيدة من جميع الوجوه ، حيث فرضنا -جدلا- صحة ورود هذه النصوص فى حق المسيح على نحو ما وردت عليه فى تلك الكتب ، وأن كاتبيها نقلوا نقلا صحيحا ما أجروه على لسان المسيح -عليه السلام- من كلمات .

ومع هذا الغرض الجدلى ، لم نجد -كما رأينا- فى هذه النصوص دلالة على ما يعتقدون ، بل وجدنا أنه لا بدّ من تأويلها بمعان أخرى صحيحة لا تتعارض مع العقيدة الصحيحة ، غير تلك المعانى التى فهمها النصارى منها . وكان تأويلنا لهذه النصوص الواردة فى حق المسيح -عليه السلام- مقتضى ما تضمنته تلك الكتب مما ورد فى حق غير المسيح من الأنبياء ، ومقتضى ما تضمنته تلك الكتب من معان وألفاظ ، ولم يكن تأويلنا لها أمرا خارجا عن المألوف فى أمر تلك الكتب ، بل كان هو مقتضى

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق النصرانية والتبشير ص٧٢ / ٧٤ بتصرف .

العقل والنقل معا .

وأيضا وجدنا في كتبهم مايقطع ببشرية المسيح وعبوديته لله ، وخضوعه ، وتذلله كما ذكرنا .

وصدق الله العظيم اذ يقول :

( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون )[1]

---

(١) سورة المؤمنون / آية ٩١ .

٥ - دلالة القرآن على بشرية المسيح ، وابطاله لبنوته لله تعالى وألوهيته: *

وكما أثبتنا من قبل بطلان استدلال النصارى على عقيدتهم في بنوة المسيح لله - تعالى - وألوهيته من كتبهم المقدسة - عندهم - ، بل أثبتنا على العكس من ذلك من نصوص هذه الكتب مايقطع ببشرية المسيح ، وعبوديته لله - كما فعلنا هذا من قبل فإننا هنا نأخذ من القرآن الكريم وهو الكتاب المحفوظ والذى حفظ لنا العقيدة الصحيحة التى دعا اليها جميع الرسل - نأخذ منه العقيدة الصحيحة في المسيح - عليه السلام - تقريرا واستدلالا ، وابطالا للعقيدة الزائفة التي اعتقدها النصارى في حقه عليه السلام .

فالواقع أن المسيح عليه السلام - في ميزان القرآن - لا يعدو أن يكون واحدا من الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشر . قال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة )(١)

ومن خلال تتبعنا لقصص القرآن الكريم ، وكتب التاريخ القديم ، نجد أن الرسل الذين أرسلهم الله الى هداية أقوامهم من أول زمان الخلق والتكليف هم من البشر ، يمشون في الأسواق ، ويأكلون الطعام ، ويعيشون ويموتون ، غير أنهم أنقى البشر وخيرهم ، معصومون من الخطيئة والزلل لا يختارون أنفسهم للرسالة ، انما يختارهم الله لها ، ويؤيدهم بالمعجزات الواضحة والخوارق والآيات بما يتفق وحال أقوامهم ، وأهل عصرهم وعلوم زمانهم ...

---

* أنظر / محمد مجدى مرجان / المسيح انسان أم اله ص٢٠٢-٢٠٥ .

(١) سورة النحل / آية ٣٦ .

وهذا وضع طبيعي ، وضرورة حتمية يقتضيها تصريف الله لخلقه . فـــالأرض لا تسكنها ملائكة ، وإنما يسكنها بشر ، والقدوة لا تتم إلا إذا كان الرسول بشـــرا لا تختلف ملكاته ، ولا تتميز طبيعته عن طبيعة سائر الناس .

حقيقة واضحة جلاها القرآن في أروع بيان . يقول سبحانه وتعالى :

( وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رســـولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا )(١)

فهم ليسوا ملائكة ، وليسوا الله متجسّدا في صورة انسان -كما يزعم النصارى - وانما هم من البشر .

والمسيح بن مريم هو واحد من هؤلاء الرسل كان انسانا وابن انسان ولد كما يولد سائر الناس ، وعاش كما عاشوا ( ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبلـــه الرسل )(٢)

وقد أكد الله سبحانه وتعالى عبودية المسيح له في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، حيث ذكر أنه عبد كسائر العبيد ، أنعم عليه بأن جعله آية ، وذلك بخلقـــه من غير أب ، كما سبق وأن خلق آدم .

قال تعالى : ( إن هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل )(٣)

بل ان عيسى -عليه السلام - قد أجرى الله على لسانه وهو في المهد ما ينـــصّ على عبوديته وخضوعه لله تعالى ، حيث قال : ( إني عبد الله )(٤)

وهذا معناه : أن عيسى -عليه السلام - قد نصّ على اثبات عبوديته لله تعالى ،

---

(١) سورة الاسراء / آية ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) سورة المائدة / آية ٧٥ .

(٣) سورة الزخرف / آية ٥٩ .

(٤) سورة مريم / آية ٣٠ .

فكأنه بذلك جعل إزالة تهمة الأبوة عن الله أولى من إزالة تهمة الزنا عن أمه التي اتهمها به اليهود ...

وان دلالة أحوال عيسى -عليه السلام- على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية ؛ لأنه كان مجتهدا في العبادة -كما رأينا-[1] والعبادة لا تكون إلّا من العبيد ( اعبدوا الله ربي وربكم )[2]

بل ان عيسى عليه السلام لن يأنف أن يكون عبدا لله سبحانه وتعالى ، مستمرا على عبادته له تعالى ، وعلى طاعته حسبما هي وظيفة العبودية . ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ... ) الآية[3]

" فالنصارى يرون أن عيسى هو ابن الله ، لأنه كان يخبر عن المغيبات ، ويأتي بخوارق العادات ، والمسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة لن يتعالى ويأنف عن عبادة الله تعالى ، لأن الملائكة المقربين وهم أعلى حال منه في العلم بالمغيبات والقدرة ، ومع ذلك لن يستنكفوا عن عبودية الله ، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته بسبب هذا القدر الضئيل الذى كان معه من العلم والقدرة ."[4]

ثم اننا نجد أن القرآن الكريم لا يكتفي بمجرد تقرير عبودية المسيح لله تعالى ، وتقرير بشريته ، وانما يصف المسيح بخصائص البشرية كالأكل والشرب والنتيجة الطبيعية لهما ( ما المسيح بن مريم الاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون )[5] فهو لا يختلف

---

(١) أنظر ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ من هذا الفصل .

(٢) سورة المائدة / آية ٧٢ .

(٣) سورة النساء / آية ١٧٢ .

(٤) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد ٦ جـ ١١ ص ١٢٠ بتصرف .

(٥) سورة المائدة / آية ٧٥ .

في ذلك عن جميع الأنبياء والرسل .

ومعنى ذلك : "أن المسيح ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها .

ومقتضى الآية : هو الاستدلال على فساد اعتقاد النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته . وبيان ذلك :

أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن ، وكل من كان كذلك كان مخلوقا لا الها ، وأيضا انهما كانا محتاجين الى الطعام أشدّ الحاجة ، والاله هو الذي يكون غنيا عن جميع الأشياء ، فكيف يعقل أن يكون الها .

فالأكل عبارة عن الحاجة الى الطعام ، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه ليس باله ؛ لأنه لو كان الها لكان قادرا على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب ، فلمّا لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكون الها للعالمين .

وبالجملة : ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه الى دليل ."(١)

" ومن البيّن الواضح أن الذي يأكل الطعام فيتحوّل في جسمه دما ولحما وعظما ، وينضح عرقا ، ويخرج فضلة لو بقيت في الجسم لأضرته . . .

- من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا خاضعا لكل قوانين البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مرتبته كرسول ."(٢)

---

(١) أنظر الفخر الرازي / التفسير الكبير المجلد السادس ج١٢ ص٦٥ بتصرف .

(٢) د . عبد الحليم محمود / التفكير الفلسفي في الاسلام . نقلا عن : عفيف عبد الفتاح طبّارة / مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٣٢٨ .

وقد شبّه الله عيسى -عليه السلام- في خلقه بآدم -عليه السلام- ، وأنه خلقه بكلمة ( كن ) فكان ، ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون ... " الآية [1]

ووجه الشبه هو أصل الخلقة لكل منهما وهي التراب. يقول الرازي :

" اذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب ، ولم يكن الها ، فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم ؟ بل هذا أقرب الى العقل ، فان تولّد الحيوان الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولّده من التراب اليابس" [2]

فهو ليس الها أزليا خالدا أو ابنا أزليا كما يقولون ، بل هو مخلوق بكلمة الكينونة كيفية الخلق . وقد مرّ معنا في استشهاداتنا بنصوص من كتبهم المقدسة -في زعمهم- كيف أن عيسى يفرح ويحزن ، وينام ويصحو ، ويتعب ، ويخضع لسائر النواميس الكونية ، شأنه في ذلك شأن سائر البشر .

وتأتي النتيجة الطبيعية لكل ماتقدم ، فاذا كان عيسى عبدا كسائر عبيد الله ، وخاضعا له كسائر الناس وهو بشر كيفية البشر ومخلوق بكلمة كن كيفية الخلق ، ويجري عليه مايجري على سائر البشر من الاحتياج والغناء .

فهذا يقتضي أنه ليس باله ولا ابن اله -كما يزعم النصارى- لا نقول ذلك ادعاء، بل القرآن قد جاء صريحا في نفي البنوة مطلقا عن الله تعالى وأنها مستحيلة في حقه تعالى اذ يقول : ( ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق .... )الآية [3]

---

(١) سورة آل عمران / آية ٥٩ .

(٢) أنظر الفخر الرازي / التفسير الكبير المجلد الرابع جـ٨ ص٢٨ بتصرف .

(٣) سورة المؤمنون / آية ٩١ .

ويقول تعالى أيضا : ( وقالوا اتخذ الله ولدا ،سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون )[1]

يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية :

"اشتملت هذه الآية الكريمة والتي تليها على الردّ على النصارى ومن أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ممن جعل الملائكة بنات الله ،فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم إن لله ولدا فقال تعالى : ( سبحانه ) ،أي تعالى وتقدّس وتنزّه عن ذلك علوا كبيرا . ( بل له مافي السموات والأرض ) أي ليس الأمر كما افتروا ، وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو المتصرف فيهم ،وهو خالقهم ، ورازقهم ، ومقدّرهم ،ومسخّرهم ، ومسيّرهم ،ومصرّفهم كما يشاء ،والجميع له عبيد ، وملك له ، فكيف يكون له ولد منهم ،والولد انما يكون متولّدا من شيئين متناسبين ، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك في عظمته وكبريائه ولا صاحبة له ، فكيف يكون له ولد ، كما قال تعالى : ( بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ،وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم )[2]

وقال تعالى : ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد )[3]

فقرّر تعالى في هذه الآيات الكريمة أنه السيد العظيم الذي لا نظير له ولا شبيه ،وأن جميع الأشياء مخلوقة له مربوبة ،فكيف يكون له منها ولد ؟ ولهذا قال البخاري في صحيحه عند تفسيره لآية البقرة هذه (١١٦) :

أخبرنا أبو اليمان ،أخبرنا شعيب عن عبدالله بن أبي الحسين ، حدثنا نافع

---

(١) سورة البقرة / آية ١١٦ .

(٢) سورة الأنعام / آية ١٠١ انظر ابن كثير في تفسيره جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) سورة الاخلاص .

ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس رضي الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
( قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأمّا تكذيبه اياى فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه اياى فقوله إن لي ولدا . فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا . )[1]

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
( لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم )[2]

هذا فيما يتعلّق بنفي البنوة مطلقا عن الله تعالى .

أما فيما يتعلق باستدلال القرآن على بطلان القول ببنوة المسيح لله - تعالى - فنجده جلّ جلاله - خلال آيات أخر أكثر خصوصية - ينفي فيها بنوة عيسى عنه ، ويلعن من ادعى ذلك ، ويقيم الأدلة على كذب ادعائه . قال تعالى : ( وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون )[3]

---

(١) أنظر صحيح البخارى / كتاب التفسير / باب ( وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه ) جـ٦ ص٢٤ .

(٢) أنظر صحيح البخارى / كتاب الأدب / باب الصبر على الأذى جـ٨ ص٣١ .
وانظر أيضا صحيح مسلم / كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب لا أحد أصبر على أذى ، من الله عز وجلّ الحديث رقم ٥٠ جـ٤ ص٢١٦٠ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) سورة التوبة / آية ٣٠ .

ونرى الامام الرازي يتعرض لهذه الآية بالشرح والتحليل فيقول :

" وأمّا حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون : المسيح ابن الله ، فهى ظاهرة ، لكن فيها إشكال قوى ، وهى أنّا نقطع أن المسيح ـ صلوات الله عليه ـ وأصحابه كانوا مبرّئين من دعوة الناس الى الأبوة والبنوة ، فإن هذا أفحش أنواع الكفر . فكيف يليق بأكابر الأنبياء عليهم السلام ؟ . . . . ولعلّ لفظ "الابن" ورد فى الانجيل على سبيل التشريف ، كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم ـ عليه السلام ـ على سبيل التشريف . ثم إن النصارى لأجل عداوة اليهود ، ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد فى أحد الطرفين بغلو فاسد فى الطرف الثاني بالغوا ، وفسّروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية . والجهّال منهم قبلوا ذلك ، وفشا هذا المذهب الفاسد فى أتباع عيسى عليه السلام . " [1]

وقال تعالى أيضا : ( وقالوا [2] اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادّا [3] تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ) [4]

ولو نظرنا الى نهاية الآيات هذه لوجدناه سبحانه وتعالى يقرر بأن كل معبود فى السماء والأرض من الملائكة والناس يأتون الى الله ويلتجئون اليه ، وينقادون له مطيعين خاشعين خاضعين ذليلين ( ان كلّ من فى السموات والأرض الآ آتى الرحمن عبدا ) [5] وان من كان مالكا لكل السموات والأرض ولكل ما فيهما

---

(١) أنظر الفخر الرازي / التفسير الكبير المجلد الثامن جـ ١٦ ص ٣٦/٣٥ .

(٢) أى النصارى .

(٣) أى منكرا وعظيما .

(٤) سورة مريم / آية ٨٨-٩٢ .

(٥) سورة مريم / آية ٩٣ .

كان مالكا لعيسى ولمريم ، لأنهما كانا فى السموات والأرض ، وما كانا أعظم من غيرهما فى الذات والصفات ، وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى وإذا كانا مملوكين . فكيف يعقل بعد هذا توهم كونهما له ولدا وزوجة "[١]

ولو تأملنا قوله تعالى : ( ما المسيح بن مريم إلا رسول ... ) وغيرها من الآيات المماثلة ، لوجدنا كيف أن الله يقرن لفظ المسيح بكلمة ( ابن مريم ) ، اشارة الى أنه ابن مريم لا ابن الله .

والقرآن الكريم يسجل عليهم أن هذه الأقوال فيها مضاهاة لأقوال مشركي العرب بأن الملائكة بنات الله ، وأن النصارى يرددون قول المشركين بالنسبة لله عز وجل .

وقال تعالى - بعد أن سرد قصة مريم وميلاد المسيح منها - :

( ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون )[٢]

وكما نفى الله بنوة المسيح - عليه السلام - له فقد نفى أيضا ألوهيته ، حيث يزعم النصارى أنه اله وابن اله . والعمدة عندهم فى هذه العقيدة أول عبارة من انجيل ( يوحنا ) وهى : " فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة "[٣]

فقد أطلقوا لفظ الكلمة على المسيح ، فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة انجيل ( يوحنا ) " والله هو المسيح " ، وهذا هو عين ما نسبه القرآن اليهم .

---

(١) أنظر الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس ج ١١ ص ١١٩ .

(٢) سورة مريم / آية ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) انجيل يوحنا ١ : ١ .

حيث يقول تعالى - محذرا اياهم من قولهم هذا ، ومؤكدا لهم كفرهم ، وغلوهم في اطراء المسيح ، وتجاوزهم الحدّ في ذلك - : ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا . )[1]

فهنا يعلن البارى تعالى للناس جميعا قدرته على كل شئ دون معارض أومنازع ، فلا يقدر أحد على دفع شئ من أفعال الله أو منع شئ من مراده . فكيف يكون المسيح الها ولا يملك أن يدفع الضرّ والأذى والهلاك عنه وعن والدته . وقوله : ( ومن في الأرض جميعا ) يعني أن عيسى مشاكل لمن في الأرض ، في الصورة والخلقة والجسمية ، والتركيب ، وتغيير الصفات والأحوال . فهو مخلوق مثلهم.[2]

واذا كان المسيح يدعو غيره الى عبودية الله ويخوفهم من البعد عن عبادته ، ويعرف تمام المعرفة على أن الشرك ظلم عظيم ، وأن الظالم لا نصير له ، وهو معترف بربوبية الله - اذا كان هذا هو مايدعو اليه ، وهذه حاله مع ربّ العالمين ، فكيف يقال عنه بعد ذلك : انه اله . قال تعالى : ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم . وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار )[3]

" والمسيح - عليه السلام - لم يدع أحدا الى ألوهيته ، ولا دعا اليها أحدا من تلاميذه الذين انتشروا في البلاد للدعوة الى انجيله ، ولم يعرفها أحد الا في العشر العاشر من القرن الأول الذى كتب فيه ( يوحنا ) انجيله ، هذا إن صح أن يوحنا الحوارى هو الذى كتبه - ولن يصح - ولا يعقل أن يسكت المسيح وجميع

---

(١) سورة المائدة / آية ١٧ .

(٢) انظر / الفخر الرازى / التفسير الكبير المجلد السادس ج ١١ ص ١٩٦ .

(٣) سورة المائدة / آية ٧٢ .

تلاميذه عن هذه العقيدة اذا كانت هي أصل الدين -كما تزعم النصارى - بل الذى تتوفر عليه الدواعي أن يقررها المسيح نفسه في كلامه، ويجعلها تلاميذه أول مايدعون اليه ويكررونه في أقوالهم ورسائلهم .[1] غير أن شيئا من هذا كله لم يحصل .

والواقع أن هذه العقيدة دخيلة على المسيحية ،بل هي عقيدة وثنية محضة ،ذلك أن زعمهم : أن الله هو المسيح بن مريم، جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثنى الشرق والغرب كما قدمنا .

وجميع فرق النصارى في عصرنا هذا يقولون : ان الله هو المسيح ،والمسيح هو الله . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ويقولهم هذا أوردوا المسيح -عليه السلام -يوم الحشر موردا يعتذر فيه الى الله مما يصفونه به ،ويقرّ ويعترف بعبوديته لله وحده ،حيث يسأل الله عيسى على رؤوس الاشهاد -وهو سبحانه أعلم - ( أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ) ورأسا يجيب المسيح على هذا التساؤل -منزها الله تعالى عما لا يليق به ،نافيا بشدة أن يكون قد صدر منه مثل هذا القول، ومتبرئا مما آل اليه أمر قومه من بعده - فيقول : ( ما قلت لهم إلّا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . )[2]

---

(١) أنظر / الشيخ محمد رشيد رضا تفسيرالقرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار جـ ٦ ص ٣٠٩ /٣١٠ .

(٢) سورة المائدة / آية ١١٧ .

وهكذا يتبيّن لنا بطلان عقيدة النصارى ببنوة المسيح لله تعالى وألوهيته بما قدمه ابن تيمية من مختلف الأدلة العقلية والنقلية ، وبما قدمه في إبطال أدلتهم على عقيدتهم الباطلة ، ثم بما عقّبنا به على تلك العقيدة من بيان جذورها في الوثنيات القديمة ، وبيان ما تضمنته الأناجيل من الشواهد على بشرية المسيح المناقضة لبنوته لله - تعالى - وألوهيته ، والتأويلات الصحيحة لتلك الألفاظ اذا صحّ ورودها في حقّه عليه السلام ،

وأخيراً وليس آخرا بما عرضناه من هذه العقيدة عن القرآن الكريم فأبطلها ، وكشف لنا عن العقيدة الصحيحة في حقّه عليه السلام .